



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية التربية

قسم التربية الإسلامية والمقارنة



٠٠٠٥٣٤

المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في القرآن الكريم

إعداد الطالب: حسن بن محمد علي الزهراني

إشراف كل من:

الدكتور: نجم الدين عبدالغفور الأنديجاني

والدكتور: محمد حسن الغمـاري

بمـا كـمـل لـنـيـل درـجـة المـا جـسـتـير في التـربـيـة الإـسـلامـيـة والمـقـارنـة

مقدم إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الدراسي الأول: ١٤١٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا
تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

[سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٨٧]

قال الله تعالى:

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ
مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

[سُورَةُ الْأَحْزَابِ: ٢٣]

ملخص البحث

عنوانه : المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في القرآن الكريم

اعداد : حسن بن محمد بن علي الكنتاني الزهراني

هدف البحث : يهدف البحث إلى استنباط المبادئ التربوية من آيات العهد والميثاق في القرآن الكريم المتعلقة بالجانب العقدي والتعبدي والاجتماعي والأخلاقي والتعريف بها وابرار الآثار المترتبة عليها في حياة الناس ومجالات تطبيقاتها .

منهج البحث: يعتمد الباحث على المنهج الاستنباطي التحليلي حيث تم استخراج المبدأ التربوي من الآيات ثم ادراج تحت الجانب الخاص به .

فصول الدراسة : قسم الباحث بحثه إلى سبعة فصول :

الفصل الأول : الفصل التمهيدي يوضح موضوع البحث وتساؤلاته وأهميته والهدف منه وحدوده ومنهجه ومصطلحاته وعرض لبعض الدراسات السابقة .

الفصل الثاني: مدخل البحث وتضمن معنى العهد والميثاق في اللغة. وفي القرآن الكريم والعهود والمواثيق التي تحدث عنها القرآن الكريم وأهميته العهود في بناء المجتمع

الفصل الثالث : المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في الجانب العقدي وقد حوى على مبدأ الإيمان بالله وآثاره التربوية ومبدأ الإيمان بالكتب وآثارها التربوية، ومبدأ الإيمان بالرسول وآثارها التربوية.

الفصل الرابع: المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في الجانب التعبدي وقد اشتمل على مبدأ إقامة الصلاة وآثارها التربوية ومبدأ تأدية الزكاة وآثارها التربوية ثم مبدأ الجهاد وآثاره التربوية .

الفصل الخامس: المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق من الجانب الاجتماعي وقد احتوى على مبدأ الإحسان بالوالدين وآثاره التربوية ثم مبدأ صلة الأرحام وآثاره التربوية ثم مبدأ الإحسان إلى اليتامى وآثاره التربوية ثم مبدأ الإحسان إلى المساكين وآثاره التربوية ثم مبدأ العلاقات الزوجية وآثارها التربوية ثم مبدأ علاقة المسلم بغيره وآثارها التربوية .

الفصل السادس: المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في الجانب الأخلاقي وقد احتوى على مبدأ الأمانة وآثارها التربوية ثم مبدأ الصدق وآثاره التربوية ثم مبدأ العدل وآثاره التربوية ثم مبدأ الوفاء بالعهد وآثاره التربوية ثم مبدأ الكلام الحسن وآثاره التربوية .

الفصل السابع: مجالات تطبيق مبادئ آيات العهد والميثاق وقد احتوى على الأسرة والمدرسة والمسجد والمجتمع ووسائل الإعلام ودورها في تطبيق مبادئ آيات العهد والميثاق ثم الخاتمة وقد احتوت على النتائج والتوصيات ومن أهم النتائج ما يلي :

١) تضمنت آيات العهد والميثاق في القرآن الكريم على عدد من المبادئ التربوية والتي لا غنى عنها لكل مسلم فهي تهتم بجميع الجوانب الإنسانية العقديّة ، والتعبديّة والاجتماعية والأخلاقية والسياسية والإقتصادية .

٢) أهمية دراسة الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية معينة دراسة موضوعية لمعرفة أهمية الوحدة الموضوعية في معالجة المشكلات والتي يصعب علاجها عن طريق التحليل وبالأخص موضوع كموضوع العهد والميثاق .

٣) تنوع وتعدد الأساليب التي عرضت بها آيات العهد والميثاق في معالجة قضايا الأمة .

ومن أهم التوصيات ما يلي :

١) الاهتمام بتربية الإنسان على الإيمان وأن التربية على العقيدة الصحيحة هو الخط الأول في التربية الإسلامية والقاعدة الأولى والهدف الأسمى لتربية الأفراد والجماعات

٢) العمل على دراسة الآيات القرآنية التي تضم موضوع واحد دراسة موضوعية .

٣) أن يكون القائمون على التربية والتعليم خير من يتصف بالأخلاق الحسنة والصفات النبيلة

٤) الاهتمام بتربية الناشئة على الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة في البيت وفي المدرسة وفي الشارع.

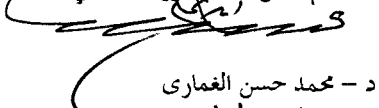
عميد كلية التربية

عبد العزيز عبد الله خياط



المشرفان

د - نجم الدين عبد الغفور الانديجاني

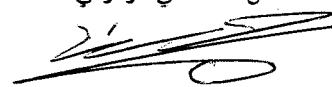


د - محمد حسن الغماري



الباحث

حسن محمد علي الزهراني



إهداء

✽ إلى من أخذ ربي عليّ العهد و الميثاق في

برهما و الإحسان إليهما إلى أبي و أمي أمدّ الله

في عمريهما و متعهما بالصحة و العافية

✽ إلى زوجتي العزيزة التي لم تأل جهداً في

مساعدتي و تحمّلت معي عناء هذا البحث

بالصبر الجميل

✽ إلى كل من له حق على الباحث من أخ و أستاذ

و زميل و صديق

✽ إلى كل مسلم و مسلمة أخذ الله عليهما

العهد و الميثاق بأن يعبدوه و لا يشركوا به

شيئاً.

✽ إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع

سائلاً المولى الكريم أن يجعله خالصاً لوجهه

الكريم.

كلمة شكر وتقدير وعرافان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فإنه يطيب لي بعد إتمام هذا العمل، واعترافاً بالفضل وشكراً لأهله وامثالاً لقوله
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ..﴾ سورة الأحقاف ١٥، وقوله ﷺ
(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)

(الترمذي ١٤١٣هـ كتاب البر والصلة ج٤ ص ٣٣٩ رقم الحديث ١٩٥٤)

أن أقدم خالص الشكر والتقدير لجامعة أم القرى التي تلقيت فيها دراستي الجامعية، وإنني مدين لها بعد الله بالفضل ولا أملك إلا أن أدعو للقائمين عليها وعلى رأسهم معالي مديرتها الدكتور/ سهيل بن حسن قاضي بالتوفيق والسداد فجزاهم الله خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر والعرافان لكلية التربية بمكة المكرمة، وعميدها الدكتور/ عبد العزيز عبد الله خياط ووكيله الدكتور/ علي عبد الله الزهراني كما أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان والتقدير لقسم التربية الإسلامية والمقارنة وجميع أعضاء هيئة التدريس فيه، وأخص منهم رئيس القسم الدكتور/ حامد بن سالم الحري ورئيس بقسم السابق الدكتور/ محمد جميل خياط.

كما يسعدني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأستاذي الدكتور/ جبر الدين عبد الغفور الإندجاني الذي قبل برحابة صدر الإشراف على هذه الرسالة على الرغم من كثرة مهامه ومسؤولياته، ولم يأل جهداً في توجيهي وإرشادي مما أنار لي الطريق في إخراج هذا البحث فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأقدم بالشكر والتقدير لفضيلة الشيخ الدكتور / محمد حسن الغماري الذي
قبل أن يكون مشرفاً مساعداً من كلية الدعوة وأصول الدين ولم يتوان في توجيهي
وإرشادي فقد فتح لي بيته ومكتبته فجزاه الله خير الجزاء.

كما أشكر الأستاذين الجليلين اللذين تفضلاً بقبول مناقشتي في هذه الرسالة
وتحشماً التعب في تقييها / الأستاذ الدكتور محمود محمد كسناوي ، وفضيلة الأستاذ
الدكتور عبدالحى حسين الفرماوي الذي وضع المخطط النهائي لهذا البحث

شاكراً ومقدراً جهودهما ونصحهما وملاحظتهما التي أتقبلها بكل رحابة صدر ،
وإنني لأحوج ما أكون إلى توجيه وإرشاد . الأمر الذي يثري تحصيلي العلمي في إبراز
هذا البحث إلى حيز الوجود بصورة مشرفة فجزاهم الله خير الجزاء

ولا يبقى إلا أن أوجه الشكر والعرفان لكل من قدم لي العون والمساعدة من
الإخوان والزملاء فجزاهم الله خير الجزاء والله أسأل التوفيق والسداد في القول
والعمل.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	أ
الإهداء	ب
شكر وتقدير	ج
قائمة المحتويات	هـ

الفصل الأول

خطة البحث

مقدمة	٢
موضوع البحث	٥
أهمية البحث	٧
تساؤلات البحث	٧
أهداف البحث	٨
منهج البحث	٩
حدود البحث	١٠
مصطلحات البحث	١١
الدراسات السابقة	١٢

الفصل الثاني

مدخل إلي البحث

١٦مَهَيِّنًا
١٧معنى العهد والميثاق في اللغة
١٩معاني كلمات العهد والميثاق في القرآن الكريم
٢٣العهود والمواثيق التي وردت في القرآن الكريم
٢٣أولاً: العهد والميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم
٢٨ثانياً: العهد والميثاق الذي أخذه الله على النبيين
٣٠ثالثاً: العهد والميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل
٣٥رابعاً: العهود والمواثيق النبوية في القرآن الكريم
٥٣أهمية العهود والمواثيق في بناء المجتمع

الفصل الثالث

المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في الجانب العقدي

٥٧مَهَيِّنًا
٦٢المبدأ الأول: العهد والميثاق في وجوب الإيمان بالله
٧٧الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في وجوب الإيمان بالله
٨٣المبدأ الثاني: العهد والميثاق في وجوب الإيمان بالكتب السماوية
الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في
٩٤وجوب الإيمان بالقرآن والكتب السماوية
٩٨المبدأ الثالث: العهد والميثاق في وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في وجوب

الإيمان بالأنبياء والرسل..... ١١٠

الفصل الرابع

المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في الجانب التعبدي

مَهَيَّنَد ١١٤

المبدأ الأول: العهد والميثاق في إقامة الصلاة..... ١١٥

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في إقامة الصلاة..... ١٣٣

المبدأ الثاني: العهد والميثاق في تأدية الزكاة ١٣٩

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في للزكاة..... ١٤٩

المبدأ الثالث: العهد والميثاق في الجهاد في سبيل الله..... ١٥٥

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في للجهاد في سبيل الله ١٦١

الفصل الخامس

المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في الجانب الاجتماعي

مَهَيَّنَد ١٦٧

المبدأ الأول: العهد والميثاق في بر الوالدين والإحسان إليهما..... ١٦٨

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في بر الوالدين

والإحسان إليهما..... ١٧٩

المبدأ الثاني: العهد والميثاق في وجوب الإحسان إلى ذوي القربى..... ١٨٢

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في الإحسان

إلى ذوي القربى ١٩٠

- المبدأ الثالث: العهد والميثاق في وجوب الإحسان إلى اليتامى ١٩٥
- الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في الإحسان اليتامى... ٢٠٤
- المبدأ الرابع: العهد والميثاق في الإحسان إلى الفقراء والمساكين..... ٢٠٦
- الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في الإحسان
إلى الفقراء والمساكين..... ٢١١
- المبدأ الخامس: العهد والميثاق في بناء العلاقات الزوجية..... ٢١٠
- الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في العلاقات الزوجية . ٢٢٥
- المبدأ السادس: العهد والميثاق في علاقة المسلم وغير المسلم..... ٢٢٨
- الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في العلاقة بين المسلم
وغير المسلم..... ٢٤١

الفصل السادس

المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في الجانب الأخلاقي

مَهَيِّدٌ ٢٤٤

المبدأ الأول: العهد والميثاق في حفظ الأمانة ٢٤٦

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في حفظ الأمانة . ٢٥٥

المبدأ الثاني: العهد والميثاق في إقامة العدل..... ٢٥٧

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في العدل ٢٦٨

المبدأ الثالث: العهد والميثاق في قول الصدق ٢٧١

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في الصدق ٢٨٢

المبدأ الرابع: العهد والميثاق في وجوب الوفاء بالعهد ٢٨٦

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في الوفاء بالعهد... ٢٩٧

المبدأ الخامس: العهد والميثاق في القول الحسن ٣٠١

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في القول الحسن .. ٣٠٧

الفصل السابع

مجالات تطبيق مبادئ آيات العهد والميثاق

أولاً: مهمة الأسرة التربوية ٣١١

١- مهمة الأسرة في التربية العقيدية والتعبدية ٣١٢

٢ - مهمة الأسرة في التنشئة الاجتماعية..... ٣١٧

٣ - مهمة الأسرة في التربية الخلقية..... ٣١٩

ثانياً: مهمة المدرسة التربوية ٣٢٠

١ - مهمة المدرسة في التربية العقيدية والتعبدية ٣٢٢

٢ - مهمة المدرسة في التربية الاجتماعية ٣٢٥

٣ - مهمة المدرسة في التربية الأخلاقية ٣٢٧

ثالثاً: مهمة المسجد التربوية ٣٣٠

رابعاً: مهمة المجتمع التربوية..... ٣٣٤

خامساً: مهمة وسائل الإعلام التربوية ٣٣٨

الخاتمة

خاتمة البحث ٣٤٥

النتائج ٣٤٦

التوصيات ٣٥٠

٣٥٤.....	فهرس الآيات القرآنية
٣٨١.....	فهرس الأحاديث النبوية
٣٨٩.....	فهرس المصادر والمراجع

الفصل الأول

خطة البحث

❖ مَقَدِّمَةٌ

❖ موضوع البحث

❖ أهمية البحث

❖ تساؤلات البحث

❖ منهج البحث

❖ حدود البحث

❖ مصطلحات البحث

❖ الدراسات السابقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❁ مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ۗ ﴾ سورة النحل آية: ٩١ . والصلاة والسلام على معلم البشرية وهادي الإنسانية، محمد بن عبد الله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين . أما بعد :

فإن القرآن الكريم كلام الله عز وجل الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ سورة فصلت آية ٤٢ أنزله على رسوله محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه ، هداية للبشرية إلى الصراط المستقيم فهو المعجزة الخالدة الذي يدعو إلى منهج سليم للحياة ، لم يترك قضية ولاحادثة إلا بينها . قال تعالى: ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ثِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾

سورة النحل آية ٨٩ .

والقرآن الكريم دستور هذه الأمة ، ومنهاج حياتها ؛ فالتأمل في آياته تدبراً واستنباطاً ، يجد ذلك واضحاً جلياً في جوانب الحياة جميعها ، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة ، فما نراه في واقعنا المعاصر من القلاقل والفتن وبخاصة على الأمة الإسلامية ، إنما سبب ذلك عدم الالتزام بما جاء في الكتاب والسنة من العهود والمواثيق ، ولن يعود للأمة الإسلامية عزها ومجدها المفقود ، إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ والعض عليها بالنواجذ واستنباط المنهج التربوي منهما ففي القرآن والسنة منهج تعليمي شامل ومتكامل وفيهما ما يحتاج إليه المسلمون من تفصيلات عن

المبادئ والأسس التربوية الصالحة لبناء المجتمع الإسلامي ، والمجتمع الصالح بصفة عامة .
ولقد كان لآيات العهد والميثاق إسهام واضح وأثر فعال حقق للأمة الإسلامية في
الصدر الأول مقاصدها وأهدافها وما تطلعت إليه من السيادة والريادة في جميع شئون
حياتها .

كما امتازت آيات العهد والميثاق بالوضوح والشمول ، ولم تقتصر على جانب
معين ، بل اشتملت على جوانب الحياة جميعها بما يحقق للعبد السعادة في الدنيا
والآخرة .

يقول العُمر (١٤١٣ هـ) : " ٠٠٠ بل إن مما يشد الانتباه ، في حديث
القرآن عن العهد والميثاق عدم اقتصاره على جانب معين ، بل إنه يتحدث
عن العهد والميثاق في جوانب التوحيد والعبادة . ويتحدث عنه في جانب
العلاقات الدولية وهكذا ، إلى أخص أمور الناس كحديثه عن الميثاق في
العلاقات الزوجية ، وعلاقة الابن بأبيه كقصة يعقوب وبنيه " (ص ٩)

ولما كانت الحاجة ماسة إلى تحليل تلك الآيات ومعرفة ما احتوته من مبادئ وآثار
تربوية عمدت إلى استخلاصها لتسخيرها للإنسان في هذا العصر لتكون له منهجاً
يضيء حياته ويفتح له أبواب السعادة في الدنيا والآخرة . وإن المتأمل في واقع الأمة
الإسلامية اليوم يجد أنها تأثرت بالثقافات الغربية والشرقية والغزو الفكري المعاصر
حتى أصبحت تلك الثقافات هي المسيطرة والمتحكمة في العالم الإسلامي . والسبب
يرجع كما قال الأفندي (١٤٠٣ هـ) .

" يرجع إلى أن المسلمين تخلوا عن مبادئ دينهم وتعاليمه وانشغلوا بما
أحرزه الغرب والشرق من تقدم مادي وتفوق سياسي وما استطاعوا بلوغه
من نهضة صناعية واقتصادية وظن المسلمون أنهم مجرد تقليد التربية غير
الإسلامية ونقلها بشكلياتها ونظمها سوف يبلغون من التقدم الاقتصادي
والسياسي ما بلغته الدول التي يقلدونهم ونتيجة لذلك ظهرت في العالم
الإسلامي نظم تربية وتعليم شرقية وغربية هدفها الإعداد للحياة الحاضرة
ونسيان الحياة الآخرة " (ص ١٠) .

لذلك كان السبب في ما حل بالأمة الإسلامية من ضعف وهزيمة إنما هو البعد عن العقيدة الإسلامية الصحيحة ومبادئها ، والإعراض عنها ، والأخذ بالمبادئ الدخيلة ، والإعراض عن تطبيق المفاهيم الإسلامية التي جابها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾
سورة الأحزاب آية ٧ .

يقول ابن كثير (١٤٠٧ هـ) : " أنه أخذ عليهم العهد والميثاق ، في إقامة دين الله تعالى وإبلاغ رسالته ، والتعاون والتناصر والاتفاق " (ج ٤ ص ٤٧٧) .
ويقول شديد (١٤٠٢ هـ) : " ارتفع بالوفاء بالعهود والمواثيق إلى ذروة ليس للبشرية بها عهد ، ولم يبح نقضها مهما كان السبب ، حتى ولو كان لنصرة قوم مسلمين ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ سورة الأنفال آية ٧٢ .
وقد نزلت في بعض عرب الجزيرة ، أسلموا ولم يهاجروا إلى المدينة ، واختاروا الإقامة بدورهم ، ففرض القرآن نصرتهم ؛ إلا على قوم بينهم وبين الدولة الإسلامية عهد أو ميثاق ، وقد كان لهذه التربية أثرها العملي في المجتمع الإسلامي حتى وصلت إلى أفق علوي كريم " (ص ١٧٢) .

ثم يأخذ الله تعالى العهد والميثاق على بني إسرائيل في جملة من الأمور التعبدية ، على أن يقوموا بها خير قيام ، مع تأديتها على وجهها الصحيح ، وكما يذهب المفسرون بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا

مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾

سورة البقرة آية ٨٣

” إن الله أخذ الميثاق على بني إسرائيل أنهم لا يعبدون إلا الله سبحانه فلا يشركون به سواه، و يحسنون إلى الوالدين احساناً كاملاً، وأن يحسنوا بالمال، إلى ذي القربة، والأيتام والمساكين، بسبب ضعفهم وعجزهم وحاجتهم، وأن يقولوا قولاً حسناً لا إثم فيه، وأن يؤدوا صلاتهم أداء تاماً؛ لأن الصلاة تصلح النفوس، وتهذب الطباع، وأن يؤتوا الزكاة للفقراء، لما فيها من تحقيق التكافل الاجتماعي بين الناس، وإسعاد الفرد والجماعة“
(الزحيلي، ١٤١١هـ - ١٤١٠م ص ٢٠٩).

وقد عمدت قبل بداية بحثي هذا إلى استعراض جميع آيات العهد والميثاق في القرآن ثم حاولت تصنيفها إلى عدة تصانيف منها، ما يربط الإنسان بخالقه، ومنها ما يربطه بمجتمعه وبتعامله مع الآخرين.

وإن المتتبع لآيات العهد والميثاق، يجدها تضع منهجاً كاملاً للحياة السعيدة الآمنة، تحفظ للأمة وحدتها العقديّة، والفكرية، والسلوكية، لتقوم بتربية أبنائها وفلذات أكبادها التربية الإسلامية الصحيحة، يتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل يستطيع أن يقف أمام كل التحديات المعاصرة. كما يجدها أيضاً تحتوي على مبادئ وأسس تربوية وتعليمية كفيّلة بإذن الله تعالى بتنشئة جيل صالح على العقيدة الصحيحة، فالوفاء بالعهد والميثاق، توجيه رباني حميد، وخلق نبوي كريم، وسلوك إسلامي نبيل.

❁ موضوع البحث :-

إن القرآن الكريم، هو المصدر الأول للتربية الإسلامية، ومعناها الصافي الذي تستمد منه قوتها وأصالتها، لتبقى محفوظة بحفظ الله لكتابه الكريم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ سورة الحجر آية ٩، أنزله الله تعالى على عبده ورسوله محمد ﷺ دستوراً للتشريع، ومنهجاً للحياة، يحمل بين صفحاته أسمى أنواع التربية، وأرقى أساليب التعليم، به تسعد البشرية جمعاء، وتنال منها في جميع مراحل

حياتها .

وقد عُرضت آيات العهد والميثاق ، بأساليب تربوية متنوعة ، تستميل القلوب ، وتوقظ النفوس ، مركزة على ما يُصلح أحوال العبد ، في الدنيا والآخرة ، مبينة علاقته مع ربه وتصحيح عقيدته بأن يعبده ، ولا يشرك به شيئاً ، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ۚ﴾ سورة النساء آية ٣٦٠ مؤمناً بما أنزل من الكتب متبعاً لما جاء به الرسل ، ليؤدي العبادة التي خلقه الله تعالى من أجلها خير أداء .

كما ركزت آيات العهد والميثاق على الجانب الاجتماعي . فاهتمت ببناء المجتمع الإسلامي ، بناءً محكماً متماسكاً ، واهتمت أيضاً بكل قضية تتعلق بالأسرة والمجتمع ، تربية وتعليماً ، وعالجت كثيراً من القضايا الاجتماعية السائدة في عصرنا الحاضر .

ولم تهمل آيات العهد والميثاق الجانب الأخلاقي فعملت على تنظيم العلاقات وتحقيق المصالح وتجنب الشقاق فأولت هذا الجانب جلّ اهتمامها باعتبارها ركيزة من ركائز البنية الاجتماعية إذ يكفل لكل فرد من الأفراد حقوقه ، فإذا تجرد الأفراد من الحيانة والجور ، والكذب والقول الفاحش أصبحوا أفراداً تربطهم رابطة الأخوة في الدين يحث بعضهم بعضاً على التراحم ، والتعاطف ، والتعاون على الخير ، كما يقومون بواجب النصيحة والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

ومن هذا المنطلق ، رأى الباحث أن يكون موضوع البحث " المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق موضعاً في ذلك التطبيقات التي يستفيد كل منها الأسرة والمدرسة والمسجد والمجتمع بأسره ، ووسائل الإعلام المختلفة .

وإذا عرف المجتمع ، والقائمون على التربية والتعليم ، أن للعهود والمواثيق في القرآن الكريم آثاراً تربوية جمّة ، وتمكنوا من تطبيقها سعدت بذلك البشرية وصلاح المجتمع . والسنة النبوية خير شاهد على ذلك ؛ لأنها تهدف إلى تكوين شخصية مسلمة متميزة ، تكون المثل التي تحتذيها والفضائل التي تتحلى بها اخلاقاً قرآنية . وحينما تُستشعر هذه المبادئ التربوية يكون ذلك أقوى دافع وأعظم حافز ، نحو تحقيقها بما يُخدم للأمة مصالحها ، ويسمو بأخلاقها ويربط بين أفراد مجتمعتها ، وهذا الموضوع من

الموضوعات التي لم يتم تناولها من الناحية التربوية، حسب علم الباحث.

❖ أهمية البحث : -

إنّ الدين الإسلامي منهج حياة يعالج قضايا الأمة في أمور حياتها كلّها ولم يقتصر على جانب معين، وقد اهتم بإصلاح الفرد وتهذيب سلوكه لماله من أثر على المجتمع ، وتطهير نفسه من الانحرافات العقديّة والاجتماعية والسلوكية، وآيات العهد والميثاق وما يستنبط منها من مبادئ تساهم في بناء الفكر التربوي المعاصر، وبخاصة في هذه المرحلة ، حيث باتت الأمة الإسلامية لا تأمن على حياتها وممتلكاتها، فلم تعد تطمئن لا إلى عهد ولا إلى ميثاق.

فالوفاء بالعهد والميثاق من أولويات هذا الدّين وآيات العهد والميثاق التي تضمنها الكتاب العزيز تحفل بالتوجيهات التربوية النافعة والتي تحتاج إلى تحقيق فعلي وممارسة في الحياة اليومية.

ويتوخى الباحث:

1. أن يكون إضافة علمية في مجال تأصيل التربية الإسلامية والتي بحاجة إلى مثل هذا الموضوع الحيوي لمعالجة قضايا ومشكلات الأمة.
2. إسهاماً في تكوين الفكر الإسلامي الواعي لدى أبناء الأمة ، وخاصة عندما تطبق هذه المبادئ.
3. إفادةً لكل مسلم ومسلمة في جميع مراحل حياتهم المختلفة .
4. وكذلك لأهمية البحث في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، واكتشاف كنوزهما.

❖ تساؤلات البحث : -

ينطلق هذا البحث من خلال الإجابة على تساؤلاته والتي يمكن صياغة سؤاله الرئيسي على النحو التالي :

س/ ما المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق؟

وللإجابة على هذا السؤال يلزم الإجابة على الأسئلة الفرعية التالية : -

س ١/ ما المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في الجانب

العقدي؟

س ٢/ ما المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في الجانب

التعدي؟

س ٣/ ما المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في الجانب

الاجتماعي؟

س ٤/ ما المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في الجانب

الأخلاقي؟

س ٥/ ماهي مجالات تطبيق المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد

والميثاق؟

س ٦/ ما الآثار التربوية التي تركها تلك المبادئ في حياة الناس؟

✿ أهداف البحث :

١. التعرف على المبادئ التربوية من آيات العهد والميثاق في الجانب العقدي
٢. التعرف على المبادئ التربوية من آيات العهد والميثاق في الجانب التعدي .
٣. التعرف على المبادئ التربوية من آيات العهد والميثاق في الجانب الاجتماعي .
٤. التعرف على المبادئ التربوية من آيات العهد والميثاق في الجانب الأخلاقي .
٥. تطبيق مبادئ آيات العهد والميثاق في القرآن الكريم .
٦. إبراز أثر تلك المبادئ في حياة الناس .

❖ منهج البحث : -

المنهج الذي اعتمد عليه الباحث في دراسته هو المنهج الاستنباطي التحليلي والمنهج الاستنباطي:- " هو الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص لهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة"

(عبد الله ، فودة ١٤٠٨هـ ، ص ٤٣) " والمنهج التحليلي كما وضحه الميداني (١٤٠١هـ) " هو تجزئة الكل إلى أجزائه التي يتألف منها بسيطة كانت أو مركبة ، ودراسة كل جزء منها دراسة خاصة به لمعرفة صفاته وخصائصه ووظائفه ثم النظر في وجهة ترابط الأجزاء بعضها ببعض، وأداء كل جزء فيها وظيفته الخاصة به بحسب موضعه من الكل حتى أجمع منها الكل فأدى وظيفته الكبرى القائمة على تعاون الأجزاء. وبعد عملية التحليل للشئ الواحد أو لعدد من الأشياء وبعد النظر في صفات الأجزاء وخصائصها وما يمكن أن تقوم به من وظائف تأتي عملية إعادة التركيب ، وابتكار تركيب جديد يفترضه التخيل ملاحظاً الملاءمة بين التركيب الذي يتخيله وبين غاية الإنسان في الحياة " . (ص ١٣٩) .

واختيار هذا المنهج يفيد في إبراز المبادئ التربوية لآيات العهد والميثاق وذلك بدراسة الآيات الواردة في القرآن الكريم عن العهد والميثاق للتعرف على دلالاتها وجوانبها المختلفة بما يوافق النظرة الشمولية للتربية الإسلامية، وقام الباحث بالخطوات التالية لتنفيذ هذا البحث :

١. جمع الآيات التي وردت بلفظ العهد والميثاق .
٢. النظر في التفسير والشرح لهذه الآيات من كتب التفاسير مراعيًا أن تكون هذه التفاسير :

- أ - شاملة للبعد الزمني القديم والحديث .
- ب - ممثلة للمذاهب اللذين اهتمتا بالتفسير [كالتفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأي] .

ج - ممثلة لبعض الاتجاهات العلمية مثل [التفسير اللغوي ، وتفسير الأحكام ، تفسير الآداب والأخلاق] .

د - أن تكون تلك التفاسير معتمداً عليها لدى علماء الإسلام ومنها [جامع البيان للطبري ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، فتح القدير للشوكاني وغيرها]

٣. دراسة الآيات القرآنية من خلال تفاسيرها ، ومن ثم شرحها وتنظيمها وتبويبها حسب الموضوعات الرئيسية .

٤. تحليل الآيات القرآنية إلى عناصرها الأساسية وإدراك العلاقات والترابط بين العناصر .

٥. اقتراح أهداف للتربية بالعهد والميثاق وفقاً للمبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق .

٦. محاولة صياغة هذه الأهداف التربوية في برامج ووسائل يمكن تحقيقها بحيث لا يكون بحثاً نظرياً بعيداً عن الواقع .

❖ حدود البحث : -

حدد الباحث دراسته في استنباط المبادئ التربوية من الآيات التي وردت بلفظ العهد والميثاق بعد النظر إلى تفسير هذه الآيات في تفاسير الأئمة : الطبري ، ابن كثير ، الشوكاني ، وغيرهم .

ومن ثم استنتاج المبادئ التربوية التي يتوصل إليها الباحث ومدى تطبيقها وهذه الآيات هي :

رقم الآية	اسم السورة	رقم الآية	اسم السورة
١٨٣،٨١،٧٧،٧٦ ١٨٧،	آل عمران	١٢٤،١٠٠،٩٣،٨٤،٨٣،٨٠،٦٣،٤٠،٢٧ ١٧٧،١٢٥	البقرة
١٤٤،١٣،١٢،٧ ٧٠	المائدة	٩٢،٩٠،٢١،٢٠ ١٥٥،١٥٤	النساء
١٦٩،١٣٤،١٠٢	الاعراف	١٥٢	الانعام
٧٥،١٢،٧،٤٤،١ ١١١	التوبة	٧٢،٥٦	الانفال
٢٥،٢٠	الرعد	٨٠،٦٦	يوسف
٣٤	الاسراء	٩٥،٩١	النحل
١١٥،٨٦	طه	٨٧،٧٨	مريم
٢٣،١٥،٧	الاحزاب	٨	المؤمنون
٤٩	الزخرف	٦٠	يس
٨	الحديد	١٠	الفتح
		** ٣٢	المعارج

مصطلحات البحث :-

أولاً المبادئ :

يقول أنيس (د.ت) ” مبدأ الشيء أوله ومادته التي يتكون منها كالتوايه مبدأ النخل ، أو يتركب منها ، وكالحروف مبدأ الكلام ، والجمع : مبادئ ، ومبادئ العلم أو الفن أو الخلق أو الدستور أو القانون : قواعد الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها“ (ج ١ ص ٤٢) .

ويقول النحلوي (١٤٠٨ هـ) ” تأتي المبادئ على الأغلب مصرحاً بها ، أو متضمنة في البحوث أو القصص أو التشريعات . ومبادئ التربية الإسلامية يجدها الباحث موزعة في القرآن والسنة بعضها صريح وبعضها ضمني يمكن استنباطه من القرآن والسنة“ (ص ٥٥) .



وتعريف المباديء التربوية التي يراها الباحث هي : -

الأصول والقواعد الأساسية التي يقوم عليها ارتباط العبد بربه، ومهمته في مجتمعه الذي يعيش فيه ليكون لبنة صالحة في بناء المجتمع وتماسكه .

ثانياً العهد :

قال ابن منظور (١٤١٠ هـ) العهد : ” العهد كل ما عُوِّدَ الله ، وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد وأمرُ اليتيم من العهد . وكذلك كل ما أمر الله به في هذه الآيات ونهى عنه“ (ج ٣ ص ١١)

ثالثاً الميثاق :

قال ابن زكريا (١٣٩٩ هـ) : ” وثق : الواو والشاء والقاف كلمة تدل على عقد وإحكام ، ووثقت الشيء : أحكمته وناقاة موثقة الحلق . والميثاق : العهد المحكم“ (ج ٦ ص ٨٥) .

وقال الفيروز آبادي (د . ت) : ” الميثاق : عقد يؤكد يمين وعهد، وأخذت الميثاق بمعنى الاستحلاف“ (ج ٥ ص ١٥) .

❖ الدراسات السابقة :-

ويقصد بها الرسائل العلمية ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالي وبعد سؤال الباحث^(١) وإطلاعه على قوائم الرسائل الجامعية فإن الدراسة التي لها علاقة بهذا البحث هي : -

العهود ووجوب الوفاء بها على ضوء الكتاب والسنة :

للطالبة : سامية محمد مختار خالد - بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية من جامعة أم القرى بمكة عام ١٤٠١ هـ وهي

(١) عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ومركز البحوث التربوية والنفسية بجامعة أم القرى

غير منشورة .

ويهدف هذا البحث إلى بيان حقيقة الوفاء والصدق والإخلاص لعل المسلمين يعرفون هذه الحقيقة ويعودون إلى ما كان عليه آباؤهم وأجدادهم من قوة الإيمان والإخلاص والوفاء لمن والاهم ، وترك الغدر والخيانة .

منهج البحث : جمع الآيات والأحاديث النبوية الشريفة التي تتعلق بالوفاء بالعهد ودراسة تفسير الآيات وشرح الأحاديث النبوية ومن ثم استخلاص كل ما يتعلق بوجوب الوفاء بالعهد .

وقد تكون هذا البحث من باين ثم الخاتمة ، وكان من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث مايلي :-

- ١ - أن العهد شامل لجميع امور الدين الإسلامي من أوامره ونواهيه .
- ٢ - أن الوفاء بالعهد فضيلة من الفضائل التي يجب على المسلم ان يتمسك بها ليكون من المؤمنين الصادقين .
- ٣ - الوفاء بالعهد أساس قوة الشعوب وهبتها من بين الدول .
- ٤ - اختلاف المعاهدات من زمن لآخر على قدر اختلاف البشر في معتقداتهم وأهدافهم البشرية .
- ٥ - ان الغدر رذيلة من الرذائل التي حرمها الإسلام وجعلها كبيرة من الكبائر، وأنها تنقض الإيمان وصاحبها ملعون من الله ومن الناس أجمعين .
- ٦ - حرص الإسلام الشديد على تحريم الغدر ، ووصف صاحبه بالنفاق والحقد .
- ٧ - أثر الغدر على الشعوب والأفراد وما يحصل فيهم من ضياع وشقاق .
- ٨ - الاقتداء بالسابقين الأولين لتكوين مجتمع مسلم متمسك ذا كلمة واحدة وهدف واحد وفي ذلك إسعاد البشرية والمسلمين .

ووجه الشبه بين الدراسة السابقة ، والدراسة الحالية : أنهما يهتمان بقضية العهود ولكن الدراسة السابقة تهدف إلى وجوب الوفاء بالعهد على ضوء الكتاب

والسنة، والتحذير من الغدر وبيان عاقبته الوخيمة ، دراسة شرعية .
بينما الدراسة الحالية اهتمت بقضية العهد والميثاق معاً من خلال جمع الآيات
الواردة بلفظ العهد والميثاق ، وإبراز المبادئ التربوية المستنبطة منهما
وكيفية توظيف هذه الآيات توظيفاً تربوياً يساعد على ترابط وتكاتف أفراد
المجتمع حتى يكون مجتمعاً صالحاً تنبثق قيمه وتعاليمه من معين التربية الإسلامية التي
جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية . ومجالات تطبيق هذه المبادئ على مستوى
الأسرة ، والمدرسة، ووسائل الإعلام ، والمجتمع، فمن هنا يظهر الفرق بين
الدراستين .

الفصل الثاني

مدخل إلى البحث

﴿مَهَيَّدٌ﴾

﴿معنى العهد والميثاق في اللغة﴾

﴿معاني كلمات العهد والميثاق في القرآن﴾

﴿العهود والمواثيق التي وردت في القرآن الكريم﴾

أولاً: العهد والميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم

ثانياً: العهد والميثاق الذي أخذه الله على النبيين

ثالثاً: العهد والميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل

رابعاً: العهود والمواثيق النبوية في القرآن الكريم

﴿أهمية العهود والمواثيق في بناء المجتمع﴾

❁ تَهْيِيدٌ :

تميزت هذه الأمة بمكانة سامقة عن غيرها من الأمم بما حباها تبارك وتعالى بأفضل الكتب وأكملها وهو القرآن الكريم وبأفضل الرسل وأشرفهم وهو محمد بن عبد الله. ففي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المنهج الواضح، والطريق المستقيم الذي يحفظ للأمة عقيدتها الصحيحة التي لا يشوبها كدر والتي تعصم من تمسك بها من الانزلاق في المعتقدات الفاسدة.

فجاء القرآن الكريم بنظام شامل وكامل للحياة البشرية، يرشد الإنسان إلى أن يسلك طريق الخير ويتعد عن طريق الشر ليوصله إلى الكمال الإنساني، لا تتابه القلاقل والفتن وتزعزع أركانها الأفكار والاتجاهات المختلفة يمنة ويسرة فيصبح يعاني من صراع مع نفسه. فالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة صانت الإنسان وحددت له حدوداً لتضمن لنفسه الحفظ والصيانة فحددت سلوكيتها وتصرفاتها في مختلف ميادينها. ولا شك أن للعهد والميثاق أثر في كبح جماح النفس المتهورة.

وآيات العهد والميثاق في القرآن الكريم لا تعدو في جملتها أن تكون قرآناً يتلى في السور المكية والمدنية. وهذا الفصل يبين معاني العهد والميثاق في لغة العرب ومعانيهما في القرآن الكريم ثم العهود والمواثيق التي تضمنها القرآن الكريم من: العهد والميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم، وعلى النبيين، وعلى بني إسرائيل، وكذلك العهود والمواثيق النبوية التي وردت في القرآن الكريم وأهمية العهود والمواثيق في بناء المجتمع. وهذا ما ستعرفه في هذا الفصل.

❁ معنى العهد والميثاق في اللغة:

العهود:

جمع مفردة عهد وفعله عَهَدَ يَعْهَدُ يَعْهَدُ، ويأتي العهد على عدة معان هي:-

١. العَهْدُ: الوصية، يقال عَهَدَ إِلَى فِي كَذَا أَي أَوْصَانِي.
٢. العَهْدُ: التقدم للمرء في الشيء، ومنه العَهْدُ الَّذِي يُكْتَبُ لِلْوَلَاةِ، والجمع: عهود وقد عهد إليه عهداً.
٣. العَهْدُ: الموثق واليمين يحلف بها الرجل، والجمع كالجمع، تقول: علي عَهْدُ اللَّهِ وميثاقه، وقيل: ولي العهد، لأنه ولي الميثاق الذي يؤخذ على مَنْ بَايَعَ الخليفة.
٤. العَهْدُ: الحفاظ ورعاية الحرمة.
٥. العَهْدُ: الوفاء
٦. العَهْدُ: الأمان، قال شمر: العَهْدُ الأمان وكذلك الذمة، تقول: أَنَا أُعْهِدُكَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ أَي: أَوْمِنُكَ مِنْهُ، ومنه اشتقاق العُهُدَّةِ.
٧. العَهْدُ: الالتقاء وَعَهْدَ الشَّيْءِ عَهْدًا عَرَفَهُ، ومن العهد أن تعهد الرجل على حال أو في مكان يقال عهدي به في موضع كذا، وَعَهْدُتُهُ بِمَكَانٍ كَذَا: أَي لِقِيَتَهُ وعهدي به قريب. وقول ابن خراش الهذلي:
ولم أنس أياماً لنا ولياليا بحلية إذ نلقى بها مانحاول
فليس كعهد الدار يأم مالك ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
أي ليس الأمر كما عهدت ولكن جاء الإسلام فهدم ذلك وأراد بالسلاسل الإسلام وأنه أحاط برقابنا فلا نستطيع أن نعمل شيئاً مكروهاً.
٨. العَهْدُ: مَا عَهْدْتَهُ فَتَأَفَّنْتَهُ، يقال: عهدي بفلان وهو شاب أي: أدركته فرايته كذلك.

٩. العَهْدُ: المنزل الذي لا يزال القوم إذا انتأوا عنه رجعوا إليه.

١٠. العَهْدُ: أول المطر، والوَلِيُّ الذي يليه من الأمطار.

(الزبيدي ١٤١٤هـ - ص ١٤٤ - ١٤٦، ابن منظور، ١٤١٠هـ - ج ٣ ص ٣١١ - ٣١٣)

١١. العَهْدُ: الزمان، كالعهدان بالكسر

١٢. العَهْدُ: بمعنى التوحيد

١٣. العَهْدُ: الضمان (الزبيدي، ١٤١٤هـ، ج ٥، ص ١٤٦)

معنى الموائيق:

١. الموائيق جمع مفردة ميثاق، والميثاق العهد والحكم. (ابن زكريا، ١٣٩٩هـ،

ج ٦، ص ٨٥)

٢. الميثاق: عقد يُؤكّد بيمين وعهد، وأخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف.

[الفيروزابادي، د. ت. ج ٥، ص ١٥٨].

٣. المَوْثِقُ والمِيثَاقُ: العَهْدُ، صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها، والجمع: الموائيق

على الأصل وفي المحكم: والجمع: الموائيق. (ابن منظور، ١٤١٠هـ - ج ١٠، ص ٣٧١)

هناك معان أخرى لمشتقات هذه الكلمة، ولكن هذه المعاني التي تهتم هذا البحث.

❁ معاني كلمات العهد والميثاق في القرآن الكريم

أولاً: كلمة العهد:

١. العهد. بمعنى وصية الله إلى خلقه وأمره إياهم بطاعته ونهيه إياهم عن معصيته في عدة مواضع منها:

(أ) قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾. سورة البقرة ٢٧٥

(ب) قال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنسِي وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾.

سورة طه ١١٥

٢ - العهد. بمعنى الوعد والالتزام واليمين.

قال تعالى ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾. سورة البقرة ٨٠

٣ - العهد. بمعنى العقد والميثاق.

قال تعالى ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَدَّه فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾. سورة البقرة ١٠٠

٤ - العهد. بمعنى الأمانة.

قال تعالى ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

سورة آل عمران ٧٦.

٥ - العهد. بمعنى كل ما أخذه الله على بني إسرائيل من وجوب الإيمان به وتصديق رسله.

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. سورة آل عمران ٣٧

٦ - العهد. بمعنى ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذور وغيرها.

قال تعالى ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾. سورة الأنعام ١٥٢

٧ - العهد. بمعنى الاستيداع.

قال تعالى ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾. سورة الأعراف ١٣٤
٨ - العهد بمعنى اليمين.

قال تعالى ﴿وَإِنْ نَكُنَّا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾. سورة التوبة ١٢
٩ - العهد بمعنى البيعة والتزام أحكام الدين بعد الدخول فيه.

قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾. [سورة النحل ٩١].
١٠ - العهد بمعنى الإيمان وجميع الأعمال الصالحة.

قال تعالى ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾. سورة مريم ٨٧
١١ - العهد بمعنى الزمان.

قال تعالى ﴿أَفْطَالٍ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾. سورة طه ٨٦

ثانياً: كلمة الميثاق

١ - الميثاق بمعنى العهد المؤكد باليمين.

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾. سورة البقرة ٢٧

٢ - الميثاق بمعنى ما أخذه الله على بني اسرائيل من عهد وميثاق.

قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾. سورة البقرة ٦٣

٣ - الميثاق بمعنى ما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق.

قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾.

سورة آل عمران ٨١.

٤ - الميثاق بمعنى عقد النكاح.

قال تعالى ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾. سورة النساء ٢١

٥ - الميثاق بمعنى العهود والمواثيق التي عقدها رسول الله ﷺ مع بعض المشركين.

قال تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾. سورة النساء ٩٠.

٦ - الميثاق بمعنى البيعة.

قال تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّقْتُمْ بِهِ إِذْ قَلَّمْتُمْ سَمْعَنَا

وَأَطَعْنَا﴾. سورة المائدة ٧.

٧ - الميثاق بمعنى ما أخذه الله على النصارى من عهد وميثاق على لسان عيسى

ابن مريم عليه السلام.

قال تعالى ﴿وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾. سورة المائدة ١٤

٨ - الميثاق بمعنى العهد بين يعقوب وابنائيه.

قال تعالى ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ

يَحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾. سورة يوسف ٦٦.

٩ - الميثاق بمعنى العهد بين الله وبين العباد، وبين العباد بعضهم مع بعض.

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾. (سورة الرعد ٢٠).

١٠ - الميثاق بمعنى ما أخذه الله على ذرية آدم وهم في صلب أبيهم (الميثاق

الأول) قال تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ

مِيثَاقَكُمْ إِذْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. سورة الحديد ٨.

هذه معاني العهد والميثاق التي وردت في القرآن الكريم . وقد بينت هذه المعاني

بعد استقراء كتب التفسير^١ واستخلاص أهم المعاني الواردة فيها مختصراً لذلك ،

(١) انظر تفسير الآيات في

١- تفسير الطبري (د.ت)

ومتجنباً الخلاف تبعاً للمنهج الذي أسير عليه ، ويتضح ذلك جلياً عند أثر العهود والمواثيق في تربية الأمة في جميع جوانب الحياة العقديّة والتعبديّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة .

وبعد بيان العهد والميثاق في اللغة والقرآن الكريم، قد يسأل سائل هل العهد والميثاق مصطلح واحد أم لا ؟ وللإجابة على هذا السؤال : يجدر بالباحث أن يبين ذلك :

كما مر في معاني كلمات العهد والميثاق في القرآن الكريم : أن العهد أعم من الميثاق فالعهد يأتي لمعاني غير معنى الميثاق كما سبق وجاء أيضاً بمعنى الميثاق في أكثر المواضع .

أما الميثاق فهو أخص ، فبتتبع الآيات التي وردت فيها لفظ الميثاق نجد أن المفسرين فسروها بالعهد وقد سبق بيان ذلك .

وخلاصة القول في هذا أن أغلب الكلمات التي وردت في القرآن الكريم بلفظ العهد والميثاق معناها واحد ، وذلك أن ماورد بلفظ العهد فكثير منها بمعنى الميثاق ، وما ورد بلفظ الميثاق فمعناها العهد ، وعلى ضوء هذا ندرك أن أكثر الآيات التي وردت بهذين اللفظين فمعناهما واحد ، إلا عدد قليل من الآيات تحمل معنى العهد دون الميثاق . والله أعلم .

٢- تفسير ابن كثير (١٤٠٧ هـ)

٣- تفسير القرطبي (د. ت)

٤- زاد المسير علم التفسير (١٤٠٤ هـ)

٥- التحرير والتنوير (١٩٨٤ م)

❁ العهود والمواثيق في القرآن الكريم .

أولاً : العهد والميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم .

١- قال تعالى ﴿وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى

أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

سورة الأعراف ١٧٢

أقوال أئمة التفسير في هذه الآية :

أ- قال الطبري (د.ت)

” واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم . فقررهم بتوحيده

وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك وإقرارهم به“

(ج٩ص١١٠).

ب- وقال ابن كثير (١٤٠٧هـ).

يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله

ربهم ومليكهم ، وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه))

(ج٢ص٢٦١).

ج- قال قطب، سيد (١٤٠٠هـ)

إنها قضية الفطرة والعقيدة يعرضها السياق القرآني في صورة مشهد،

وإنه لمشهد فريد .. مشهد الذرية المكونة في عالم الغيب السحيق ، المستكنة

في ظهور بني آدم قبل أن تظهر إلى العالم المشهود ، تؤخذ في قبضة الخالق

المربي ، فيسألها : ((ألسنت بربكم؟)) فتعترف له سبحانه بالربوبية ، وتقر له

سبحانه بالعبودية ، وتشهد له سبحانه بالوحدانية ، وهي منشورة كالذر ،

مجموعة في قبضة الخالق العظيم!

إنه مشهد كوني رائع باهر، لاتعرف اللغة له نظيراً في تصوراتها

المأثورة ! وإنه لمشهد عجيب فريد حين يتملاه الخيال البشري جهد طاقته

وحينما يتصور تلك الخلايا التي لاتحصى وهي تجمع وتقبض .. وهي

تخاطب العقلاء - بما ركب فيها من الخصائص المستكنة التي أودعها إياها

ويؤخذ عليها الميثاق في الأصلاب!

وإن الكيان البشري ليرتعش من أعماقه وهو يتملى هذا المشهد الرائع الباهر الفريد . وهو يتمثل الذر السابح وفي كل خلية حياة وفي كل خلية استعداد كامن . وفي كل خلية كائن إنساني مكتمل الصفات ينتظر الإذن له بالنماء والظهور في الصورة المكنونة له في ضمير الوجود المجهول ويقطع على نفسه العهد والميثاق قبل أن يبرز إلى حيز الوجود المعلوم .

لقد عرض القرآن الكريم هذا المشهد الرائع الباهر العجيب الفريد لتلك الحقيقة الهائلة العميقة المستكنة في أعماق الفطرة الإنسانية وفي أعماق الوجود عرض القرآن هذا المشهد قبل قرابة أربعة عشر قرناً من الزمان حيث لم يكن إنسان يعلم عن طبيعة النشأة الإنسانية وحقائقها إلا الأوهام ! ثم يهتدي البشر بعد هذه القرون إلى طرف من هذه الحقائق وتلك الطبيعة . فإذا العلم يقرر أن الناسلات وهي خلايا الوراثة التي تحفظ سجل الإنسان وتكمن فيها خصائص الأفراد وهم بعد خلايا في الأصلاب .. إن هذه الناسلات التي تحفظ سجل ثلاثة آلاف مليون من البشر وتكمن فيها خصائصهم كلها ، لا يزيد حجمها على سنتيمتر مكعب أو مايساوي ملء قمع من أقماع الخياطة! .. كلمة لو قيلت للناس يومذاك لاتهموا قائلها بالجنون والخبال! وصدق الله العظيم: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ . سورة فصلت ٥٣ (ج ٣ ص ٣٩٢).

ونقل المراغي (د.ت) عنابن القيم في كتاب الروح في سياق البحث في خلق الأرواح قبل الأجساد ماخلاصته: إن الله تعالى استخرج صور البشر وأمثالهم ، فميز شقيهم وسعيدهم ومعافهم من مبتلاهم ، والآثار متظاهرة به مرفوعة ، وإن الله أقام عليهم الحجة حينئذ وأشهدهم بربوبيته واستشهد عليهم ملائكته كما تدل على ذلك الآية .

قال أبو إسحاق: جازئ أن يكون الله سبحانه جعل لأمثال الذر التي أخرجها فهما تعقل به كما قال ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ سورة النمل: ١٨ وقد سخر

مع داود الجبال تسبح معه والطير . إن الله أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاّب أولاده وهم في صورة الذر فأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعون له ، فاعترفوا بذلك وفعلوا، وذلك بعد أن ركب فيهم عقولاً عرفوا بها ماعرض عليهم كما جعل للجبيل عقلاً حين خوطب ، وكما فعل بالبعير حين سجد، وبالنخلة حتى سمعت وانقادت حين دعيت.

إنه سبحانه قد أثبت الحجة على كل منفس من يبلغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذي أخذه عليهم، وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التي نصبها في نفسه وفي العالم وبالرسل المنفذة إليهم مبشرين ومنذرين، وبالمواعظ بالمثلثات المنقولة إليهم أخبارها، غير أنه عز وجل لا يطالب أحد منهم بالطاعة إلا بقدر ما لزمه من الحجة، وركب فيهم من القدرة وآتاهم من الأدلة، وبين سبحانه ما هو عامل في البالغين الذين أدركوا الأمر والنهي، وحجب عنا علم ما قدره في غير البالغين ، إلا أنا نعلم أنه عدل لا يجور في حكمه، وحكيم لا تفاوت في صنعه وقادر لا يسأل عما يفعل له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين .

(ج ٣ ص ١٠٤) .

وقد دلت على هذا العهد أحاديث كثيرة منها :-

أ - وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أخذ الله تعالى الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها، فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم فتلا فقال: ألسن بربكم قالوا ﴿بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا

غافلين﴾ إلى قوله ﴿بما فعل المبطلون﴾

رواه الطبري وأحمد ^(١) وقال الهيثمي بجمع الزوائد: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. (الهيثمي، ١٤١٢ هـ - ٧٧٥ ص ١٨٩).

ب - عن أنس رضي الله عنه يرفعه: (إن الله يقول لأهون أهل النار عذاباً : لو أن لك ما في

(١) تفسير الطبري ج ٩ ص ١١١ . مسند أحمد ج ١ ص ٢٨٢ .

الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال نعم قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك فأبيت إلا الشرك)

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب أحاديث الأنبياء ج ٤ ص ١٢٥ رقم الحديث ٣٣٣٤)

٢ - قال تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

سورة يس ٦٠

أ- قال القرطبي (د.ت)

العهد هنا بمعنى الوصية. أي ألم أوصيكم وأبلغكم على السنة الرسل (ج ١٥ ص ٤٧).

ب- وقال ابن عاشور (١٩٨٤م)

والعهد الوصاية ، ووصاية الله بني آدم بالألا يعبدوا الشيطان هي ماتقرر واشتهر في الأمم وبما جاء به الرسل . (ج ٢٣ ص ٤٦).

الآيتان التي وردت في القرآن الكريم في أخذ العهد على ذرية آدم وهناك كثير من الأقوال والآثار حول هذا العهد ولكن اكتفي بأهم شيء في ذلك .

والعهد الذي أخذه الله على ذرية آدم عليه السلام هو الإيمان به وعدم الإشراك به .

ومما يجدر الإشارة إليه أنه لاتناقض بين العهد والميثاق والفطرة التي فطر عليها الإنسان. بل إن المولود يولد على الفطرة السوية كما بينت ذلك الأحاديث الصحيحة^(١) لأنه أعطى العهود والمواثيق وأقر واعتقد اعتقاداً جازماً بربوبية الله وألوهيته ويولد على الوحداية ولكن التغيير شيء طارئ يطرأ على المولود عن طريق الوالدين أو عن طريق شياطين الإنس والجن تصرفه وتحرفه عن عهده وميثاقه وفطرته التي فطر عليها وهي الإسلام .

وعلى هذا لم يكن هذا العهد الذي أخذه الله تعالى على ذرية آدم كافياً في تربية الأمة وإعدادهم لمستقبل الحياة بل لابد من إرسال الرسل وإنزال الكتب لتقوم عليهم

(١) انظر الفصل الثالث .

الحجة ، وإذا كان هناك من البشر من لم يستمع إلى الأنبياء والمرسلين، ولم يهتدوا بهديهم وبما أرسلوا به فإنه له من فطرته سائقاً ودليلاً يحدوه إلى ربه جل وعلا ويصره به مهما تعددت أنواع الفساد في الأرض.

فيجب على الأمة أن تتذكر العهد والميثاق الأول لأنه أساس كرامتها في الدنيا وسعادتها في الآخرة، ولا يكون الوفاء بهذا العهد إلا بذكر الله تعالى وطاعته واتباع ما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، ولتعلم العلم اليقين أنها ما خلقت إلا لعبادته سبحانه. ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ سورة الذاريات ٥٦

ثانياً: العهد والميثاق الذي أخذه الله على النبيين.

١ - قال تعالى ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾.

سورة آل عمران ٨١

٢ - وقال تعالى ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾. سورة الأحزاب: ٧

تفسير الآية الأولى:

قال القرطبي (د.ت):

أخذ الله تعالى ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً ويأمر بعضهم بالإيمان بعضاً؛ فذلك معنى النصرة بالتصديق. وقال طاوس: أخذ الله ميثاق الأول من الأنبياء أن يؤمن بما جاء به الآخر.

(ج ٤، ص ١٢٤).

وقال ابن كثير (١٤٠٧ هـ):

يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه

السلام لهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أي مبلغ ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه ولايمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بُعث بعده ونصرته. (ج ١، ص ٣٨٦).

تفسير الآية الثانية:

قال الفخر الرازي (د.ت):

واذكر أن الله أخذ ميثاق النبيين في أنهم يبلغون رسالات الله ولايمنعهم من ذلك خوف ولاطمع وفيه مسائل منها:
(المسألة الأولى) المراد من الميثاق المأخوذ من النبيين إرسالهم وأمرهم بالتبليغ.

(المسألة الثانية) خص بالذكر أربعة من الأنبياء وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى لأن موسى وعيسى كان لهما في زمان نبينا قوم وأمة فذكرهما احتجاجاً على قومهما، وإبراهيم كان العرب يقولون بفضله وكانوا يتبعونه في الشعائر بعضها، ونوحاً لأنه كان أصلاً ثانياً للناس حيث وجد الخلق منه بعد الطوفان، وعلى هذا لو قال قائل فآدم كان أولى بالذكر من نوح فنقول خلق آدم كان للعمارة ونبوته كانت مثل الإرشاد للأولاد ولهذا لم يكن في زمانه إهلاك قوم ولا تعذيب، وأما نوح فكان مخلوقاً للنبوة وأرسل للانذار ولهذا أهلك قومه وأغرقوا.

(المسألة الثالثة) قوله ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ غلظ الميثاق هو

سؤالهم عما فعلوا في الإرسال كما قال تعالى ﴿وَلِنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ وهذا لأن الملك إذا أرسل رسولاً وأمره بشيء وقبله فهو ميثاق. فاذا أعلمه بأنه يُسأل عن حاله في أفعاله وأقواله يكون ذلك تغليظاً للميثاق عليه حتى لايزيد ولاينقص في الرسالة. (ج ٢٥، ص ١٩٦).

فالعهود والمواثيق التي أخذت على النبيين هي أن يصدق بعضهم بعضاً وأخذ الأنبياء العهد والميثاق على أممهم على الاتباع من تصديق المرسلين وبما جاؤ به من الشرائع وبما أنزل عليهم من كتب.

قال قتادة: ميثاق الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسالهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه.

وعن طاوس قال: أخذ الله ميثاق الأول من الأنبياء ليصدقن وليؤمنن بما جاء به الآخر منهم. (الطبري .د.ت، ج.٣، ص.٣٣١).

فهتان الآيتان تبين لنا عن عهد غليظ أخذه الله تعالى على الأنبياء عامة وأولى العزم خاصة وهم صفوة الصفوة من الرسل وأولهم محمد ﷺ من أجل تبليغ الدعوة والنصح والإرشاد لعباد الله إلى الطريق المستقيم، وتربية الأمة على الالتزام بشرائع الدين وأحكامه لئلا يكون للناس على الله حجة فكانوا صلوات الله وسلامه عليهم عند التزامهم وخير الوافين بعهودهم. لقد عاداهم القربون من أهليهم وذويهم وفكر المشركون في قتل بعضهم وخرجوهم من ديارهم وآذوهم وطاردوهم فمآزدهم ذلك إلا ثباتاً على الحق ووفاء بالعهد وصدقاً في الوعد فجزاهم الله تعالى عما أرسلوا إليهم وعن البشرية جمعاء خير الجزاء.

ثالثاً: العهد والميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل: -

١ - قال تعالى ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي

أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ سورة البقرة ٤٠

٢ - قال تعالى ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قَالِمْ جَاءَهُمْ

رَسُولٌ بِمَا لَاتَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ سورة المائدة ٧٠

٣ - قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَاتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَاتَخْرَجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ

دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ ﴾ سورة البقرة ٨٤

إلى غير ذلك من الآيات التي وردت في القرآن الكريم، والتي بينت وفصلت

العهود والمواثيق التي اخذت على بني اسرائيل، فكما أخذ الله تعالى العهد والميثاق على النبيين وعلى الصفوة المختارة من الرسل الكرام، فهناك عهود ومواثيق أخذها الله على بعض الأمم، ولكل ميثاق هدفه ولكل عهد أغراضه، ومما يلاحظ في هذه الآيات أن التي وردت في بني إسرائيل كثيرة جداً وإذا دل على شيء فإنما يدل على أن النقص طبيعتهم والغدر شيمتهم وإلا فعهد واحد كان يكفي. فهم نقضوا العهد والميثاق مع الله عز وجل ونقضوا العهد والميثاق مع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، ونقضوا العهد والميثاق مع بعضهم البعض، ولم يلتزموا بعهد أو ميثاق. واكتفى الباحث بهذه الآيات من أجل أن لا يكون هناك تكرار في الفصول القادمة.

تفسير الآية الأولى:

قال رضا (١٣٩٣هـ):

عهد الله تعالى إليهم يعرف من الكتاب الذي نزله إليهم، فقد عهد إليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً؛ وأن يؤمنوا برسله متى قامت الأدلة على صدقهم، وأن يخضعوا لأحكامه وشرائعه، وعهد إليهم أن يرسل إليهم نبياً من بني إخوانهم أي بني إسماعيل يقيم شعباً جديداً. هذا هو العهد الخاص المنصوص، ويدخل في عموم العهد عهد الله الأكبر الذي أخذه على جميع البشر بمقتضى الفطرة وهو التدبير والتروي، ووزن كل شيء بميزان العقل والنظر الصحيح، لا بميزان الهوى والغرور، ولو التفت بنو إسرائيل إلى هذا العهد الإلهي العام، أو إلى تلك العهود الخاصة المنصوصة في كتابهم، لآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم واتبعوا النور الذي أنزل معه وكانوا من المفلحين، ولا حاجة إلى تخصيص العهد بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم كما فعل مفسرنا (الجلال) فإن الإيمان داخل في العهد العام وهو من أفراد العهد الخاص فلا دليل على قصر عموم العهد المضاف عليه.

هذا هو عهد الله وأما عهدهم فهو التمكين في الأرض المقدسة والنصر على الأمم الكافرة والرفعة في الدنيا وخفض العيش فيها. هذا هو الشائع في التوراة التي بين أيديهم، ولا شك أن الله تعالى قد وعدهم بسعادة الآخرة،

ولكن لادليل على هذا في التوراة إلا الإشارات، ولذلك ظن بعض الباحثين أن اليهود لا يؤمنون بالبعث. ومع هذا يقول (الجلال) كغيره إن هذا العهد هو دخول الجنة ويقتصر عليه.

ولما كان من موانع الوفاء بالعهد الذي فشى تركه في شعب إسرائيل خوف بعضهم من بعض لما بين الرؤساء والمرؤسين من المنافع المشتركة عقب الأمر بالوفاء بقوله ﴿وَأَيَّاهُ فَارْهَبُونَ﴾ أي إن كنتم تخافون فوت بعض المنافع، ونزول بعض المضار بكم إذا خالفتهم الجماهير واتبعتهم الحق، فالأولى أن لا تخافوا ولا ترهبوا إلا من بيده أزمة المنافع كلها، وهو الله الذي أنعم عليكم بتلك النعمة الكبرى أو النعم كلها، وهو القادر على سلبها، وعلى العقوبة على ترك الشكر عليها، فارهبوه وحده لا ترهبوا سواه. (ج ١، ص ٢٩٠)

تفسير الآية الثانية:

يقول ابن كثير (١٤٠٧ هـ):

يذكر تعالى أنه أخذ العهود والمواثيق على بني إسرائيل على السمع والطاعة لله ولرسله فنقضوا تلك العهود والمواثيق واتبعوا آراءهم وأهواءهم وقدموها على الشرائع فما وافقهم منها قبلوه وما خالفهم ردّوه، ولهذا قال تعالى ﴿كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ وَحَسَبُوا أَن لَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي وحسبوا أن لا يترتب لهم شر على ما صنعوا فترتب، وهو أنهم عموا عن الحق وصموا فلا يسمعون حقاً ولا يهتدون إليه ثم تاب الله عليهم أي مما كانوا فيه ثم عموا وصموا بعد ذلك. (ج ٢، ص ٣٨).

ويقول قطب. سيد (١٤٠٠ هـ):

” ويتخلل هذا الإستعراض للمواثيق ومواقف أهل الكتاب منها، كشف لما وقع في عقائد اليهود والنصارى من انحراف نتيجة نقضهم لهذه المواثيق؛ التي عاهدهم الله فيها على توحيدهِ والإسلام له؛ في مقابل ما أعطاهم من النعم، وما ضمن لهم من التمكين؛ فأبوا ذلك كله على أنفسهم؛ فباءوا باللعنة والفرقة والتشريد... كذلك يتضمن دعوتهم من إلى الهدى... الهدى الذي جاءتهم به الرسالة الأخيرة؛ وجاءهم به الرسول الأخير. ودحض ما قد يدعونه من حجة في أنه طال عليهم الأمد، ومرت بهم فترة طويلة منذ آخر أنبيائهم، فنسوا ولبس عليهم الأمر... فهذا هو ذا قد جاءهم بشير ونذير. فسقطت الحجة، وقام الدليل.

ومن خلال هذه الدعوة، تتبين وحدة دين الله - في أساسه - ووحدة ميثاق الله مع جميع عباده: أن يؤمنوا به، ويوحده، ويؤمنوا برسله دون تفريق بينهم، وينصروهم، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وينفقوا في سبيل الله من رزق الله.. فهو الميثاق الذي يقرر العقيدة الصحيحة، ويقرر العبادة الصحيحة، ويقرر أساس النظام الإجتماعي الصحيح“.. (ج٢، ص٨٥٦).

تفسير الآية الثالثة:

قال ابن كثير (١٤٠٧ هـ):

يقول الله تبارك وتعالى منكرًا على اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ بالمدينة وما كانوا يعانونه من القتال مع الأوس والخزرج، وذلك أن الأوس والخزرج وهم الأنصار كانوا في الجاهلية عباد أصنام، وكانت بينهم حروب كثيرة، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج وبنو قريظة حلفاء الأوس، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه فيقتل اليهودي أعداءه، وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر، وذلك حرام عليهم في دينهم ونص كتابهم، ويخرجونهم من بيوتهم وينتهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال ثم إذا وضعت الحرب أوزارها استفكوا الأساري من الفريق المغلوب عملاً بحكم

التوراة، ولهذا قال تعالى ﴿أَقْتُمُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ ولهذا قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ أي لا يقتل بعضكم بعضاً ولا يخرج من منزله ولا يظهر عليه.

ويعلق قطب سيد (١٤٠٠هـ) بقوله:

ولعله من أجل ذلك قص الله تاريخ بني إسرائيل على الأمة المسلمة في تفصيل وتطويل.. لعلها تتقي أن تكون كبني إسرائيل؛ ولعلها تحذر مزالق الطريق، أو لعل الواعين منها الموصولين بالله يدركون هذه المزالق؛ أو يتأسون بأنبياء بني إسرائيل حين يصادفون ما صادفوا وأجيال من ذراري المسلمين تنتهي إلى ما انتهى إليه بنو إسرائيل، حين طال عليهم الأمد فقسست قلوبهم؛ فتحكم الهوى؛ وترفض الهدى، وتكذب فريقاً من الدعاة إلى الحق، وتقتل فريقاً؛ كما صنع بُغاة بني إسرائيل، في تاريخهم الطويل!

لقد صنع بنو إسرائيل تلك الآثام كلها؛ وهم يحسبون أن الله لن يفتنهم بالبلاء، ولن يأخذهم بالعقاب. حسبوا هذا الحسبان غفلة منهم عن سنة الله؛ وغروراً منهم بأنهم شعب الله المختار!. طمس الله على أبصارهم فلا يفقهون مما يرون شيئاً؛ وطمس على مسامعهم فلا يفيدون مما يسمعون شيئاً..

ويكفي أن يعرف الذين آمنوا هذا التاريخ القديم عن يهود، وهذا الواقع الجديد؛ لتنفّر قلوبهم المؤمنة من ولائهم.

(ج٢، ص٦٤٣).

فهذه العهود والمواثيق ملقاة على كاهل الأمة الإسلامية التي يجب عليها أن تلتزم بها وبالوفاء بها وأن لا تكون كبني إسرائيل ناقضين للعهود خالفين للوعود.

وعلى العماء أن يبينوا للناس أهمية العهود والمواثيق بين العباد وبين خالقهم جل وعلا، وينشروا العلم والفضيلة وهم ممن أخذ الله عليهم العهد في بيان هذا الدين ونشره، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْمُونَهُ﴾

سورة آل عمران ١٨٧

وذلك لا يكون إلا بتباع الرسل والسير على منهجهم فالأمة الإسلامية مطالبة

اليوم بنشر الدين وإيضاحه للناس بالحكمة والموعظة الحسنة كما ينبغي لكل فرد من أفرادها أن يجعل من نفسه وخلقه وسلوكه صورة حية للمتمسكين بهذا الدين، وأن الدين الإسلامي يدعوا إلى كل خير وفضيلة، فيقوم المجتمع الإسلامي وفق منهج رباني، حين يبذل المؤمن فيه دمه وماله وروحه من أجل الوفاء لهذا الدين ونشره وإعلاء كلمة التوحيد كما فعل الرسول ﷺ وصحابته الكرام ﷺ أجمعين.

ولقد كان للعهود والمواثيق أثر فعال في تربية الأمة في الصدر الأول من حيث إعدادها وتماسك بنيتها الاجتماعية تلك العناية الفائقة التي أولاهها القرآن الكريم لهذه الأمة تربية وإعداداً ينبغي للأمة الإسلامية اليوم أن تدرك ذلك الأثر، لتعرف حقيقتها التي من أجلها خلقت لتكون في طليعة الأمم لها القيادة والريادة إلى كل خير وصلاح. لا كما تفعله الدول الكافرة من الشرق والغرب رائدة في نشر الكفر والضلال والنيل من الأمة الإسلامية والطعن في معتقدها لتطفي نور الإسلام وعدله بشتى الوسائل، وقد استطاعت هذه الدول الكافرة أن تحصل على بعض متطلباتها عن طريق إرسال المبشرين أو وسائل الإعلام المختلفة حتى أصبحت الأمة الإسلامية على ما هي عليه اليوم من التخلف والتبعية، وأن لها أن تعود إلى رشدتها قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

سورة الأنفال ٥٣ .

وهذا ما وقع بالأمة الإسلامية فقد ابتعدت عن الدين وعن المنهج النبوي الكريم. وقد عهد الله إلى عباده جملة من العهود هي فعل المأمورات مثل العبادات بأنواعها المختلفة والمعاملات بأقسامها المتنوعة، والأخلاق الحميدة. واجتناب المنهيات مثل ترك العبادات والمعاملات مع الناس بالغش والخديعة والأخلاق الذميمة. نسأل الله السلامة والعافية.

رابعاً: العهود والمواثيق النبوية التي وردت في القرآن الكريم

أ - العهد والميثاق بين النبي ﷺ وصحابته على متابعتهم ومناصرته ومؤازرته.

قال تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾.

يقول ابن كثير (١٤٠٧ هـ):

يقول الله تعالى مذكراً عباده المؤمنين نعمته عليهم في شرعه لهم هذا الدين العظيم، وإرساله إليهم هذا الرسول الكريم وما أخذهم من العهد والميثاق في مبايعته على متابعتة ومناصرته ومؤازرته، والقيام بدينه وإبلاغه عنه وقبوله منه، وهذه هي البيعة التي كانوا يبايعون عليها رسول الله ﷺ عند إسلامهم كما قالوا: ((بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وأثره علينا وأن لا ننازع الأمر أهله)).

وهذا النوع من العهود والمواثيق بين النبي ﷺ وأصحابه تعطي منعطفات أساسية في تاريخ الأمة الإسلامية، فقد كان لبيعتي العقبة الأولى والثانية أهمية بالغة في تربية الأمة ونقطة كبيرة في تاريخ الدعوة. فمن خلال هذه الآية وغيرها فقد سمى الله تبارك وتعالى مبايعات الصحابة لرسوله ﷺ عهداً وميثاقاً وكان من مبايعاته ﷺ ما يلي:

١ - بيعة العقبة الأولى:

قال ابن إسحاق: فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز مواعده، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً. قال لهم: ((من أتم))؟ قالوا: نفر من الخزرج قال: "أمن موالي يهود"؟ قالوا: نعم، قال: "أفلا تجلسون أكلمكم"؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غلبوهم وقهروهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه نبتعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم

لبعض: يا قوم تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوا وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزُّ منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا. (ابن هشام د. ت، ج ٢، ص ٤٥٢).

أسماء هؤلاء النفر وبطونهم:

في موسم الحج من السنة (١١) من النبوة. ورسول الله ﷺ بعقبه منى فسمع أصوات رجال يتكلمون فعمدهم حتى لحقهم وكانوا ستة نفر من شباب يثرب كلهم من الخزرج وهم:

- ١ - أسعد بن زرارة (من بني النجار)
- ٢ - عوف بن الحارث بن رفاعة ابن عفراء (من بني النجار)
- ٣ - رافع بن مالك بن العجلان (من بني زريق)
- ٤ - قطبة بن عامر بن حديدة (من بني سلمة)
- ٥ - عقبة بن عامر بن نابي (من بني حرام بن كعب)
- ٦ - جابر بن عبد الله بن رثاب (من بني عبيد بن غنيم)

وهؤلاء الستة أسلموا في موسم الحج سنة (١١) من النبوة ووعدوا الرسول ﷺ إبلاغه رسالته في قومهم.

وفي الموسم التالي -موسم حج سنة (١٢) من النبوة- قدم من المدينة اثنا عشر رجلاً فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ في العام السابق، والسادس الذي لم يحضر هو جابر بن عبد الله بن رثاب، وسبعة سواهم وهم:-

- ٧ - معاذ بن الحارث ابن عفراء (من بني النجار)
- ٨ - ذكوان بن عبد القيس (من بني زريق)
- ٩ - عبادة بن الصامت (من بني غنيم)

- ١٠ - يزيد بن ثعلبة (من حلفاء بني غنيم)
١١ - العباس بن عباد بن نضلة (من بني سالم)
١٢ - أبو الهيثم بن التيهان (من بني عبد الأشهل)
١٣ - عويمر بن ساعدة (من بني عمرو بن عوف)

وهؤلاء جميعاً من الخزرج إلا الأخيران من الأوس (١).

على أي شيء كانت بيعة العقبة الأولى؟

عن عباد بن الصامت قال: كنت فيمن حضر بيعة العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء (٢) وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب: "على أن لا تشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بيهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء غفر، وإن شاء عذب".

(ابن هشام. د. ت. ج ٢، ص ٤٥٦)

ويقوي رواية ابن اسحاق في سيرة ابن هشام ما رواه البخاري في صحيحه عن عباد بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: (تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتون بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه). قال: فبايعناه على ذلك.

(البخاري، ١٤١١ هـ، ج ٤، ص ٣٠٢، رقم الحديث ٣٨٩٢)

(١) انظر سيرة ابن هشام (د. ت.) ج ٢، ص ٣٥٣ - ٤٥٦)، والرحيق المختوم، ١٤٠٨ هـ ص ١٣٩.
(٢) سميت بيعة النساء، إشارة إلى قوله تعالى ﴿يَأْيُهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِيهْتَانٍ يَفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.
سورة الممتحنة: ١٢

سفير الإسلام في المدينة:

وبعد أن تمت البيعة وانتهى موسم الحج بعث النبي ﷺ مع هؤلاء المبايعين أول سفير للإسلام إلى المدينة هو مصعب بن عمير ﷺ. ليعلم الناس شرائع الإسلام ويفقههم في دينهم، ويقرئهم القرآن، ويقوم بنشر الإسلام بين الذين لا يزالون على الشرك وكان لمصعب بن عمير إسهاماً بارزاً في تعليم وتربية الجماعة الإسلامية في المدينة، وقبل حلول موسم الحج التالي عاد مصعب بن عمير إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفوز وما تحقق في المدينة من نشر الدين الإسلامي ومشاعر طيبة نحوه ﷺ من أهلها.

٢ - بيعة العقبة الثانية:

وقعت هذه البيعة في السنة الثانية عشرة من البعثة النبوية الكريمة فقد رجع مصعب بن عمير سفير رسول الله إلى المدينة بعد تأدية مهمته التعليمية والتربوية والتي تتمثل في تعليم المسلمين من أهل المدينة القرآن الكريم وشحذ أذهانهم لتعاليم الإسلام وعرضه عليهم بأسلوب تربوي رصين وبطريقة مبتكرة فذة ليكونوا على بينة من دينهم الذي اعتنقوه.

وقد أكسبتهم الأحكام الشرعية التي تعلموها نظرة جديدة في الحياة عرفوا بها ما كانوا عليه من جهل وضلال مما أدى إلى رسوخ العقيدة في قلوبهم واستنارت بالحق أبصارهم.

قال ابن هشام (ط.د.ت):

” قال ابن إسحاق: حدثني معبد بن كعب، أن أخاه عبد الله بن كعب حدثه، أن أباه كعب بن مالك حدثه، قال كعب: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله العقبة من أوسط أيام التشريق، قال: فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه، وقلنا له: يا أبا

جابر، إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، إنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ثم دعواناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً، قال: فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحائنا لميعاد رسول الله، نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نساءنا: نسيبة بنت كعب، أم عمارة، إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسما بنت عمرو بن عدي بن نابي، إحدى نساء بني سلمة، وهي أم منيع.

قال: فاجتمعنا في الشعب نتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه العباس ابن عبد المطلب، وهو يؤمئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يامعشر الخزرج - قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها- إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أباي إلا الإنحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده.

قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يارسول الله، فخذ لنفسك وربك ما أحببت.

قال: فتكلم رسول الله ﷺ: فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: "أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم" قال: فأخذ البراء بن عمرو بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه أزرنا فبايعنا يارسول الله، فنحن والله أهل الحروب، وأهل الحلقة ورثناها كإبراً عن كإبراً قال: فاعترض القبول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الميثم بن التيهان، فقال: يارسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبلاً، وإنا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك

ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتَدْعَنَا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: ((بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتهم وأسالم من سالتهم)).

(ج ٢، ص ٤٦٣).

٣ - بيعة الرضوان:

١- قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبِيعُونَكَ إِنَّمَا يَبِيعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. سورة الفتح: ١٠

٢ - قال تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبِيعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. سورة الفتح: ١٨.

تفسير الآية الأولى:

يقول الطبري (د.ت):

” يقول تعالى ذكره لنبه محمد ﷺ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبِيعُونَكَ﴾ بالحديبية من أصحابك على أن لا يفروا عند لقاء العدو، ولا يولوهم الأدبار ﴿إِنَّمَا يَبِيعُونَ اللَّهَ﴾ يقول: إنما يبيعون ببيعتهم إياك الله، لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم بذلك“. (ج ٢٦، ص ٧٦).

ويقول أيضاً في تفسير الآية الثانية:

لقد رضي الله يا محمد عن المؤمنين ﴿إِذْ يَبِيعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ يعني بيعة أصحاب رسول الله ﷺ بالحديبية حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب، وعلى أن لا يفروا، ولا يولوهم الدبر تحت الشجرة، وكانت بيعتهم إياه هنالك فيما ذكر تحت الشجرة.

وكان سبب هذه البيعة ما قيل: إن رسول الله كان أرسل عثمان بن عفان برسالته إلى الملا من قريش، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء، فظن أنه قد قتل، فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم على ما وصفت، فبايعوه على ذلك، وهذه البيعة

التي تُسمى بيعة الرضوان.

وقعت هذه البيعة في غزوة الحديبية في السنة السادسة من الهجرة (١).

سبب هذه البيعة:

عن عكرمة مولى ابن عباس: " أن رسول الله ﷺ دعا عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليهم، ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت للحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت. معظماً لحرمة، فخرج عثمان إلى مكة، فلقه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها، فنزل عن دابته فحمله بين يديه، ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ . فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به. قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ ، فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قُتل".

وروى ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر " أن رسول الله ﷺ حين بلغه أن عثمان قد قتل، قال: لانبرح عتي نناجز القوم، ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت فكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت، ولكنه بايعنا على أن لا نفر، فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجند بن قيس أخو بني سلمة، كان جابر بن عبد الله يقول: لكأني أنظر

(١) انظر المجموع شرح المهذب (د.ت) ج ٧، ص ٧٨.

إليه لاصقاً يابط ناقته. قد اختبأ إليها، يستتر بها من الناس، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل.“ (الطبري د.ت ج ٦٢، ص ٨٥).

سئل الصحابة عليه السلام على أي شيء كانت البيعة فأجابوا بعدة إجابات أصحابها وأهمها هي:

١- قال البخاري ومسلم في صحيحهما: حدثنا قتيبة بن سعد، حدثنا حاتم عن يزيد أن أبي عبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله يوم الحديبية؟ قال: على الموت.

(البخاري ١٤١١هـ، كتاب المغازي، ج ٥، ص ٧٨، رقم الحديث ١٨٦٠)، والنيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب الإمامة، ج ٣، ص ١٤٨٦، رقم الحديث ١٨٦٠).

٢- وروى مسلم في صحيحه عن معقل بن يسار قال: ((لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة (١) قال: ولم نبايعه على الموت ولكن بايعنا على ألا نفر)).

(النيسابوري ١٤١٢هـ، كتاب الإمامة، ج ٣، ص ١٤٨٥، رقم الحديث ١٨٥٨).

والحقيقة أنه لا تنافي ولا تعارض بين الحديثين وإن كان ظاهرهما التعارض، فقد جمع العلماء بين هاتين الروايتين وغيرها مما صح في هذه البيعة.

قال العسقلاني (د.ت): لا تنافي بين من قال بايعناه على الموت ومن قال: بايعناه على أن لا نفر. فمن ذكر في روايته أنه بايع على الموت فإنه لم يرد به أن يقع الموت ولا بد وإنما أراد المبايعه على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا إذ قد يلزم من عدم الفرار الموت.

(ج ٦، ص ١١٨).

وبهذا يتضح أنه لا تعارض بين هذين الحديثين فيما بايع عليه الصحابة عليه السلام في بيعة الرضوان. وهؤلاء هم ممن قال الله فيهم ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ

(١) انظر مرويات غزوة الحديبية ص ٣٩ وما بعدها.

فمنهم مَن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾
سورة الأحزاب ٢٣.

وأختتم مبيعاته ﷺ لصحابته بقول ابن القيم (١٤٠٧هـ):

وكان النبي ﷺ يبايع أصحابه في الحرب على ألا يفروا، وربما يبايعهم على الموت،
وبايعهم على الجهاد، كما يبايعهم على الإسلام، وبايعهم على الهجرة قبل الفتح،
وبايعهم على التوحيد والتزام طاعة الله ورسوله، وبايع نفرًا ألا يسألوا الناس شيئًا.

(ج٣، ص٩٥).

الآثار المترتبة لعهوده ﷺ مع أصحابه:

- ١- وحدة الكلمة، والحرية العقدية التي أنقذت الكثير من الذل والهوان سواء من أهل مكة أو من غيرهم من قبائل العرب.
 - ٢- كانت تلك العهود والمواثيق دعامة قوية لنشر الدين الإسلامي والتضحية والفداء مما أدى إلى دخول كثير من الناس في الإسلام.
 - ٣- الإختيار الموفق في إرسال الرسل إلى الأمصار لتعليم الناس فهم الأسوة والقدوة الذين يحتذي بهم، كما كان مصعب بن عمير ﷺ وهذا ما ينبغي لكل داعية إسلامي وكل مربّي أن يحذو حذوه ﷺ.
 - ٤- بعض معاهداته ﷺ مع صحابته ﷺ أساس انطلاق الدعوة الإسلامية، ومن ثم اشتد عودها وزاد مردودها وقوتها.
 - ٥- وضعت إستراتيجية لمستقبل العلاقات الإنسانية بين النبي ﷺ والأنصار ﷺ مما مهد لهجرة الرسول الكريم ﷺ من مكة إلى المدينة. وهذا يتمثل في بيعة العقبة الثانية.
 - ٦- حب الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ ومبايعته ومناصرته، ومؤازرته على النصر أو النصر أو الشهادة في سبيل الله.
- وعلى ضوء هذه الآثار وغيرها يُدرك أثر العهود والمواثيق في تربية الصحابة ﷺ على الإلتزام والوفاء بها. وهكذا كانت تربيته ﷺ لأصحابه.

ب- العهود والمواثيق بين ﷺ واليهود:

قال تعالى ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾.

سورة الأنفال: ٥٦.

قال ابن الجوزي (١٤٠٤هـ):

أي كلما عاهدتم نقضوا وكان رسول الله ﷺ قد عاهد يهود قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه، فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح ثم قالوا: نسينا وأخطأنا؛ ثم عاهدوه الثانية، فنقضوا. (ج٣، ص٣٧٢).

ولقد سلك النبي ﷺ مع اليهود منهجاً يتناسب مع المرحلة التي تمر بها الدولة الإسلامية أبان قيامها، فقد عقد عدة معاهدات مع اليهود (١)، ولكن الباحث يذكر تحت هذا الموضوع معاهدة النبي ﷺ مع يهود المدينة نظراً لأهميتها ولعلاقتها المباشرة بهذا الموضوع.

نص المعاهدة:

قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرين من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفتدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوق على ربعتهم يتعاقلون معاقلون الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو

(١) انظر المعاهدات النبوية: لعبد السميع عبد الباري الصائغ. رسالة ماجستير بجامعة أم

الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو جُشَم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنوا نبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل“.

قال ابن هشام: المفرح: المثقل من الدين الكثير والعيال، قال الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة: يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وإن سلم المؤمنين واحدة: لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً، وإن المؤمنين يبيى بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يُجبر مشرك مאלاً لقريش، ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن وإنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من

شيء فإن فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين: لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني جُثم مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وأن لبني الشُّطبية مثل ما ليهود بني عوف وأن البر دون الإثم، وإن موالى ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ، وإنه لا ينحجز على ثأر جرح، وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم، وإن الله على أبر هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يَأثم أمرؤ بحليفة، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تُجار حرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَث أو اشتجار يُخاف فسادَه فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تُجار قريش من نصرها، وإن بينهم النصر على من دَهم يثرب، وإذا دُعوا إلى صلح يصلحونَه، ويلبسونه، فإنهم يصلحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين: على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإن يهود الأوس مواليتهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة.

قال ابن هشام: ويقال مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة.

(ابن هشام. د. ت، ج ٢، ص ٥٢٧)

وبعد فلا شك أن رسول الله ﷺ أخذ على اليهود العهود والمواثيق وهذه العهود والمواثيق كما يلي:-

١- العهد والميثاق على متابعتة ﷺ من قبل بعض اليهود وهو مصداق ما أخذه الله عليهم في التوراة وعلى لسان أنبيائهم.

٢- العهد والميثاق على مسالمة الرسول ﷺ وأصحابه وعدم المظاهرة عليهم وهذا خاص بيهود المدينة على أن يبقوا بالمدينة ما أوفوا بذلك.

٣- معاهدة الرسول ﷺ ليهود خيبر حيث عاهدتهم مرتين الأولى على الجلاء من خيبر والمعاهدة الثانية على مزارعتهم لخيبر بعد أن أذن لهم بالبقاء(١). (العمر ١٤١٣هـ، ص. ١٣-١٣٢)

ج - العهود والمواثيق بين الرسول الله ﷺ والمشركون:

١- عهوده ومواثيقه ﷺ مع مشركي مكة ((قريش)).

أ- قال تعالى ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ

المشركين﴾. سورة التوبة ١.

قال المراغي (١٣٩٤هـ):

”أي هذه براءة آتية من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، كما يقال هذا الكتاب من فلان. نسبة إلى الله ورسوله من قبل أنه تشريع جديد شرعة الله وأمر رسوله بتنفيذه ونسب معاهدة المشركين إلى جماعة من المؤمنين، وإن كان الرسول هو الذي عقد العهد لأنه عقده بوصف كونه الإمام والقائد لهم، وهو عقد ينفذ بمراعاتهم له وعملهم بموجبه، فجمهور المؤمنين هم الذين ينفذون أحكام

(١) زاد المعاد ابن القيم ج٣، ص١٤٣.

المعاهدات وللقواد من أهل الخل والعقد الإجتهد فيما لا نص فيها منها ومن أحكام الحرب والصلح ونحوها". (ج ٤، ص ٥٣).

وقال ابن كثير (١٤٠٧ هـ):

اختلف المفسرون في هذه الآية اختلافاً كثيراً: فقال قائلون هذه الآية لذوي العهود المطلقة غير المؤقتة أو مَنْ له عهد دون أربعة أشهر فيكمل له أربعة أشهر فأما من كان له عهد مؤقت فأجله إلى مدته مهما كان لقوله تعالى ﴿فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ﴾، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهدته إلى مدته وهذا أحسن الأقوال وأقواها، وقد اختاره ابن جرير رحمه الله.

(ج ٢، ص ٣٤٤).

ب- قال تعالى ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾
سورة التوبة ٧.

يقول قطب، سيد (١٤٠٠ هـ):

" كيف يكون للمشركين عهد عند وعند رسوله؛ وهم لا يعاهدونكم إلا في حال عجزهم عن التغلب عليكم. ولو ظهروا عليكم وغلبوكم لفعلوا بكم الأفاعيل في غير مراعاة لعهد قائم بينهم وبينكم، وفي غير ذمة يرعونها لكم؛ أو في غير تخرج ولا تدمم من فعل يأتونه معكم! فهم لا يرعون عهداً، ولا يقفون كذلك عند حد في التنكيل بكم؛ ولا حتى الحدود المتعارف عليها في البيعة والتي يذمون لو تجاوزها. فهم لشدة مايكونونه لكم من البغضاء يتجاوزون كل حد في التنكيل بكم. لو أنهم قدروا عليكم. مهما يكن بينكم وبينهم من عهود قائمة. فليس الذي يمنعهم من أي فعل شائن معكم أن تكون بينكم وبينهم عهود؛ إنما يمنعهم أنهم لا يقدرون

عليكم ولا يغلبونكم!.. وإذا كانوا اليوم-وأنتم أقوياء- يرضونكم بأفواههم بالقول اللين والتظاهر بالوفاء بالعهد. فإن قلوبهم تنغل عليكم بالحقد؛ وتأبى أن تقيم على العهد؛ فما بهم من وفاء لكم ولا لاد! ثم إنهم لا يضمرون هذا الحقد؛ لأشخاصكم؛ ولا يتبعون تلك الخطة المنكرة معكم بذواتكم.. إنهم يضطغنون الحقد لكل مؤمن؛ ويتبعون هذا المنكر مع كل مسلم.. إنهم يوجهون حقدهم وانتقامهم لهذه الصفة التي أنتم عليها.. للإيمان ذاته.. كما هو المعهود في كل أعداء الصفوة الخالصة من أهل هذا الدين، على مدار التاريخ والقرون.. فكذلك قال السحرة لفرعون وهو يتوعدهم بأشد أنواع التعذيب والتنكيل والتقتيل: ﴿وَمَا تَنْقُمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنا﴾.. وكذلك قال رسول الله -ﷺ- لأهل الكتاب بتوجيه من ربه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ؟﴾ وقال سبحانه عن أصحاب الأخدود الذين أحرقوا المؤمنين: ﴿وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾. فالإيمان هو سبب النعمة، ومن ثم هم يضطغنون الحقد لكل مؤمن، ولا يراعون فيه عهداً ولا يتذمون من منكر ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلا ذِمَّةَ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾. (ج-٣، ص-١٦٠٥).

فقد عقد الرسول الكريم ﷺ مع المشركين عدة عهود وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه العهود في عدة مواضع وبالأخص في سورة التوبة.

معاهدة صلح الحديبية:

وقعت هذه المعاهدة في السنة السادسة من الهجرة النبوية المباركة بلا خلاف بين

(ابن كثير ٤٠٥هـ، ص-١٦٤).

العلماء

سببها:

ولما تقدم التطور في الجزيرة العربية إلى حد كبير لصالح المسلمين، أخذت طلائع الفتح الأعظم ونجاح الدعوة الإسلامية تبدو شيئاً فشيئاً، وبدأت التمهيديات لإقرار حق

المسلمين في أداء عبادتهم في المسجد الحرام، الذي كان قد صد عنه المشركون منذ ستة أعوام، أرى رسول الله ﷺ في المنام، وهو بالمدينة، أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام، وأخذ مفتاح الكعبة، وطافوا واعتمروا، وحلق بعضهم وقصّر بعضهم، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، وحسبوا أنهم داخلوا مكة عامهم ذلك، وأخبر أصحابه أنه معتمر متجهز للسفر.

وبعد أن عقد العزم على المضي إلى مكة هو وأصحابه وقاتل من حال بينهم وبين البيت. عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالوا: خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عيناً له من خزاعة وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه قال: إن قريشاً جمعوا لك جمعاً وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلون وصادوك عن البيت ومانعوك، فقال: "أشيروا أيها الناس عليّ أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت؟ فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركناهم محروبين" قال أبو بكر: يارسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال: امضوا على اسم الله. (البخاري ١٤١١هـ، كتاب المغازي، ج٥، ص٨٠، رقم الحديث ٤١٧٨، ٤١٧٩).

وهناك أحاديث وردت بألفاظ مختلفة بعضها ذكر الصلح كاملاً^(١) وبعضها ذكر جزء منه^(٢) واختصاراً للموضوع واقتصاراً على ميهما في هذا الموضوع يذكر الباحث أهم تلك الشروط التي تم التوصل إليها كما وردت في الأحاديث النبوية وهي:-

- ١- أن يرجع المسلمون ذلك العام ولا يدخلوا مكة.

- ٢- تسمح قريش للمسلمين بقضاء عمرتهم في العام المقبل ويقيمون بمكة ثلاثة

(١) انظر حديث المسور بن مخرمة، البخاري ١٤١١هـ، كتاب الشروط ج٣، ص٢٣٦، رقم الحديث

٢٧٣٢، ٢٧٣١.

(٢) انظر حديث ابن عمر، البخاري ١٤١١هـ، كتاب الصلح ج٣، ص٢٢٤، رقم الحديث ٢٧٠١

أيام.

- ٣- لا يدخلوا مكة بسلاح إلا سلاح الراكب وأن تكون السيوف بالقرب.
 - ٤- من جاء إلى النبي ﷺ من قريش بغير إذن وليه يرده عليهم ومن جاء قريش من المسلمين لا ترده إليهم.
 - ٥- من أراد أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وله مثل شروطها.
 - ٦- من أراد أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وله مثل شروطها.
 - ٧- أن بينهم عيبة مكفوفة أي مودعة.
 - ٨- أنه لا إسلال ولا إغلال.
 - ٩- توضع الحرب بينهم عشر سنين. (العمر ١٤١٣ هـ، ص ١٣٧).
- وهكذا كانت عهوده ومواثيقه ﷺ مع مشركي مكة.
- وكان من أعظم آثار هذه العهود والمواثيق نزول سورة الفتح بعدها على النبي ﷺ أثناء رجوعه إلى المدينة فكانت بلسماً شافياً لنفوس المؤمنين ازدادوا بها إيماناً ويقيناً صادقاً بما قصه الله عليهم في سورة الفتح من النصر والفتح المبين.

- ٢- العهود والمواثيق التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين غير قريش من المشركين.
- وهناك عهود ومواثيق لغير قريش عقدها رسول الله ﷺ مع بعض قبائل ممن لم يدخلوا في الإسلام وذلك كقبيلة مدلج وبني بكر بن وائل وخزاعة وهؤلاء وأمثالهم ممن أشار إليهم القرآن بقوله تعالى ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.
- سورة التوبة ١.

وقوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْتَقِصُوا شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

سورة التوبة ٧.

وقع اختلاف في كل معنى من معان الآيات السابقة حسب موقفهم من العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

ويمكن تلخيص العهد بين رسول الله ﷺ وبين هؤلاء فيما يأتي:-

أ- المسألة بينهم وبين المسلمين، وعدم اعتداء أي طرف على الآخر، ولهم الأمان ومن دخل في حكمهم ورضي في عهدهم قال تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعُدُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُليَاءَ وَلَا نَصِيرًا . إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ .
سورة النساء: ٨٩-٩٠.

ب- نُصرة كل طرف للآخر إذا استنصره إلا أن يكون ضد طرف ثالث له ميثاق مع من طلب منه النصرة، فلا نصرة إذا ولكنه الحياد. قال تعالى ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .
سورة الأنفال: ٧٢.

وقد ذكر ابن كثير (٤٠٧ هـ) عند تفسيره لقوله تعالى ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ...﴾ . سورة التوبة ٧ أن رسول الله ﷺ قد عاهد بعض المشركين كابنو بكر وخزاعة فمنهم من وفى بعهده ومنهم من نقض العهد.
(ج٢، ص٣٥١).

وبهذا يتضح ما كان بين النبي ﷺ وبعض المشركين من عهود ومواثيق مما أشارت الآيات وهناك عهود ومواثيق نبوية كريمة وردت في كُتب السنة. ولكن الباحث اقتصر على الآيات القرآنية وبعض الأحاديث التي تفسر تلك العهود والمواثيق ومن أراد الإستزادة في هذا الموضوع فليرجع إلى كتب السير والله أعلم.

❁ أهمية العهود والمواثيق في بناء المجتمع.

خلق الله الإنسان فأبدع الله خلقه وصوره فأحسن صورته وسخر له كل مافي هذا الكون، وكرمه على جميع مخلوقاته. قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي

البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴿٧٠﴾.

سورة الإسراء: ٧٠

وعلم آدم الأسماء كلها وجعله خليفة في الأرض ليعمرها، ولكن كيف يعمرها؟ هل يعمرها بغرس الشر والحقد والضلال وسفك الدماء وعبادة الأوثان وهضم الحقوق وسيادة شريعة أُلغاب؟! وفي الحقيقة لم يكن كذلك بل جاء ليعمرها بالخير والصلاح والمحبة وحفظ النفس والدفاع عنها بكل قوة وبالعدل والإنصاف وإيصال الحقوق إلى أصحابها، وبث نور الهدى في هذه الأرض. قال تعالى ﴿وَإِذ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الْدِمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. سورة البقرة: ٣٠ فعلم الله واسع وإرادته نافذة...

بهذه الحكمة الإلهية أخذ الله على بني آدم ميثاقاً كاملاً يعتبر المنهج الأساسي الذي يسير عليه الإنسان في حياته وهو العهد الفطري الذي فطره الله عليه وهو الإسلام، فكل رسول بعثه الله تعالى دعا إلى هذا الميثاق وهو إفراد الله بالعبادة لأنه يمثل الحجر الأساسي والقاعدة المثلى لعمارة الأرض والإستخلاف فيها.

فبالعقيدة الصحيحة يقوم هذا البناء لأنه شامل لجميع ما يحتاج إليه البناء من مواد، فقد بعث الله في كل أمة رسولاً يذكرهم بهذا العهد ويدعوهم إلى الوفاء به حتى آخر رسول أرسله الله وهو خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وبهذا يكتمل البناء، فأكمل به دين الله في الأرض. فقد جاء ﷺ بمنهج الهداية والنور وتصحيح عقيدة البشر وتهذيب نفوسهم وتقويم أخلاقهم، وإصلاح مجتمعهم وتنظيم علاقاتهم فيما بينهم وبين من يجاورهم من المسلمين أو غيرهم في جميع المجالات سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً، وإشاعة الخير والعدل. وكان ﷺ يتعهد أصحابه بالتعليم والتربية وتركية النفوس والحث على مكارم الأخلاق. ويوجبهم بأدب الود

والإخاء والشرف والعبادة والطاعة والوفاء كل ذلك لتكوين مجتمع متماسك موحد الكلمة والهدف والغاية واحدة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

والوفاء بالعهود والمواثيق من أخلاف القرآن وفضائله التي دعا إليها ورغب فيها وهي نزع من أنواع الصدق والإخلاص والأمانة.

وللعهود والمواثيق أثر في بناء المجتمع وتماسكه عامة والأمة الإسلامية خاصة وذلك من أجل أن يتفرغ المسلمون للعمل الجاد المستمر لبنیان الجدار الصلب للقوة المعنوية والحسية التي عن طريقها يتمكنون من عمل الواجب المطلوب لرفع شأن الأمة وتمكينها من عمل الواجب المطلوب لرفع شأن الأمة وتمكينها من العمل لإحياء العبادة لله وحده وطرح عبادة غير الله.. (اللحيان ١٣٩٨هـ).

وإن الناظر في آيات العهد والميثاق يرى أنها كلها تمارين وسلوك تربوي الفرد والمجتمع على الأخلاق ومبادئها السامية، من هذا ومن غيره يتبين جلياً أن للعهود والمواثيق أهمية عظيمة لأنها من الأخلاق الإسلامية، والتي تكفل لمن اتصف بها السعادة التي تظلل الأفراد والمجتمع في ظل يسوده المحبة والوئام.

ولو أمعنا النظر في حال الأمم التي استهانت بالإيفاء بالعهود والمواثيق ولم تبال في الإلتزام بها سواء مع الله تبارك وتعالى من عبادة وغيرها، أو مع الناس من معاملات وأخلاق وغيرها كيف حلَّ بها عذاب الله تعالى بالذل والهوان وفقد الثقة فيما بينها ﴿ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾. سورة الأنعام: ١٤٦.

فالعهود والمواثيق أصل عام مشروع منذ القدم ثم أتى الإسلام وأمر بالوفاء بها. والوفاء بها مطلب أساسي في تنظيم العلاقات السياسية بين المسلمين وغيرهم. كما هو مطلب أساسي قبل ذلك في الوفاء مع الله تبارك وتعالى بما عهده عليه من الإيمان به وحده وإقامة شعائر الدين ومع المسلمين كذلك ولهذا كان للعهود والمواثيق أثر عظيم في نفوس المشركين باعتبار أن العهود والمواثيق التي تمت بين المسلمين وغيرهم في الدعائم الأساسية التي حافظت على كيان الأمة الإسلامية وهيبتها ودامت لهم العزة

والكرامة وأكسبتهم احترام العدو قبل الصديق فحري بكل فرد من الأفراد وبكل أمة أن تربي أبنائها على الإلتزام بالعهود والمواثيق والمحافظة عليها، ولتكن أنت أيها المربي القدوة الحسنة في ذلك كما يجب على الأسرة أن تنشئ أبنائها على هذه الفضائل لأنها سبيل السعادة في الدنيا والآخرة نسأل الله أن يعيننا على ذلك فهو نعم المولى ونعم النصير.

الفصل الثالث

المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد
والميثاق في الجانب العقدي

مَهَيِّدٌ

المبدأ الأول: العهد والميثاق في وجوب الإيمان بالله

المبدأ الثاني: العهد والميثاق في وجوب الإيمان بالكتب

السماوية

المبدأ الثالث: العهد والميثاق في وجوب الإيمان

بالأنبياء والرسل

مَهَيِّدٌ:

إنّ الدّين الإسلامي ينظر إلى الإنسان نظرة شاملة كاملة لجميع جوانب حياته، الروحية والعقلية والنفسية والجسمية، ولم يهمل أيّ جانب من هذه الجوانب بل نظمها وحددها بضوابط شرعية لا تحيد النفس الإنسانية عنها ومتى حادت النفس الإنسانية عن الضوابط الشرعية وعن المنهج السوي الذي رسمته العقيدة الإسلامية الصحيحة وقعت فريسة للأوهام والشكوك واتباع الأهواء .

يقول : قطب محمد (١٤٠٣هـ)

” يعالج الإسلام النفس البشرية والحياة البشرية جسم وعقل وروح ممتزجة مترابطة في كيان واحد، طاقة جسمية، وطاقة عقلية، وطاقة روحية عاملة في الأرض ممتزج مترابطة، لا يفصل عمل هذه عن تلك“
(ج ١ ص ٢٦)

فالدين الإسلامي يبحث على إدراك الجانب الروحي في الإنسان الذي يجعله دائم الارتباط بخالقه عن طريق الشعائر التعبدية التي تغرس في النفس الإنسانية جميع الصفات الخلقية، كما تمنحه، تقوية الروابط وتوثيق الصلات بينه وبين خالقه - فالعقيدة الصحيحة هي التي تحقق للإنسان الجانب الروحي وتسمو بأخلاقه وأفعاله وسلوكه، وتجعله مطمئن النفس هادي البال، لأن هذه العقيدة محفوظة بحفظ الله تعالى . ولهذا فإن العقيدة تدور حول قضايا معينة، هي التي أخرجنا بها الله ورسوله وحتى تصبح هذه عقيدة لا بد أن تصدق بها تصديقا جازما لا ريب فيه .

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ سورة الحجرات : ١٥

فالعقيدة الصحيحة اليوم لا توجد إلا في الدين الإسلامي، والعقائد في غير الإسلام لا تمثل الحق ولا تجلّبه .

فمن أراد أن يعرف العقيدة السليمة فإنه لن يجدها في اليهودية ولا في النصرانية ولا في كلام الفلاسفة، وإنما يجدها في الإسلام . في أصله : الكتاب والسنة، ندية طرية، صافية، مشرقة، تقنع العقل بالحجة والبرهان، وتملأ القلب إيمانا ويقينا ونورا

وحياة .

قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ﴾
سورة الشورى : ٥٢

فالعقيدة الإسلامية ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء إذ هو بدون هذه العقيدة ضايع تائه يفقد ذاته ووجوده، فالعقيدة الإسلامية وحدها هي التي تجيب على التساؤلات التي شغلت ولا تزال تشغل الفكر الإنساني بل تحيره من أين جئت؟ ومن أين جاء هذا الكون؟ من الموجد؟ ما صفاته؟ ما اسماءه؟ لماذا وجد وأوجد الكون؟ وما دورنا في هذا الكون؟ وما علاقتنا بالخالق الذي خلقنا... الخ لا توجد عقيدة سوى العقيدة الإسلامية تجيب على هذه الأسئلة إجابة صادقة مقنعة، لذا يجب أن يعلم أن العقيدة الإسلامية لا تقبل التجزئة أبداً فهي وحدة مترابطة اشد الترابط، فالإيمان بالله يقتضي الإيمان بالملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر، والإيمان بالكتب يتضمن بقية أصول الإيمان، والإيمان بالرسول ﷺ، يعنى تصديقه فيما أخبر... لذا فقد عد الله من آمن بأصل وكفر بآخر كافراً حقاً .

(الأشقر ١٤١١هـ ص ١٠-١٩)

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾
سورة النساء : ١٥٠/١٥١

ولأهمية العقيدة في التربية كانت دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى العقيدة أولاً سمو بالروح وتعلقها بربها لترتقى بجسم صاحبها عن ركونه إلى تحقيق رغبته المادية .

(الحمد ١٤٠٩هـ ص ٣١)

قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾

سورة الانبياء : ٢٥

فكل رسول بعثه الله تبارك وتعالى إلى قومه يأمرهم أول الأمر بعبادته سبحانه،

وهكذا كانت دعوة الرسل جميعاً صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين .

قال تعالى ﴿... اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾ سورة المؤمنون : ٢٣

وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾ سورة النحل: ٣٦

ولهذا كان للعقيدة الإسلامية الصحيحة أهمية بالغة في تكوين الشخصية الإسلامية وتعلقها بخالقها لأنها الأساس التي يقوم عليها بناء الإنسان فكراً وروحاً، باعثة له الطمأنينة والثقة بالله عز وجل، وتقضي على بواعث الشر والحيرة والشك والقلق التي يعاني منها كثير من الناس اليوم .

قال تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ سورة الرعد: ٢٨

يقول المشوخي (١٤٠٧هـ) :

” للعقيدة أهميتها في تربية الأفراد وتوجيههم، فإذا رسخت العقيدة في قلب الإنسان فإنها سرعان ما تنعكس على جوارحه على خلقه وسلوكه ومعاملته، لهذا لا غرابة أن كثيراً من الآيات المكية عاجلت موضوع إنشاء العقيدة في الله وفي اليوم الآخر وإثبات الرسالة والبعث والجزاء، وذكر القيامة وهولها والنار وعذابها والجنة ونعيمها... إلى غير ذلك من الأمور التي تعرف الإنسان بنفسه وبعلاقته مع الله ومع الكون ولقد تربي المجتمع الإسلامي في عهد الرسول ﷺ على العقيدة السليمة التي حررت الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد حررت من تأليه الكون أو الطبيعة أو أي جزء منهما، كما هذبت غرائزه فهي الأساس التي يبنى عليها النظام الأخلاقي وهي التي تكون الأساس الفكري لعقلية المسلم، والأساس النفسي لسلوكه ومنها كذلك تنبثق نظرتة إلى الحياة الاقتصادية والحياة السياسية“

(ص ١٢٩)

فالعقيدة الإسلامية قامت على أسس ومرتكبات صحيحة مكنتها من تأصيلها في النفوس واستقرارها في القلوب، وهذه الأسس أخذ الله العهد الميثاق على عباده بأن يقوموا بها خير قيام

قال تعالى ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ . . . ﴿ سورة البقرة : ٢٨٥

وقال تعالى ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ . . . ﴿ سورة البقرة : ١٧٧

وفي الحديث الصحيح المشهور أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان

فقال له: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث).

(البخاري ١٤١١هـ كتاب الإيمان ج١ ص ٢٢ الحديث رقم ٥) (النيسابوري ١٤١٢هـ، كتاب الإيمان

ج١ ص ٣٩ رقم الحديث ٩)

فهذه الأصول الستة هي أركان العقيدة الإسلامية التي بعث بها الرسل عليهم

الصلاة والسلام والتي يتفرع عنها جميع ما يجب على المسلم اعتقاده في حق الله

سبحانه وتعالى .

فالآيات القرآنية بينة واضحة في هذا الجانب الذي يعد من أهم الجوانب -

الجانب العقدي - وأن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد ذلك واضحاً جلياً بل إن

الآيات الأخرى والتي تبدو متصلة بجانب غير جانب العقيدة ذات صلة ومدلول مرجعه

إلى تحقيق العقيدة الإسلامية .

وهذا مرتبط بقضية أساسية هي مما يقول العمر (١٤١٣هـ) أنه لا انفصال بين

الشرعية والعقيدة عند المتعمق في نهاية الأمور ومآلاتها (ص ١٥٥)

والترية الإسلامية تسعى جاهدة إلى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الأفراد

وهي أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم في مكة كما هي دعوة الأنبياء

والرسل من قبله عليهم الصلاة والسلام جميعاً قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿ سورة الأنبياء، ٢٥

فكانت دعوتهم تتمثل في تربية الأمة وغرس العقيدة الصافية في نفوسهم .

وتكمن أهمية التربية العقدية فى أن لها إسهاما بارزاً فى حياة الأفراد والمجتمعات، وبناء شخصياتهم بناءً محكماً قوياً متصلاً بالله تبارك وتعالى فى كل شؤونهم .

وهذا الجانب من أهم الجوانب الطبيعية الإنسانية، بل هو الجانب الثانى الجوهرى من طبيعة الإنسان والكيان الإنسانى هو الذى يميز الإنسان من الحيوان وهو الذى يدفعه إلى التسامى على النزعات والأهواء، وهو الذى يدفعه فى الوقت نفسه إلى التضحية بالجانب المادى من كيانه، وحاجته المادية فى سبيل التسامى الروحى فى سبيل الله وفى سبيل خير الأمة وخير الإنسانية“ (الجن ١٤٠٦هـ ص ٢٣١)

فالمبادئ التربوية التى اتضحت بعد استقراء الآيات وأخذ الله عليها العهد والميثاق هي:

الإيمان بالله، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسول .

فعلى الأمة الإسلامية تربية أبنائها على التمسك بهذه العقيدة وتنشئتهم منذ الصغر على طاعة الله تعالى، والقيام بما أوجبه عليهم، وذلك بغرس هذه المبادئ فى قلوبهم ليصبح لهم منهجا ودستورا يسرون عليه فى حياتهم كلها وإليك هذه المبادئ بشئ من التفصيل.

وليس معنى هذا إهمال الأمة لباقي أصول العقيدة الإسلامية التى وضَّحها الكتاب والسنة فى التمسك بها أو إهمالها فى تربية أبنائها وتنشئتهم عليها منذ الصغر. وما تركنا لباقي الأصول إلا من باب الالتزام بخطة البحث فى الحديث فقط عما ورد ذكره فى القرآن الكريم بألفاظ العهد والميثاق التى مجال البحث.

المبدأ الأول: العهد والميثاق في وجوب الإيمان بالله

(١) قال تعالى ﴿الذين يتفضون عهد الله من بعد ميثقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾
سورة البقرة: ٢٧

(٢) وقال تعالى ﴿واذ أخذنا ميثق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾
سورة البقرة: ٨٣

(٣) وقال تعالى ﴿واذ أخذنا ميثقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ماءً آتينكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾
سورة البقرة: ٩٣

(٤) وقال تعالى ﴿أولكلما عهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون﴾

سورة البقرة: ١٠٠

(٥) قال تعالى ﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثقهم وقلنا لهم أدخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثقا غليظا .فبما نقضهم ميثقهم وكفرهم بايت الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾

سورة النساء: ١٥٤/١٥٥

(٦) قال تعالى ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفسقين﴾

سورة الأعراف: ١٠٢

(٧) قال تعالى ﴿لم أعهد إليكم بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾

سورة يس: ٦٠

(٨) قال تعالى ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ

سورة الحديد: ٨

ميثقكم إن كنتم مؤمنين﴾

إن الإيمان بالله تعالى هو المرتكز الأساسي للتربية الإسلامية، وهو الذي تتفرع

عنه جميع مسائل العقيدة، ولهذا أخذ الله العهد والميثاق في وجوب الإيمان به سبحانه وتعالى إما تصریحاً كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أو ضمناً كما في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ . كيف تكفرون بالله . . . ﴿

سورة البقرة: ٢٧/٢٨

فهذه الآيات تضمنت لفظ العهد والميثاق وتشتمل على وجوب الإيمان بالله تبارك وتعالى . فالقرآن الكريم يولي أهمية بالغه للإيمان بالله عز وجل في كثير من المواضع اثباتاً ونفيًا، فتارة يصف من آمن بالله واليوم الآخر وعملاً صالحاً بالسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة وقد أحسن الله له الأجر والثواب قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

سورة البقرة: ٦٢

ولقد ورد في القرآن الكريم حديث يتضمن أن الإيمان بالله ورسوله كان سفينة النجاة للأمم السابقة . قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾

سورة هود: ٦٦

وقال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ سورة هود: ٩٤
وقال تعالى ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ ءَامِنُوا بِمِي وِبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنُوا وَاشْهَدُوا بِأَنَّا

سورة المائدة : ١١١

مسلمون﴾

وقال تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾

سورة فاطر : ٢٤

فهذه جملة من الآيات تشير على أنه منذ أن أرسل الله الرسل وأنزل الكتب إلى أن ختم سبحانه الرسل بمحمد ﷺ وختم الكتب بالقرآن الكريم لم يخل عصر من العصور ولا زمن من الأزمان إلا وأخذ عليهم سبحانه العهد والميثاق على أن يؤمنوا

بالله ربا مدبراً حكيماً .

وقبل الحديث عن مبدأ الإيمان بالله يحسن بالباحث أن يعرف الإسلام والإيمان
ويبين الفرق بينهما.

تعريف الإسلام والإيمان

اختلف الناس في قضية الإيمان والإسلام اختلافاً كثيراً، ألفت فيه مصنفات تبعاً
لاختلافهم في ذلك وممن وقف مع هذا الموضوع وقفة مستوعبه وناقش جميع أطرافه
وفصوله شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الإيمان، وكذلك فعل شارح الطحاوية،
حيث ناقش الموضوع مناقشة شاملة، وكذلك المروزي في كتابه الإيمان وكذلك ابن
كثير في تفسيره لسورة الحجرات وابن حجر في فتح الباري^(١) وغيرهم من المفسرين
وشراح الحديث ونظراً لطول الموضوع وتشعبه فيقتصر الحديث عن أهم ما ورد من
ذلك.

فالإسلام دين، والدين مصدر دان يدين ديناً إذا خضع وذلّ، ودين الإسلام الذي
ارتضاه الله، وبعث به رسوله هو الاستسلام لله وحده فأصله في القلب هو الخضوع
لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه، فمن عبده، وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً،
ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً، والإسلام هو الاستسلام لله، وهو
الخضوع له، والعبودية له، هكذا قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم فالإسلام في
الأصل من باب العمل، عمل القلب والجوارح.

والإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة فهو من باب قول القلب المتضمن عمل
القلب، والأصل فيه التصديق والعمل تابع له. (ابن تيمية ١٤٠٦هـ ص ٢٤٩، ٢٥٠)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع آخر:

”الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر، ولفظ التقوى
وبلفظ الدين كما تقدم، فإن النبي ﷺ يبين أن الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول

(١) فتح الباري شرح البخاري د.ت ج١ ص ١١٤ مكتبة الرياض الحديثة

لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق“

فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان، وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق، وكذلك لفظ التقوى، وكذلك الدين أو دين الإسلام. (ص ١٧٠)
وقال الطحاوي: ”الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق، والإيمان واحد وأهله في أصله سواء والتفاضل بينهم بالخشية والتقوى، ومخالفة الهوى وملازمة الأولى“
وقال ابن أبي العزّ شارح الطحاوية:

”اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً: فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة رحمهم الله وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين: إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

وذهب كثير من أصحابنا - الحنفية - إلى ما ذكره الطحاوي رحمه الله أنه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان.

ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رحمه الله ويروى عن أبي حنيفة رحمه الله. وذهب الجهم بن صفوان ومن تبعه إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب. وهذا القول أيضاً فاسد وهو أظهر فساداً مما قبله.

وحاصل الكل، يرجع إلى أن الإيمان: إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم رحمهم الله

أو بالقلب واللسان دون الجوارح، كما ذكره الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله أو باللسان وحده كما تقدم ذكره عن الكرامية، أو بالقلب وحده وهو إما المعرفة كما قال الجهم أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي رحمه الله: وفساد الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقيين من أهل السنة اختلاف صوري فإن أعمال الجوارح لازمة الإيمان بالقلب، أو جزاءً من

الإيمان

(ابن أبي العزّ ٤٠٨هـ - ص ٣٣١ - ٣٣٣)

الفرق بينهما :

١ (الإيمان والإسلام شئ واحد مترادفان

(النووى شرح مسلم د.ت ج١ ص١٤٥، ابن تيمية ١٤٠٦هـ ص ٢٤٦)

٢ (الإيمان مغاير للإسلام

(ابن ابى العز الحنفى شرح العقيد الطحاويه ١٤٠٨هـ ص ٣٤٨ ص ٣٤٩)

٣ (كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن

(النووى شرح مسلم د.ت ج١ ص١٤٨) (ابن تيميه ١٤٠٦هـ ص ٣٤٥)

٤ (أن الإسلام والإيمان يجتمعان ويفترقان

(النووى ج١ ص١٤٨) (ابن تيميه ١٤٠٦هـ ص ٣٤٥)

والقول الأخير هو أرجح الأقوال وذلك أن الإيمان إذا اجتمع واقترن مع

الإسلام فلكل واحد منهما معنى خاص يختلف عن الآخر .

قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ سورة الأحزاب ٣٥

فالعطف يدل على المغايرة بين الإسلام والإيمان فإذا أطلق الإيمان أو الإسلام بدون

مقارنه فسر أحدهما بالآخر واشترآكهما في المعنى كما في قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ

لَأَمَّنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ سورة يونس: ٩٩

”يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ إنه لن يصدقك يا محمد ولن يتبعك ويقر بما جئت

به إلا من شاء ربك أن يصدقك ..“ (الطبري د.ت ج١ ص١٧٤)

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ وقد عرف العلماء الدين الصحيح

بأنه ”وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير باطنا وظاهرا“

والإسلام علم بالغلبة على مجموع الدين الذي جاء به محمد ﷺ، كما أطلق على ذلك

الإيمان أيضا، ولذلك لقب أتباع هذا الدين بالمسلمين وبالمؤمنين وهو الإطلاق المراد

هنا . (ابن عاشور ١٩٨٤م ج٣ ص ١٨٩)

وبعد هذا البيان يتضح أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا، فسر الإسلام بالأمر

الظاهره من الأعمال، وفسر الإيمان بالأمر الباطنة من الاعتقاد وإذا افترقا، فسر أحدهما بما يفسر به الآخر أي أن الإسلام يفسر بالاعتقادات والعمليات، كما يفسر الإيمان بمثل ذلك.

فالإسلام : هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك والإيمان : هو القول باللسان، والتصديق بالجنان والعمل بالأركان .

(العمر ١٤١٤هـ ص ٣٥٤)

وهذا الأصل هو أهم الأصول الاعتقادية والعملية وعليه مدار الإسلام، وهولب القرآن، لأن القرآن إما حديث مباشر عن الله تعالى : ذاته واسمائه، وصفاته، وأفعاله، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وترك ما يعبد من دونه من آلهة باطلة، وهذا كله تعريف بالله ودعوة للقيام بحقه ونهي عن صرف ذلك لغيره، وإما أمر بطاعته سبحانه، ونهي عن معصيته، وهذا من لوازم الإيمان، وإما إخبار عن أهل الإيمان وما فعل بهم في الدنيا من الكرامة وما يثيبهم به في الآخرة، وهذا جزاء أهل الإيمان بالله وإما إخبار عن أعداء الله الكافرين، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما سيفعل بهم في الآخرة في دار العذاب، وهذا جزاء من أعرض عن الإيمان .

(الاشقر، ١٤١١هـ ص ٦٠)

ولما لهذا الركن من أهمية لأنه أساس الإيمان نجد أن القرآن الكريم يوجه أمة محمد ﷺ إلى هذا الركن العظيم ويلفت الانتباه إليه بصيغ وأساليب متعددة . قال تعالى ﴿قُولُوا

ءامناً بالله وما أنزل لنا وما أنزل إلى إبراهيم . . .﴾ سورة البقرة: ١٣٦

وقال تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا﴾ آل عمران: ١٩٣

وقال تعالى ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ سورة التوبة: ٢٩

وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَأُولَئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ﴾ سورة الحديد: ١٩

فهذه الآيات تتحدث عن الإيمان بالله تعالى، وقد تضمنت معان سامية وأهداف نبيلة وتوجيهات ربانية كريمة حيث يأمر المولى جل وعلا في بعض الآيات عباده بأن

يؤمنوا ويصدقوا ما أنزل على نبينا محمد ﷺ وما أنزل على الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام وبعض الآيات تبين فضل الإيمان بالله تعالى وصفات من آمن به وتبع هداه والبعض الآخر يأمر الله تعالى المؤمنين بأن يقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .

فمن خلال هذه الآيات يتضح عناية القرآن الكريم بالعهد والميثاق في وجوب الإيمان بالله تعالى، لأن الحجر الأساسي في نظام الإسلام هو الإيمان، وأركان الإيمان سلسلة لا ينفك بعضها عن بعض ولا تصلح حلقه منها دون سائر الحلقات، وأنها كل لا يتجزأ ولا يجوز إنكار جزء منها، وكل من كفر بواحد منها أو بجزئية من لوازمها مما ثبت في القرآن والسنة فقد حبط عمله، ولا يقبل منه إيمانه بباقي الأركان.

(رشيد ١٤٠٣هـ ص ١٨٥)

فالتربية الإسلامية الصحيحة هي التي تعنى بتنشئة الفرد المسلم تنشئة سوية في إطار الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره إيماناً كاملاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض ليظفر بالنعيم في الحياة الدنيا والفوز والسعادة في الدار الآخرة .

وأى تربية تهمل أركان العقيدة الصحيحة، وعدم غرسها في قلوب الناشئة تربية عديمة الفائدة .

يقول يالجن (١٤٠٦هـ)

”فإذا كنا نقصد أن التربية تنمية، فإننا بالتربية نمي الإيمان في القلوب ونزيده رسوخاً ويقيناً فيه، وذلك بتبصير المتعلمين والناشئين بآيات الله تعالى (ص ١٤٧) فالإيمان بالله تعالى

يتضمن أربعة أمور هي :

- | | |
|----------------------|------------------------------|
| (١) الإيمان بوجوده | (٢) الإيمان بربوبيته |
| (٣) الإيمان بألوهيته | (٤) الإيمان باسمائه وصفاته . |

وفيما يلي عرض موجز عن مقتضيات الإيمان بالله تعالى :

الأمر الاول : الإيمان بوجود الله :

لقد نهج القرآن الكريم منهجا فريداً في إثبات وجود الخالق جل وعلا وهو المنهج الذى يتمشى مع الفطرة المستقيمة والعقول السليمة التى لم يطرأ عليها تغيير أو تبديل. قال تعالى: (فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . .) سورة الروم: ٣٠ ومما يدل على وجود الله مايلي .

أولاً : دلالة الفطرة على وجود الله:

إن الفطرة المستقيمة تدعو صاحبها الى الإيمان بخالقها من غير دليل سابق ولا يحيد الإنسان عن هذه الطريق إلا إذا طرا على قلبه ما يصرفه عن هذه الفطرة السوية. عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)

(البخاري ١٤١١هـ كتاب الجنائز ج٢ / ص١١٩، رقم الحديث ١٣٥٨)

والدليل على أن فطرة المولود هي الإسلام أن الرسول الكريم ﷺ قال يهودانه ... ولم يقل يسلمانه، لأن الإسلام موافق للفطرة التى خلق عليها أي أنه يولد على الفطرة السوية، وأبواه يجعلان هذه الفطرة تستقيم على طبيعتها السوية أو يعملان على انحرافها، وذلك حسب التوجيه الذى يوجهانه به، أو التربية التى يربيهان عليها ومن ثم كانت التربية خطيرة في حياة البشرية . (قطب محمد ١٤٠٣هـ ج٢ ص ٨٨)

ثانيا : دلالة العقل على وجود الله :

العقل أشرف شيء ركب الله تعالى في الإنسان وبه كرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا لأن الإنسان به يميز بين الحق والباطل، فيسلك المنهج المستقيم ويتجنب السبل المتفرقة من أجل ذلك يقرر العقل السليم الذى سلك المنهج المستقيم أن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لا بد لها من خالق أو جدها، إذا لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها ولا يمكن أن توجد صدفة :

أ) لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقا .

ب) ولا يمكن أن توجد صدفة . لأن كل حادث لا بد له من محدث ولأن وجودها على هذا النظام البديع يمنع معنا باتا أن يكون وجودها، صدفة إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظما حال بقائه وتطوره؟؟ وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها ولا أن توجد صدفة تعين أن يكون لها موجود وهو الله رب العالمين . (ابن عثيمين ١٤٠٣ ص ٤)

ومن الأدلة العقلية قوله تعالى ﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ سورة الطور: ٣٥ أي أوجدوا من غير موجود؟ أم هم أوجدوا أنفسهم فتعين أن الله هو الذي خلقهم بعد إن لم يكونوا شيئا مذكورا .

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير (البخاري ١٤١١هـ كتاب التفسير ج ٦ ص ٥٨ رقم الحديث ٤٨٥٤)

وكان إذ ذاك مشركا فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد ذلك . (ابن كثير ١٤٠٧هـ ج ٤ ص ٢٦١)

وفي هذا المقام أذكر قولاً للإمام أبي حنيفة وهو يعرض له بعض الزنادقة المنكرين للخالق، فيقول لهم : ما تقولون في رجل يقول لكم : رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة من الأثقال، قد احتوتها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستويه، ليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها، هل يجوز في العقل؟ قالوا : هذا شيء لا يقبله العقل، فقال أبو حنيفة : يا سبحان الله - إذا لم يجوز في العقل سفينة تجرى في البحر مستوية من غير متعهد ولا بحر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها، من غير صانع ولا حافظ؟! فبكو جميعا وقالوا صدقت وتابوا

(ايوب د . ت ص ٦٨ ، ابن ابي العز ١٤٠٨هـ ص ٨٤)

ثالثا : دلالة الشرع على وجود الله تعالى :

إن الأدلة الشرعية على وجود الله تعالى كثيرة فالكتب السماوية كلها تنطق

بذلك وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به أيضاً من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به . (ابن عثيمين ١٤٠٣هـ ص ٥)

رابعا : دلالة الحس على وجود الله تعالى :

أما دلالة الحس على وجود الله تبارك وتعالى فمن وجهين :-

الوجه الأول: قال تعالى ﴿ إِذَا تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ . ﴿سورة الانفال: ٩﴾

وعن أنس بن مالك ؓ قال : أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ فبينما النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال : يا رسول الله هللك المال وجاع العيال فادع الله لنا . " فرفع يديه " - وما نرى في السماء قزعة^(١) - فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ . فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد، والذي يليه حتى الجمعة الأخرى . وقام ذلك الأعرابي - أو غيره - فقال : يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا . فرفع يديه فقال (اللهم حوالينا ولا علينا) فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجوبة^(٢) . وسال الوادي قناة شهرا ولم يجي أحد من ناحية إلا حدث بالجوود " .

(البخاري ١٤١١هـ ج١ كتاب الجمعة ص ٢٥٢ ، رقم الحديث ٩٣٣)

ففي هذه الآية الكريمة وهذا الحديث النبوي الشريف استجابة دعوة الداعين في زمن النبي ﷺ ، وما زالت إجابة الدعوة مستمرة إلى يوم القيامة لمن صدق اللجوء إلى الله تبارك وتعالى وأخلص النية والطوية وكان مطعمه ومشربه من الحلال .

(١) قزعة : قطع من السحاب رقيقة مختار الصحاح (للرازي ١٤٠٦هـ ص ٥٣٣)

(٢) الجوبة : الحفرة، والمكان الوطئ في جلد، وفجوة ما بين البيوت، أو فضاء أملس بين أرضين .

(الفيروز ابادي ١٤١٥ ص ٨٩)

الوجه الثاني : الآيات والبراهين القاطعة والحجج الساطعة التي أيد الله بها الأنبياء والرسول تأييداً ونصرة لهم خير دليل على وجود مرسلهم وهو الله تبارك وتعالى .
ونورد دليلاً واحداً لنبينا محمد ﷺ حينما طلبت منه قريش آية فإشار إلى القمر فانفلق فرقتين، فرآه وشاهده الناس وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ سورة القمر : ٢٠١

(ابن عثيمين، ١٤٠٣هـ ص ٥)

فوجود الله تعالى حقيقة ثابتة بالأدلة العقلية والنقلية وهو أول شعور يشرق في أعماق الإنسان إذا تأمل في نفسه وفي الكون حوله يشعر وجود قوة كبرى مهيمنة على الكون تمنحه التدبير والتنظيم وتتصرف فيه بالحياة والموت، والبناء والبناء والتغير والتطور والحركة والسكون وجميع أنواع التغيرات الحكيمة التي تجري فيه وإن الإنسان يشعر بهذه الحقيقة ويؤمن بها سواء استطاع أن يقيم الدليل البرهاني على صدق هذا الشعور أو لم يستطع، فليل الفطرة، ودليل البداهة شاهد حق يسبق الشواهد النظرية وقد يكون أدق منها وأصدق . وحسب الإنسان في إيمانه واعتقاده بشيء ما أن يوافق شعوره الفطري في عمق وجدانه وإحساسه البديهي للنتائج النظرية التي يتوصل إليها الباحثون من علماء وفلاسفة.

(الميداني ١٤١٢هـ ص ٨٥)

وبعد هذه البراهين والحجج القاطعة على وجود الله وعظمته يطالب القرآن الكريم الإنسان أن يوجه سلوكه وفق ما توصل إليه من الأدلة والبراهين القاطعة فلا يعبد إلا الله ولا يخاف ولا يخشى إلا منه سبحانه ولا يتوكل إلا عليه ولا يتقرب بأي نوع من أنواع القربات إلا طلباً لما عند الله من الأجر والثوبة، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يحكم إلا بشرعه بعيداً عن القوانين الوضعية والأحكام العرفية. لأن الله هو الحاكم المهيمن المتصرف في هذا الكون. قال تعالى ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ سورة الأعراف : ٥٤

الأمر الثاني : الإيمان بربوبيته تبارك وتعالى :

ومعنى ذلك إفراده سبحانه بأفعاله بأن يعتقد الاعتقاد الجازم بأنه الواحد الأحد

الذي لا شريك له الخالق لجميع المخلوقات الرازق ذو القوة المتين، المتصرف فى تدبير شؤون خلقه، مالك الملك له الخلق والأمر يحي ويميت وهو على كل شئ قدير .

قال تعالى ﴿الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل﴾ سورة الزمر: ٦٢

وقال تعالى ﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها . . .﴾ سورة هود : ٦

وقال ايضا ﴿. . . ذلكم الله ربكم له الملك . . .﴾ سورة فاطر ١٣

وقد فطر الله جميع الخلق على الإقرار بربوبيته، وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره

بانكار الرب فرعون حين قال لقومه: ﴿. . . أنا ربكم الأعلى . . .﴾ سورة النازعات : ٢٤

ولكن ذلك ليس عن عقيدة قال تعالى ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾

سورة النمل : ١٤

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبيته الله تعالى مع إشراكهم فى الألوهية

(ابن عثيمين، ١٤٠٣هـ، ص ٦)

قال تعالى ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾

سورة المؤمنون : ٨٤، ٨٥

الأمر الثالث: الإيمان بألوهيته تبارك وتعالى :

ومعناه بعبارة إجمالية الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق ولا إله غيره

وإفراده سبحانه بالعبادة (ياسين ١٤٠٣ هـ ص ١٩)

قال تعالى ﴿والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ سورة البقرة : ١٦٣

فمن اتخذها شريكاً مع الله تعالى فى عبادته فالوهيته باطله، قال تعالى ﴿ذلك بأن

الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو البطل وأن الله هو العليُّ الكبير﴾ سورة الحج : ٢٢

ولهذا كانت دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم، قال تعالى

﴿. . . اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . . .﴾ سورة هود : ٦١

ولأهمية العقيدة في تربية الأمة طالت دعوة الهادي البشير عليه الصلاة والسلام إلى غرسها وترسيخها في النفوس أول الأمر ففي العهد المكي مكث ثلاثة عشر عاما - كانت الدعوة تتركز في تحقيق الوحدةانية وإخلاص العبادة لله وحده، ونبذ عبادة ما سواه والعمل على ما يقوى هذا الجانب. (الحد ١٤٠٩ هـ ص ٣٤)

من أجل ذلك كان الإيمان بألوهيته سبحانه أول الدين وآخره، ومن أجل ذلك أيضا أرسلت الرسل وأنزلت الكتب . يقول ابن تيمية (١٤٠٥ هـ)

” وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به كان من المشركين“ (ص ١٤٢)

فعلى القائمين على التربية والتعليم أن يغرسوا العقيدة الصحيحة في قلوب الناشئة وتحصينهم من خطر الانحراف، ومواجهة الأفكار والتيارات الهدامة التي تبث سمومها عبر الوسائل المختلفة طعنا في عقيدة الإسلام وتشويه صورته، وأول ما يجب عليهم أن يعرفوا الناشئة بتوحيد الألوهية، لأنه حين ينشأ على هذا المعتقد السليم ستتعكس آثاره على فكره وشعوره وعمله وسلوكه .

الأمر الرابع : الإيمان بأسمائه وصفاته :

وهذا يعنى اثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف^(١)، ولا تعطيل^(٢) ولا تكييف^(٣) ولا

(١) التحريف : في الأصل مأخوذ من قولهم : حرفت الشيء عن وجهه حرفا من باب ضرب، إذا أملتة وغيرته والتشديد للمبالغة وتحريف الكلام : إمالته عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر لا يدل عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوح فلا بد من قرينه تبين انه المراد

(٢) التعطيل : فهو مأخوذ من العطل، الذي هو الخلو والفراغ والترك والمراد هنا نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذاته تعالى

(٣) التكييف : أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا أو يسأل عنها بكيفية

تمثيل^(١)

(ابن عثيمين ١٤٠٣ هـ ص ٨)

قال تعالى ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ سورة الشورى ١١

وقال تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُّوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي الْأَسْمَاءِ سَيَجْزُونَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

سورة الأعراف : ١٨٠

فالله تعالى متصف بصفات الكمال منزه عن كل عيب ونقص، لا تشبه صفاته صفات خلقه .

يقول ابن تيمية (د.ت) :

” وكل اسم من اسمائه يدل على الذات المسماة وعلى الصفه التي تضمنها الإسم، كالعليم يدل على الذات والعلم، والقدير يدل على الذات والقدره، والرحيم يدل على الذات والرحمه “
(ج ١٣ ص ٣٣٣)

وبهذا، فإن الإيمان بالأسماء والصفات يقوم على ثلاثة أسس من جاء بها فقد وافق الصواب ومن أخل بواحد من تلك الأسس فقد ضل، وهي :-

الأساس الأول :

تنزيه الله عن مشابهة الخلق .

الأساس الثاني :

الإيمان بالصفات الثابتة بالكتاب والسنة وعدم التعرض لنفيها .

الأساس الثالث :

قطع الطمع عن إدراك الكيفية . (الشنقيطي، ١٤١١ هـ ص ٩٥)

فعلى العبد أن يعرف أسماء وصفاته تبارك وتعالى، وما يجب عليه نحوها من الإثبات والتنزيه، لأن الإيمان بأسماء الله وصفاته يؤثر تأثيرا إيجابيا في سلوك الفرد

(١) التمثيل : هو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين (شرح العقيدة الواسطية : محمد خليل هراس

والمجتمع، فإذا عرف الإنسان أسماء الله وصفاته، وعرف مدلولاتها على الوجه الصحيح فإن ذلك يعرفه بربه، ويربط به، يعظمه ويخافه ويخشاه، في حين يتضرع إليه ويدعوه ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته، كما يقوم بالإحسان إلى الآخرين، ويقوم العدل ويحارب الظلم والفساد .

ومن خلال ما تقدم يتضح معنى الإيمان بالله تعالى : أي الإيمان بألوهيته وربوبيته لا شريك له في الملك ولا منازع له فيه ولا إله غيره ولا رب سواه، وأحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولا يشرك في حكمه أحدا، ولا ضلله ولاند ولم يكن له كفوا أحد، ذي العظمة والكبرياء، الذي هو أهل أن يجبل فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ويوحد فلا يشرك معه غيره ولا يوالى إلا هو، والإيمان بما وصف به نفسه ووصف به رسوله صلى الله عليه وسلم من الإسماء الحسنی والصفات العلی .
(الحكمی د . ت ج ٢ ص ٧٦)

وهذا الإيمان بـ [لا إله إلا الله] هو الركن المهم الأساسي من تعليم النبي ﷺ، وهو مركز الإسلام وأصله ومصدر قوته، وكل ما عداه من معتقدات الإسلام وأحكامه وقوانينه إنما تقوم على هذا الأساس نفسه ولا تستمد قوتها إلا منه . والإسلام لا يبقى منه شيء لو زال هذا الأساس من مكانه . (المودودي، د.ت ص ٩٩)

وفيما مضى يتضح أن مجال الإيمان بالله تعالى من أخص أبواب العقيدة . ويزداد الأمر وضوحا حينما نجد أن أهم العهود والمواثيق ما اخذه الله على آدم وذريته عند إخراج الذرية و الإيمان به سبحانه قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ سورة الأعراف ١٧٢

يقول الشوكاني: (١٤٠٣ هـ)

” إن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد، وهؤلاء هم عالم الذر وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ولا المصير إلى غيره“

(ج ٢ ص ٢٦٣)

فإنَّ الله تعالى هو الخالق المستحق للعبودية وحده دون سواه ومن أجل هذه الحقيقة الواضحة أخذ العهد والميثاق من البشرية وهم في عالم الذر بأن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يؤمنوا بجميع رسله .
وكلام الأئمة في هذا كثير، جدا لا يمكن نقله ومن أراد الوقوف على كثير من ذلك

فليرجع إلى ما كتبه علماء السنة، مثل :

- ١ (كتاب السنة : لعبدالله بن أحمد بن حنبل .
- ٢ (كتاب التوحيد : للإمام الجليل محمد بن خزيمة .
- ٣ (كتاب السنة : لأبي القاسم اللالكائي الطبري .
- ٤ (كتاب السنة : لأبي بكر بن أبي عاصم .
- ٥ (الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام بن تيمية .
- ٦ (التدمرية : لابن تيمية .
- ٧ (الإيمان : لابن تيمية .
- ٨ (الإيمان : لابن منده .

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في وجوب الإيمان بالله جل وعلا:

١ - حياة القلوب وطمأنينة النفوس

إن الإيمان بالله تعالى هو حياة القلوب وصلاح النفوس به ترقى إلى درجات الكمال كما أنه يهذب السلوك، وينظم الحياة وذلك حينما يستشعر المؤمن ارتباطه بالخالق جل وعلا، قال تعالى ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مُبِينًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ

كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا . . ﴾ سورة الأنعام : ١٢٢

فالإيمان بالله مصدر السعادة والراحة والطمأنينة، فلا يعترى المؤمن خوف ولا قلق ولا يتسرب إليه اليأس والقنوط قال تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا

بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

سورة الرعد ٢٨

يقول الشرجي:

” إن الإيمان بالله تعالى يحمي المؤمن من أن يتسرب إليه اليأس أو القنوط في أي حال من الأحوال، وإن أوصدت في وجهه كل أبواب الحياة، أو ضاقت عليه كل مسالك العيش، لأن له من الثقة بربه وحسن الاعتماد عليه، ما يجعله مطمئن القلب ناعم البال“
(ص ٢١)

وبهذا يصبح الإنسان أبعد ما يكون عن اليأس والقنوط، وقد بين القرآن أن اليأس من صفات الكافرين قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

سورة يوسف ٨٤

الكَافِرُونَ ﴿٨٤﴾

ومن هنا يتبين للمؤمن بربه أنه إذا ضاقت عليه الحيل وتقطعت به الأسباب اتجه إلى الله بكلية يدعوه ويستغفره ويلجأ إليه في جميع حوائجه، فالله تعالى يمدده بالعون والنصر والتوفيق .

٢ - صحة الاعتقاد وسعة البحث والاطلاع

إن الإيمان بالله يربي عقل الإنسان على صحة الاعتقاد وسعة البحث والاطلاع والتأمل في أسرار الكون العلوية والسفلية .

قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩٠﴾ سورة آل عمران ١٩٠/١٩١

يقول (ابن عاشور) (١٩٧٩ م)

” لا جرم أن العقيدة أساس التفكير، وهي الفكرة الأولى للإنسان فيما هو خارج عن حاجته، فإذا ربي العقل على صحة الاعتقاد تنزه عن مخامرة الأوهام الضالة، فشب على سيد الحقائق، والمدركات الصحيحة، فبنا عن الباطل وتهياً بقبول التعاليم الصالحة والعمل الحق“
(ص ٥١)

فعقيدة التوحيد والإيمان بالله تربي العقل الإنساني على سعة النظر وحب الاطلاع على أسرار الكون والطموح إلى معرفة ما وراء الحس، فكل ما في الكون مما ترى وما لا ترى من السموات والكرسي والعرش والملائكة كل ذلك من ملك الله وكل كائن صغير أو كبير يسبح بحمده ويشهد بعظمة قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾
سورة الإسراء: ٤٤

وقد أمر الله في كتابه الكريم أن نتأمل ذلك كله، ونتأمل خلق السموات والأرض والبحار والأنهار والإبل والدواب والنحل و بين أنه ما من شيء إلا يعلمه من أصغر ذرة إلى أكبر جرم قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾
سورة الأنعام: ٥٩ (النحلاري، ١٤٠٣هـ ص ٧٦)

٣ - العمل الصالح والسلوك الحسن

إن الإيمان بالله مرتبط بالعمل الصالح، ولذلك فالإسلام يتدئ بتربية النفس الإنسانية على صحة الاعتقاد وحسن العمل وقد قرن الإيمان بالعمل الصالح في عدة مواضع في القرآن الكريم وما ذلك إلا لأهمية العمل الصالح في تربية النفس وصلتها من مهاوي الردى لأن الحياة الدنيا مزرعة للآخرة.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ سورة الزلزلة: ٨، ٧

وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا . . .﴾ سورة فصلت: ٣٠

وفي الحديث النبوي الشريف (عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحد غيرك قال : قل آمنت بالله ثم استقم)
(النيسابوري ١٤١٢هـ كتاب الإيمان ج ١ ص ٦٥ رقم الحديث ٦٢)

وهذا يدل على أن الإيمان بالله تعالى مرتبط بالاعمال الصالحة فما الاستقامة إلا دليل على العمل الصالح، ولا تأتي الاستقامة مع شيء من الاعوجاج .

٤) يقظة الضمير لدى المؤمن دائماً

لاشك أن تربية الإنسان على موالاة الله موالاة رسول الله وموالاة المؤمنين يؤكد أن المؤمنين هم حزب الله وهو وليهم. قال تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ سورة المائدة: ٥٥

وهذا الولاء يربي النفس دائماً أن تكون وقافة عند حدود الله وفي حرب مع دعاة الشر ومع الشيطان واتباعه الذين يزينون للناس المعصية واتباع الشهوات وقد جعل الله هذا الولاء لله ورسوله والمؤمنين فوق ولاء الأبوّة والقراية والرحم.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ سورة التوبة ٢٣ كما أن الإلتواء إلى الله والإعتزاز به ينعكس على الأمة حيث تترى عندها وحدة الكلمة.

على أساس من الخير والإيمان من غير تعصب عنصري أو تحيز مصلحي غايته استغلال الشعوب وامتصاص خيراتها فكل من آمن بالله على بصيرة فهو من حزب الله بغض النظر عن جنسه أو عرقه أو لونه وكذلك فكل من كفر بالله وحارب دينه وقاوم دعوته فهو من حزب الشيطان أيا كان لونه أو عرقه، قال تعالى واصفاً عباده الذين من أوليائه بقوله ﴿إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ سورة يونس ٦٢، ٦٣ (المرصفي ١٤١٠هـ - ٤٢ص)

وبهذا يتضح أن مفهوم الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين من أهم دعائم وركائز التربية الإسلامية الذي يجب أن تبين أهدافها في جميع مراحل حياتها على هذا الولاء لأن الولاء لله من تمام عقيدة التوحيد، وموالاة الكفار مما ينافي ذلك. وبهذا يتحقق تربية الولاء لله تعالى ورسوله ﷺ وحزب الله المؤمنين الذي هو من عقيدة التوحيد.

٥- التواضع ولين الجانب:

الإيمان بالله تعالى يربي الإنسان على التواضع ولين الجانب والعفو والصفح

والإحسان والتسامح، واجتناب الكبر والزور والعجب قال تعالى ﴿... فَاغْفُ عَنْهُمْ

سورة المائدة: ١٣

وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

وقال أيضاً ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مَحْتَالٍ

سورة لقمان: ١٨

فَخُورٍ﴾

فالإيمان بالله يربي الإنسان على الفضائل الإنسانية وينهاه عن الصفات الإنسانية السيئة؟ فإذا اغتر الإنسان بقوته وبما وهبه الله من الجسم وأخذ يبطش بأخوانه، تذكر قدرة الله تعالى عليه وبما وهبه من العلم ونسب العلم إلى الله تبارك وتعالى. وأن ما أوتى من العلم إلا القليل، فلا يماري السفهاء ولا يجادل به العلماء فذلك يربي في نفسه التواضع، ويطلب من الله المزيد من العلوم والمعارف.

كذلك ما أعطاه الله من الأموال فلا يطغى ولا يحرم السائل بل يعطيه لأن عقيدته تمليه عليه ذلك فلا إسراف ولا مخيلة بل بذل وعطاء في سبيل مسدي النعم وهو الله رب العالمين.

٦- تحرير النفوس من الذل والخوف والسيطرة من غير الله سبحانه.

إن الإيمان بالله تعالى يربي النفس الإنسانية الخوف والمهابة من الله تعالى، لأن الخوف والخشية من غيره سبحانه صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله يؤدي بصاحبه ولعياذ بالله إلى الشرك، لأن أولئك الذين يخافونهم ويخشونهم لا يملكون

لأحد ضراً ولا نفعاً قال تعالى ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ سورة آل عمران: ١٧٥

وقال أيضاً ﴿... أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ التوبة: ١٣

يقول عثمان (١٤١هـ)

”وإذا تحررت النفس من الخوف من الغير، فإنها تتحرر من الذل والعبودية والخضوع لغير الله، إن الإنسان قد يذل لغيره خوفاً على حياته أو رزقه أو جلباً للمنفعة أو دفعاً للمضرة، وقد

بين القرآن أن المنفعة والمضرة بيد الله كما أن الحياة والموت والرزق بأمره. قال تعالى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا

يَدْرِكْكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ. ﴿٧٨﴾ سورة النساء: ٧٨

والرزق كالموت والحياة بيد الله لا يجوز أن يخاف الإنسان عليه من أحد سواه

قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾

سورة الإسراء: ٣٠ (ص ٣٩)

هذه بعض الآثار التربوية فضلاً عما يكون للإيمان بالله من آثار تربوية حمية كالباعث على التحلي بمكارم الأخلاق والتنزه عن سفاسفها، وتربية النفس على العزة والكرامة والشجاعة والثبات والإقدام وضبط النفس والوقوف عند حدود الله ومحارمه، وكذلك ماله من تأثير على تربية النفس على التقوى والورع ومحبة الله ورسوله والمؤمنين وتوثيق الروابط والصلات بين أفراد المجتمع فإذا نشأ الإنسان على العقيدة الصحيحة والإيمان بالله فإن له ردود فعلية، تؤثر في حياته فلا يحزن ولا يأسف على ما فاتته من حطام الدنيا الزائل. وعلى المربي الذي يريد تحقيق هذه الآثار التربوية أن يربط جوانب التربية بتوحيد الله وأسمائه وصفاته، من دراسة الكون وما فيه ويجب أن يكون هدفه ربط الخالق بال مخلوق واستحضار عظمة الخالق سبحانه.

وهذا يربي الإنسان تربية ذاتية إذا علم أن الله مطلع على حركاته وسكناته، وأنه

لا تخفى عليه خافية. قال تعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ سورة غافر: ١٩

المبدأ الثاني : العهد والميثاق في وجوب الإيمان بالكتب السماوية

١. قال تعالى ﴿وَإِنِّي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ

وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ. وَأَمَّنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ سورة البقرة: ٤٠، ٤١

وقال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة البقرة: ٦٣

١. وقال جل وعلا ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ

وَاسْمَعُوا﴾ سورة البقرة: ٩٣

٢. وقال تعالى ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ سورة النساء: ١٥٥

٣. وقال تعالى ﴿أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ سورة الأعراف: ١٦٩

هذه العهود والمواثيق في وجوب الإيمان بالكتب وقبل الحديث عن الإيمان

بالكتب لا بد من الوقوف على تعريف الكتب.

لتعريف الكتب لغة، صيغتان هما :-

(١) كُتِبَ، بضم فاء وعين الفعل .

(٢) وكتب بضم الفاء وسكون العين . وكلاهما جمع الكتاب .

الكتاب :

مصدر من المصادر كتب يكتب كتابا ويأتي مصدر على صيغة كتبه، وكتابة وكتبا.

ويؤنث على نيه الصحيفة نحو: جاءته كتابي (ابن منظور، ١٤١٠هـ - ١ ص ٦٩٨، ٦٩٩ ص ٦٩٩)

وللكتاب معان عديدة عند أهل اللغة :-

الكتاب معناه الضم والجمع ومنه كتب الكتاب لأنه يجمع حرفا إلى حرف

أي جمع حروفه ويطلق على الدواة التي يكتب منها .

(ابن منظور ١٤١٠هـ - ١ ص ٦٩٩، الفيروزآبادي، ١٤١٥هـ - ١ ص ١٦٥)

ويطلق أيضا على الصحيفة التي يكتب فيها . ويطلق على الحكم

(ابن منظور، ١٤١٠هـ ج١ ص ٦٩٩)

التعريف الشرعي :

كلام من كلام الله تعالى، تكلم بها حقيقة فيها هدية البشرية وما يسعدهم ، يوحى الله به إلى رسول من رسله ليبلغه للناس

ويطلق اسم الكتاب شرعا :

" على ما يشمل الصحف والألواح، وجميع أنواع الوحي اللفظي أو الكتابي التي ينزلها الله على أي رسول من رسله ليبلغها إلى الناس، وبأية لغة من اللغات نزلت، صغيرة كانت أو كبيرة، مدونة فيها صفة الاعجاز اللفظي للناس . أو ليس فيها ذلك" (الميداني، ١٤١٢هـ ص ٤٦٦)

وإن من فضل الله تعالى على خلقه بعد أن أوجدهم من العدم، وسخر لهم كل ما في هذا الكون ورزقهم من الطيبات، وتفضيلهم على كثير ممن خلق تفضيلا، أودع سبحانه فيهم فطرا سليمة تقودهم إلى سبيل الهدى والرشاد وترشدهم إلى طريق الحق والصواب ولم يتركهم تبارك وتعالى يسبحون في هذه الحياة هملا دونما توجيه أو إرشاد فلم يخلقهم عبثا ولن يتركهم سدا، ولكن بعث إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب فيها هدايتهم ومنهج حياتهم مبنية فيها ما يصلح أحوالهم ويعود عليهم بالنفع في العاجل والآجل .

فالإيمان بالكتب المنزلة الركن الثالث من أركان الإيمان الستة^(١) ولذلك أخذ الله العهد والميثاق على عباده بأن يؤمنوا بها ويعتقدوا ذلك اعتقادا جازما بأن الله كتبها أنزلها على رسله وأنه تكلم بها حقيقة وحيا منه إلى رسله الكرام ليبلغوها إلى من أرسلوا إليهم .

ففي الآيات السابقة يبين الله تعالى ما أخذه على بني إسرائيل من العهود والمواثيق التي وردت في التوراة مع وجوب الإيمان بها " أمر بالإيمان بالقرآن " وآمنوا بما أنزلت

(١) الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره .

مصدقاً لما معكم " مع دخوله في قوله " وأوفوا بعهدي " إشارة إلى أن الوفاء به أهم، إذ هو العمدة القصوى والمقصد الأول وهو قد نزل مصدقاً لما جاء في التوراة وما قبلها من كتب الأنبياء" (المراغي د.ت ج ١ ص ١٠٠)

ومعروف أن أكثر الرسل بعثوا إلى بني إسرائيل وقد أخذ الله عليهم وعلى رسلهم العهود والمواثيق بأن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به .

وقد ذكر القرآن الكريم هذه العهود والمواثيق قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا تِينَاكُمْ بَقْوَةً وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ سورة البقرة : ٦٣

أخذ الله تعالى عليهم العهد والميثاق ثم رفع فوقهم هذا الطور^(١) تخويفاً لهم، لأن رؤية ذلك الجبل الضخم عليهم مما يثير الخوف والخشية فيثير ويقوى الإيمان فلا بد لبني إسرائيل أن يتمسكوا بهذا العهد ويتذكروه ويتوارثوه، ويتدبروا معانية، ولا يخفوه بل يعملوا بما فيه من أحكام فإن العمل هو الذي يجعل العلم يرسخ في النفوس فعهد الله منهج حياه منهج يستقر في القلب تصورا وشعورا، ويستقر في الحياة وضعا ونظاما، وفي السلوك أدبا وخلقا، وينتهي إلى التقوى والحساسية برقابة الله تعالى وخشية المصير .

كما أن الله أخذ العهد والميثاق على عبادة في وجوب الإيمان بالكتب إجمالا فيما أجهل وتفصيلا فيما فصل والكتب التي ورد ذكرها في القرآن الكريم هي :-

(١) التوراة التي نزلت على موسى ﷺ

قال تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ سورة المائدة : ٤٤

(٢) الإنجيل الذي نزل على عيسى ﷺ، حيث، قال تعالى ﴿ وَقَفِينَا عَلَى آثَارِهِمْ

بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ سورة المائدة: ٤٦

(١) الطور: هو الجبل الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه.

٣) الزبور الذي نزل على داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ سورة الاسراء: ٥٥

٤) الصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى والتي أخبر عنها بقوله

﴿أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ سورة النجم ٣٦، ٣٧

وقال أيضاً ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ سورة الأعلى ١٨/١٩

أما الكتب الأخرى التي نزلت على سائر الرسل، ولم يخبرنا الله تعالى عن اسمائها فيجب علينا أن نؤمن بهذه الكتب، ولا يجوز لنا أن ننسب كتابا إلى الله تعالى سوى ما نسبه إلى نفسه مما أخبرنا عنه في القرآن الكريم .

فهذه الكتب التي أنزلها الله على الأنبياء السابقين قبل القرآن الكريم، والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم كانت جميعها هداية للبشرية ونورا يضيء للسالك الطريق في حلك الظلمة، فيها حل مشاكلهم، وما ينبغي لهم الأخذ به في جميع شؤون الحياة، مع اعتقادنا الجازم بأن هذه الكتب قد حرفت لأن حفظها أو كل للبشر.

قال تعالى ﴿أَقْطَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ

مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة : ٧٥

وقال تعالى ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ . . .﴾ سورة النساء : ٤٦

والحقيقة أن الكتب التي أخبرنا الله بأسمائها، لم يبق لصحف إبراهيم منها وجود في الدنيا أما التوراة والزبور والإنجيل، فإنها وإن كانت لا تزال عند اليهود والنصارى، ولكنهم قد حرفوها كثيرا وبدلوا كلماتها عن مواضعها وحذفوا منها وأضافوا إليها كثيرا من الآراء من عند انفسهم . (المودودي، د.ت ص ١٠٣)

ولقد تكررت الآيات التي بينت ما أخذه الله على بني إسرائيل من العهود والمواثيق في وجوب الإيمان بما أنزل إليهم من كتب .

قال تعالى ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ . . .﴾ سورة المائدة : ٤٧

وقال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ

إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ سورة المائدة : ٦٨

فهذه الآيات تدل دلالة واضحة على وجوب الإيمان بكل ما أنزل الله تعالى على الأنبياء والرسل وأنها نزلت بالحق والنور والهدى، وتوحيد الله في ربوبيته والوهيته، واسمائه وصفاته، وأن ما نسب إليها مما يخالف ذلك إنما هو من تحريف البشر وصنعهم. (ياسين، ١٤٠٣هـ ص ٧٩: ص ٨١)

٥ (القرآن الكريم المنزل على محمد ﷺ

قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ سورة الإنسان : ٢٣

وقال تعالى ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

وَأُنزِلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ . مِنْ قَبْلُ هَدَىٰ لِلنَّاسِ وَأُنزِلَ الْفُرْقَانَ . ﴾ سورة آل عمران : ٤، ٣، ٢

يعنى نزل عليك القرآن يا محمد بالحق أي لا شك فيه ولا ريب بل هو منزل من عند الله أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي من الكتب المنزلة من السماء على عباد الله والأنبياء فهي تصدقه بما أخبرت به وبشرت في قديم الزمان، وهو يصدقها لأنه طابق ما أخبرت به وبشرت من الوعد من الله بإرسال محمد ﷺ وإنزال القرآن العظيم عليه، وهو الفارق بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والغبي والرشاد بما يذكره الله تعالى من الحجج، والبيئات والدلائل الواضحات، والبراهين القاطعات (ابن كثير، ١٤٠٧هـ ج ١ ص ٣٥٢/٣٥١)

والقرآن الكريم آخر الكتب السماوية نزولا ناسخا لما سبقه من الكتب لهذا جاء مشتملا على كل ما يسعد البشرية في الحياة الدنيا وفي الآخرة إن هم اتبعوا تعاليمه وساروا على منهجه وتمسكوا به، وقد تكفل الله بحفظه ولم يوكله للبشر، محفوظ من الزيادة والنقصان والتغير والتبديل

قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ سورة الحجر : ٩

وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ

بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ سورة فصلت : ٤١ / ٤٢

إثبات نسخ القرآن للكتب السماوية السابقة :

القرآن الكريم المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم هو آخر الكتب السماوية نزولاً، وهو ناسخ لما سبقه من الكتب .

قال تعالى ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴾ سورة البقرة ١٠٦

يقول ابن كثير، (١٤٠٧هـ)

” الذي يحمل اليهود على البحث في مسألة النسخ إنما هو الكفر والعناد فإنه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله تعالى لأنه يحكم ما يشاء كما أنه يفعل ما يريد مع أنه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة وشرائعه الماضية، كما أحل لآدم تزويج بناته من بنيه ثم حرم ذلك، كما أباح لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات ثم نسخ حل بعضها، وكان نكاح الأختين مباحاً لإسرائيل وبنيه وقد حرم ذلك في شريعة التوراه وما بعدها وأمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده ثم نسخته قبل الفعل، وأمر جمهور بني إسرائيل بقتل من عبد العجل منهم ثم رفع عنهم القتل كيلا يستأصلهم القتل، وأشياء كثيرة يطول ذكرها، وهم يعترفون بذلك ويصدقون عنه، وما يجاب به عن هذه الأدلة بأجوبة لفظية فلا يصرف الدلالة في المعنى إذهو المقصود . وكما في كتبهم مشهوراً من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والأمر باتباعه، فإنه يفيد وجوب متابعتة عليه الصلاة والسلام وأنه لا يقبل عمل إلا على شريعته، وسواء قيل إن الشرائع المتقدمة مغياة إلى بعثته عليه السلام فلا يسمى ذلك نسخاً لقوله ﴿ ثُمَّ آتُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ وقيل إنها مطلقة وإن شريعة محمد ﷺ نسختها فعلى كل

تقدير فوجوب متابعتة متعين لأنه جاء بكتاب هو آخر الكتب عهدا بالله
تبارك وتعالى . (ج ١ ص ١٥٦)

وكان الضحاك بن مزاحم يقول في قوله تعالى ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ سورة الرعد ٣٨
أي لكل كتاب أجل، يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند الله
ومقدار معين فلهذا ﴿ يَحُورُوا لِلَّهِ مَا يَشَاءُ ﴾ منها ﴿ وَيَثْبُتُ ﴾ يعني حتى نسخت كلها
بالقرآن الذي أنزله على رسوله صلوات ربي وسلامه عليه . (ابن كثير مرجع سابق
ج ٢ ص ٥٣٨)

الإيمان بالقرآن الكريم تفصيلا

تعريف القرآن :

اختلف أهل العلم في لفظ القرآن وذهبوا في اختلافهم إلى مذاهب متباينة منها :

(١) قال الهروي :

كل شيء جمعته فقد قرأته .

(٢) وقال أبو عبيد :

سمي القرآن قرآنا، لأنه جمع السور بعضها إلى بعض وقيل لأنه جمع أنواع

العلوم كلها بمعان كما في قوله تعالى ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ سورة الأنعام : ٣٨

(٣) وقيل هو اسم مشتق من شيء، بل هو اسم خاص بكلام الله .

وقيل سمي قرآنا : لأن القراءة عنه والتلاوة منه وقد قرئت بعضها عن بعض .

(الزركشي ١٤٠٠هـ ج ١ ص ٢٧٧)

(٤) وقال (الأصفهاني د . ت) :

سمي قرآنا، لكونه جمع ثمرات الكتب المقدسة، وجمعه ثمره جميع العلوم (ص ٦٦٩)

(٥) وقال الواحدى :

قول الشافعي هو اسم لكتاب الله يعني أنه اسم علم غير مشتق

(٦) وقال آخرون :

إنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء أو ضممته إليه فسمي بذلك لقران السور والآيات والحروف منه .

(٧) وقال القرطبي :

القرآن بغير همز مأخوذ من القرائن، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً فهي حينئذ قرائن (الرزكشي ١٤٠٠هـ مرجع سابق ج١ ص ٢٧٨)

(٨) وقد أورد القطان، (١٤٠١هـ)، تعريف للعلماء يقرب معناه ويميزه عن غيره، فيقول: "هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته" فالكلام: جنس في التعريف، يشمل كل كلام، وإضافته إلى الله تعالى يخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة .

والمنزل: يخرج كلام الله الذي استأثر به سبحانه قال تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ سورة الكهف: ١٠٩ وقوله: المنزل على محمد ﷺ يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوراه والإنجيل وغيرها .

والمتعبد بتلاوته: يخرج قراءات الآحاد، والأحاديث القدسية، إن قلنا إنها منزلة من عند الله بألفاظها، لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك . (ص ٢١)

ومن فضل الله تعالى على أمة محمد ﷺ أن أنزل إليها أفضل كتبه وأرسل إليها أفضل رسوله هو محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه يحمل من الله كتاباً يدعو الناس جميعاً إلى عبادة وحده .

فالقرآن الكريم هو رسالة المولى جل وعلا إلى الإنسانية كافة حاملاً بين ضياته أسمى أنواع التربية وأبنا جميع مطالب الحياة الإنسانية ولذا يجب على كل مسلم أن يؤمن بالقرآن الكريم جملة وتفصيلاً وذلك أن القرآن احتوى على ما فيه سعادة البشرية من :-

- ١) العقائد التي يجب الإيمان بها، في الله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر
 - ٢) الأخلاق الفاضلة التي تهذب النفوس، وتصلح من شأن الفرد والجماعة، وتحذر من الأخلاق السيئة .
 - ٣) الإرشاد إلى النظر والتدبر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء، لتعرف أسرار الله في كونه، وإبداعه في خلقه، فتمتلئ القلوب إيماناً بعظمته عن نظر واستدلال لا عن تقليد ومجازاه .
 - ٤) قصص الأولين أفراداً وأمم فلم تذكر هذه القصص على أنها تاريخ يحدد الزمان والمكان والاشخاص وإنما لإخذ العظة والعبرة ممن سبق وإرشاده إلى سنن الله في معاملة خلقه الصالحين منهم والمفسدين .
 - ٥) الأحكام العملية التي وضعها، أو وضع أصولها وكلفنا أتباعها في تنظيم علاقاتنا بالله سبحانه وعلاقتنا ببعضنا ببعض .
 - ٦) الإنذار والتخويف، أو الوعد والوعيد :
- الوعد والوعيد عن طريق الحياة الدنيا، بعموم السلطان والتمكين في الأرض أو بتقلص الفرد الملك وتسليط الظالمين .
- والترغيب والترهيب بنعيم الآخرة وعذابها (شلتوت د . ت، ص ٤٧٩ - ٤٨١)
- ويشير قطب محمد (١٤١٤ هـ) إلى أن القرآن ليس كتاب نظريات نفسه أو علمية أو فكرية، ولكنه يحتوى التوجيهات الكاملة والكافية لإنشاء هذه النظريات، فهو كتاب تربية وتوجيه وفي سبيل هذا التوجيه يكشف للإنسان عن بعض أسرار نفسه، وأسرار الكون من حوله ويدعوه إلى النظر والتأمل فيها ومن ثم يتجه الإتجاه الصحيح .
- (ص ٨)
- فيجب أن نؤمن بأن القرآن العظيم هو آخر كتاب أنزل من عند الله تعالى وأن الله عز وجل قد خصه بمزايا تميز بها عن جميع ما تقدمه من الكتب المنزلة، من أهمها:
- ١) أنه تضمن خلاصة التعاليم الألهية، وجاء مؤيداً ومصداقاً لما جاء في الكتب السابقة من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته . وجمع كل ما كان متفرقاً في تلك

الكتب من الحسنات والفضائل . وجاء مهيمنا ورقيبا عليها، يقر ما فيها من حق،
ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغيير

قال تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾

سورة المائدة : ٤٨

وأنه جاء بشريعة عامة للبشر أثبت فيها الأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل
زمان ومكان

(٢) أن القرآن هو الكتاب الرباني الوحيد الذي تعهد الله بحفظه قال تعالى ﴿إِنَّا

نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ سورة الحجر : ٩

(٣) أن القرآن أنزله الله على رسوله محمد ﷺ للناس كافة، وليس خاص بقوم

معينين كما كانت تنزل الكتب السابقة (ياسين ١٤٠٣ ص ٨١، ص ٨٢)

فكما أخذ الله العهد والميثاق على الأمم السابقة بوجوب الإيمان بما أنزل من
كتب عامة والقرآن الكريم إن ادركوا خاصة فإن أمة محمد ﷺ من عقيدتها أن تؤمن
بالقرآن الكريم وجميع الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين وهذا من مقتضى العهد
والميثاق .

فوجوب الإيمان بالقرآن يقتضي الإيمان بمتشابهة^(١) والعمل بمحكمه^(٢) وتطبيق
أحكامه كما أن للقرآن الكريم أسماء كثيرة سماه الله بها منها .

(١) الفرقان ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ سورة الفرقان : ١

(٢) الكتاب ﴿ حم ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ سورة الدخان : ٢٤١

(٣) الذكر ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ سورة الأنبياء : ٥٠

(١) المتشابهة: ما استأثر الله بعلمه

(٢) المحكم: ما عرف المراد منه.

٤ (التنزيل ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ سورة الشعراء : ١٩٢

٥ (الحبل ﴿ ... وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ ... ﴾ سورة آل عمران : ١٠٧

(السيوطي ١٤٠٥هـ - ج ١ ص ١٤٣، ص ١٤٦)

كما وصف الله تعالى القرآن بصفات كثيرة منها :

أنه نور، وهدى، ومبارك، حكيم، بشير . وغير ذلك من الصفات .

مراحل التحدي به:

وقد تحدى الله فصحاء العرب وبلغائهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أثبت بذلك التحدى فيه عجزهم وفشلهم فقد تحداهم أولا بالقرآن الكريم كله وطلب منهم أن يأتوا بمثله فعجزوا

قال تعالى ﴿ قُلْ لَنْ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ

سورة الاسراء : ٨٨

كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

ثم تحداهم ثانيا بأن يأتوا بعشر سور مثله قال تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مَفْتِرَاتٍ وَاذْعُوا مِنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ سورة هود ١٤، ١٣

ثم تحداهم ثالثا بأن يأتوا بسورة وإن قصرت مثل سورة الكوثر ولكن باؤا بالفشل .

قال تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَاذْعُوا مِنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ

سورة يونس : ٣٨

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

ثم ورد ايضا التحدى بأي سورة من سور القرآن دون تحديد أو تقييد قال تعالى ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَاذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ

للكافرين ﴿

سورة البقرة: ٢٣/٢٤

كما أنه تعالى تحداهم في غير موضع من القرآن الكريم وعلى أن يأتوا بمثل هذا القرآن وقد تحداهم كلهم - الكافرين - متفرقين ومجتمعين سواء في ذلك أميهم وكتابيهم وذلك أكمل في التحدي وأشمل من أن يتحدى أحادهم الأميين ممن لا يكتب ولا يعاني شيئا من العلوم . (ابن كثير، ١٤٠٧هـ - ١٦٣ ص)

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في وجوب الإيمان بالقرآن

الكريم والكتب السماوية :

للقرآن الكريم آثار تربوية عظيمة في النفوس البشرية، لأنه المصدر الأول الذي تستمد منه التربية الإسلامية قوتها ومن هذه الآثار مايلي.

١- الحياة المستقيمة والأخلاق القويمة.

لاشك أن القرآن الكريم يربي النفس الإنسانية على الإلتزام بالأخلاق الحميدة والصفات النبيلة قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾ سورة الإسراء ٩ فيقول النحلاوي (١٤٠٣ هـ) فالقرآن يربي الإنسان على الحياة المستقيمة.. الأخلاق القويمة، لما فيه من العبر والحكم والتشريع العظيم.

وكفى به أنه من الدين عليهم؟ حكيم يضع التشرييع والعبر في مواضعها. عليهم بطباع الناس وما يصلحهم.. الإيمان بأن القرآن من عند الله هو الذي يجعله مقوما لحياة الفرد والمجتمع: (ص ٩١)

فالقرآن يربي النفس على الإلتزام بالمنهج الذي رسمه الله لحياة الإنسان في خاصة نفسه وفي المجتمع الإنساني، والإعتزاز والثقة بأن هذا المنهج ليس هناك ما هو أقوم وأهدى منه وأشمل وأكمل. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

سورة الأنعام ١٥٣

السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

٢- إعمال العقل والتدبر في ملكوت السموات والأرض:

فالقُرآن الكريم يربي الإنسان على إعمال عقله وفكره، ويتدبر ويتأمل في ملكوت السموات والأرض، قاله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ سورة

محمد: ٢٤

وقال سبحانه ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾

سورة الحج: ٤٦

وذلك لأن السمع والبصر والعقل من وسائل نقل المعلومات والمعارف، فإذا لم يستخدم الإنسان هذه الحواس بتأمل وتدبر وتفكير، لا يستطيع أن يصل إلى الحقيقة، وأصبحت بذلك حياته شبيهة بحياة الأنعام بل أضل. قال تعالى ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ سورة الأعراف: ١٧٩ فهذه صفة من لا يتأمل ويتفكر في آيات الله.

٣- التدرج في الفهم والتأني في إصدار الأحكام.

يسهم القرآن الكريم في تنزلاته في تعليم الفرد التدرج في الفهم والتأني في إصدار الأحكام قال تعالى ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ سورة الإسراء: ١٠٦

٤- فصاحة اللسان وقوة البيان:

يربي القرآن الكريم المسلم على فصاحة اللسان وقوة البيان وهذا يدركه كل مشتغل بالقرآن الكريم، فيصبح واضح المقصد والمراد قال تعالى ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ سورة العنكبوت: ٤٩

وقال سبحانه ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ سورة النحل: ١٠٣

٥- ترقيق القلوب والمشاعر

ويربي القرآن الكريم الإنسان على الخوف والخشية، والرغبة والرغبة. فالقرآن ما يزال دائماً يوقظ الحس، ويحي القلوب الميتة. قال تعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ

الحديث كتاباً متشابهاً مَثَانِي تَشَعَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴿٢٣﴾
سورة الزمر: ٢٣

٦- الإعتزاز بفضل الله ونعمه:

تربية الإنسان على الإعتزاز بفضل الله تعالى على خلقه حيث أنزل كتباً تشريعية إلى كل أمة من الأمم، متضمنة الهدى والنور داعية جميعها إلى إفراد الله سبحانه وحده بالعبادة فهي متفقة في أصولها وإن اختلفت الشرائع قال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾
سورة النحل: ٣٦

وقال جل في علاه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾
سورة الأنبياء: ٢٥

ولا تقتصر الآثار التربوية للقرآن الكريم والكتب السماوية السابقة على هذا فهناك آداب وفضائل وسلوك تضمنها الكتاب الكريم.
يقول سابق (١٩٧٦م)

ومن يتبغي الحق لا يجد أمامه سوى القرآن فهو الجامع للمبادئ السامية وللمناهج والنظم القويمية، والحافل بالعقائد والعبادات والمعاملات والنظم. والقرآن الكريم هو الكفيل بتربية الفرد تربية شاملة متكاملة، كما أنه يربي الأسرة الفاضلة والمجتمع الصالح والحكومة العادلة، ويرفع الظلم والعدوان عن المقهورين، كما أنه الوسيلة لتحقيق الخلافة في الأرض. (ص١٦٥)

كما أنه يربي الإنسان على غض البصر وحفظ الفرج، وصيانة الجوارح والتواضع ولين الجانب وخفض الصوت وغيرها.

يقول النحلاوي (١٤٠٧هـ) وفي القرآن آداب سلوكية عظيمة تعلمنا غض البصر، والغض من الصوت، والقصد في المشي، وبر الوالدين، والتواضع للمسلمين، وعدم انتهاز الأيتام وإخفاء الصدقات، وعدم إبطالها بالمن والأذى. (ص٩٤)

وعلى المرابي نحو القرآن الكريم واجبات هامة منها:

- ١- أن يربي الناشيء على حسن النطق وتقويم اللسان على الفصاحة والبيان مع مراعاتها لأحكام التجويد أثناء التلاوة، ويعدده عن اللحن والخطأ.
 - ٢- أن يربي عواطف الناشيء، وذلك بالخشوع عندما يمر بآية تستوجب الخشوع أو الغضب في الله والحنين إلى الجنة.
 - ٣- أن يربي عقل الناشيء. على الإستدلال والإستنتاج، وذلك من خلال أسئلة يطرحها في كل درس تساعد على نمو التفكير. (رشيد، ١٤٠٣هـ ص ١٩٥ ص ١٩٦)
- وبالجملة فإن الإيمان بالقرآن الكريم والكتب المنزلة على الرسل عليهم الصلاة والسلام يقوي الإيمان بالله تعالى. ويزيده رسوخاً في النفوس.
- فالواجب على كل مسلم أن يقبل على القرآن الكريم حفظاً وتلاوة فهماً وتدبيراً لآياته، ويزيد به علماً وعملاً، ويطبقه في الحياة اليومية ليكون هو المنهج في هذه الأرض. اللهم أجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا آمين.

المبدأ الثالث العهد والميثاق في وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل

١. قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مصدقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ . . . ﴿ سورة آل عمران : ٨١

٢. وقال تعالى ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ

قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قِبَلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿

(سورة آل عمران : ١٨٣)

٣. وقال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ

وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُيْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿ سورة آل عمران : ١٨٧

٤. وقال تعالى ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلْتُمُ الْبُرْجَانَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُهُمْ

قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ سورة النساء : ١٥٥

٥. وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي

مَعَكُمْ لِنُؤْمِنَنَّ بِكُمْ لَتَأْتِيَكنَّ الصَّلَاةُ وَءَاتِيَتِكمُ الزَّكَاةُ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمْ تَوْهَاتِكُمْ

وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴿ سورة المائدة : ١٢، ١٣، ١٤

٦. وقال تعالى ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَمْرُسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قَلَّمَ جَاءَهُمْ

رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿ سورة المائدة : ٧٠

٧. وقال تعالى ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا لِمُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِئَلَّا

كُشِفَتْ عَنَّا الرِّجْزُ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ سورة الأعراف : ١٣٤

٨. قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ

مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿ سورة الأحزاب : ٧

تعريف النبي والرسول والفرق بينهما :

• النبي له عدة معاني عند أهل اللغة منها :

١ (الطريق - والشئ المرتفع من الأرض

(الفيروز آبادي/ ١٤١٥ ص ١٧٢٢ ص ١٧٢٣)

٢ (العلم من أعلام الأرض التي يهتدى بها وشرف على سائر الخلق - ويطلق

على الخبر • (ابن منظور ١٤١٠ هـ - ١٥٥٠ هـ ص ٣٠٢، ٣٠٣)

فهذه المعاني كلها تنطبق على أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام .

فهم مخبري عن الله ووسيط بين الله وعباده في تبليغ الأوامر فالنبي ذو رفعه

وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء هم أشرف الخلق، وهم الأعلام التي يهتدى

بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم (الأشقر ١٤١٢ هـ ص ١٣)

• الرسول :

١) . بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر

ألا أبلغ بني عمرو رسولاً * بأنني عن فتاحتكم غني

والرسول هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذاً من قولهم: جاءت الإبل رسلاً أي

متابعة

٢) . بمعنى المرسل ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الشعراء: ١٦

(الزبيدي، ١٤١٤ هـ - ١٤١٥ هـ ص ٢٨٢ الفيروز آبادي ١٤١٥ هـ - ١٣٠٠)

الفرق بين النبي والرسول :

١ (الرسول هو :

الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل عليه السلام عيانا .

والنبي هو الذي تكون نبوته إلهاما أو مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول

(القرطبي د . ت - ١٢ ص ٨٠)

٢ (إن الرسول : ذكر حر بعثه الله تعالى بشرع جديد يدعو الناس اليه .

والنبي : من بعث لتقرير شرع من قبله .

(الألوسي ١٤٠٥هـ ج ١٧ ص ١٧٢، ١٧٣)

٣) الرسول : هو الرجل المبعوث من الله إلى الناس بشريعة .

والنبي من أوحى الله إليه باصلاح أمر قوم يحملهم على شريعته سابقه أو يارشادهم إلى ما هو مستقر في الشرائع كلها فالنبي أعم من الرسول .

(ابن عاشور/ د . ت ج ٨ ص ٢٩٧)

٤) النبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبيء بما أنبأ الله به فان ارسل مع ذلك إلى من

خالف أمر الله ليلغيه رساله من الله إليه فهو رسول .

وأما إذا كان يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رساله

فهو نبي وليس برسول . (ابن تيمية، ١٤٠٢هـ ص ٢٥٥)

التعريف الصحيح للنبي والرسول :

النبي فقط : إنسان حر ذكر أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغة .

والنبي الرسول : إنسان حر ذكر أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغة .

فإذا حصل وحي الله تعالى لأحد من البشر بشئ يتعلق بذاته، ليس شرعاً، ولا

تهيئية لشرع، وإنما بشاره، أو توجيهه أو نحو ذلك، فهو ليس نبياً بمجرد هذا الوحي،

سواء أكان على شريعة أم لم يكن، وأما إذا كان على دين وشريعة والأمة التي هو فيها

كذلك، والوحي إليه بمقتضيات ذلك الشرع القديم، تأكيداً للعمل به ولزومة والدعوة

إليه فهو والحالة هذه نبي ليس برسول .

وأما إن كان على دين وشريعة، والأمة التي هو فيها ليست كذلك، لكون هذا

الوحي إليهم جديداً، أو لم يكن لاكنهم بدلوه، أو نسوه كلاً أو جزءاً، والوحي إليه

بلزوم تلك الشريعة، وتبليغها تلك الأمة ودعوتهم إليها فهو والحالة هذه نبي رسول .

وأما إذ كان على دين وشريعة ايضاً، والأمة التي هو فيها كذلك، والوحي إليه

بنسخ أشياء منها، ودعوة الناس إلى لزوم ما هم عليه مما لم ينسخ، وتبليغهم ما نسخ،

ودعوتهم إلى الأخذ بالناسخ، وترك المنسوخ فهو والحالة هذه نبي رسول .

(الحمد، ١٤١٤هـ ص ١٤٣ - ١٤٤)

والحق أن النبوة شرط في الرسالة فلا يكون رسولا من لم يكن نبيا، فالنبوه أعم، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا .

حاجة البشر إلى الرسل :

من رحمة الله تعالى وعنايته بعباده أرسل إليهم الرسل، مبشرين ومنذرين ليهدوهم إلى الصراط المستقيم ويبينوا كيف يعبدون الله وقيموا دينه ويحذروهم من الإشراك به ومخالفة أمره .

قال تعالى ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ

عليهم وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا مِيسَمُ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ سورة الانعام: ٤٨/٤٩
فالأمة بحاجة إلى رسل الله واتباع تعاليمهم والسير على نهجهم لمعرفة علاقتهم بمخالفتهم ودورهم في الحياه الدنيا .

يقول ابن قيم الجوزية(١٤٠٧هـ)

” ومن ها هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق، ليس إلا هديهم وما جاؤوا به فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها فأبي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير .

وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين، فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقه قلبه لما جاء به الرسل، كهذا الحال، بل أعظم “ (ج١ ص٦٩)

والأنبياء هم رسل الله تعالى إلى عباده بأوامره ونواهيه، زيادة على ما اقتضته العقول من واجباتها وإلزاماً لما جوزته من مباحاتها، لما أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ كَرَامَةِ الْعَاقِلِ وَتَشْرِيفِ أَعْمَالِهِ وَاسْتِقَامَةِ أَحْوَالِهِ، وَانْتِظَامِ مَصَالِحِهِ، حِينَ هِيَ أُمَّةٌ لِلْحِكْمَةِ وَطَبَعَهُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ لِيَجْعَلَهُ حَكِيمًا بِالْعَوَاقِبِ عَلِيمًا لِأَنَّ النَّاسَ بِنَظَرِهِمْ لَا يَدْرِكُونَ مَصَالِحَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَلَا يَشْعُرُونَ لِعَوَاقِبِ أُمُورِهِمْ بِغَرَائِزِهِمْ وَلَا يَنْزَجِرُونَ مَعَ اخْتِلَافِ أَهْوَائِهِمْ دُونَ أَنْ يَرِدَ عَلَيْهِمْ آدَابُ الْمُرْسَلِينَ وَخَبَارُ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ، فَتَكُونُ آدَابُ اللهِ فِيهِمْ مُسْتَعْمَلَةً، وَحُدُودُهُ فِيهِمْ مُتَبَعَةً وَأَوَامِرُهُ فِيهِمْ مِمْتَلَّةً، وَوَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ فِيهِمْ زَاجِرًا وَقِصَصُ مَنْ عَبَّرَ الْأُمَّمَ وَاعْظَا فَإِنَّ الْأَخْبَارَ الْعَجِيبَةَ إِذَا طَرَقَتِ الْأَسْمَاعَ وَالْمَعَانِي الْغَرِيبَةَ إِذَا أَيْقَظَتِ الْأَذْهَانَ اسْتَمَدَّتْهَا الْعُقُولُ فزَادَ عِلْمُهَا وَصَحَّ فَهْمُهَا وَأَكْثَرَ النَّاسَ سَمَاعًا أَكْثَرَهُمْ خَوَاطِرَ وَأَكْثَرَهُمْ خَوَاطِرَ أَكْثَرَهُمْ تَفَكُّرًا، وَأَكْثَرَهُمْ تَفَكُّرًا أَكْثَرَهُمْ عِلْمًا وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا أَكْثَرَهُمْ عَمَلًا، فَلَمْ يَوْجَدْ عَنِ بَعَثَةِ الرَّسْلِ مَعْدِلٌ وَلَا مِنْهُمْ فِي انْتِظَامِ الْحَقِّ بَدَلٌ . (الملاوردى، ١٤٠٧هـ ص ٤٩)

ولو لم يرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين لكان للناس على الله حجة بأنه لم يرسل اليهم من يبلغهم وينذرهم

قال تعالى ﴿رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرِّسَالِ﴾ سورة النساء: ١٦٥

وقال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ

آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَنُخْزَى﴾ سورة طه: ١٣٤

وبذلك يتضح لنا حاجة الناس إلى الرسل، كما أن الناشئ بحاجة إلى مربى يقوم بتربيته وتعليمه .

فالرسل الكرام هم المربون الأوائل الذين قاموا بتربية أممهم على المنهج السوى الذي رسمه الله لهم .

وتتلخص حاجة الناس إلى الرسل في النقاط التالية :

(١) لو ترك الناس لأنفسهم من غير تنبيه وإرشاد لظلموا في الضلالات يتيهون

وذلك بسبب اندفاعهم وراء غرائزهم وشهواتهم وأنا نيتهم، ولظلموا يتخبطون بالظلمات فى أو حال المفاهيم الباطلة، والأخلاق الفاسدة، لذلك كان الناس بحاجة إلى رسل يبهونهم ويرشدونهم .

(٢) إن الناس بحسب التقويم الذى فطرهم الله عليه قد خلقهم الله ليختبر إرادتهم وليبلوهم أيهم أحسن عملا ولولا أن أرسل الله اليهم الرسل مبشرين ومنذرين لكان لهم عذر وحجة عند ربهم يوم القيامة لدى محاسبتهم على كفرهم ومخالفتهم بأنه لم يرسل لهم من بينهم ويدلهم على الله . لذلك أرسل الله الرسل .

قال تعالى ﴿ . . . وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ سورة الاسراء : ١٥

(٣) إن كثيرا من الحقائق العلمية التى لا غنية عنها لإصلاح الناس، وتقويم سلوكهم فى الحياة والتى يبلغها للناس الرسل المؤيدون من عند الله بالمعجزات لا يمكن للعقل البشري أن يتعرف عليها بنفسه بالوسائل الإنسانية العادية، ومنها الدار الآخرة، والجنة والنار، وما فيها، لذلك كان لابد من أن يتعرف الناس عليها عن طريق المتصلين بالوحي وهؤلاء المتصلون بالوحي هم الرسل الذين اصطفاهم الله برسالاته .

(٤) الناس بحاجة فى إصلاح أفرادهم ومجتمعاتهم إلى مصلح مثالي يكون أسوة حسنة لهم، وشخصية المصلح المثالي يجب أن تتوافر فيها : صفة القدوة الحسنة والعصمة عن الخطأ فى الأعمال والأخلاق التى يرشد إليها ويأمر بها .

ولذلك كان الناس بحاجة إلى قاده من رسل الله يتحلون بجميع الكمالات الإنسانية ويكونوا الأسوة الحسنة لجميع الناس، لذلك أرسل الله لهم الرسل بحكمته .

(الميداني، ١٤١٢هـ ص ٢٧٥، ص ٢٧٧)

وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام :

الإيمان بالأنبياء والرسل أصل من اصول الإيمان وقاعدة من قواعد الدين وقد أخذ الله العهد والميثاق على الخلق فى وجوب الإيمان بهم جميعا وذلك فى عدة آيات من كتاب الله وبالأخص نبينا محمد ﷺ .

قال تعالى ﴿أَوْ كَلَّمَا عَهْدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ ولَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

سورة البقرة : ١٠٠، ١٠١

فالرسول ﷺ هو المصدق لما معهم، والذي معهم هو التوراه، وفي التوراه وجوب الإيمان بالرسول ﷺ.

وأخذ الميثاق على النبيين كان في وجوب الإيمان برسل الله سابقهم ولاحقهم فالسابق يؤمن باللاحق ويبشر به، واللاحق يؤمن بالسابق ويصدق بما جاء به .

قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ . . .﴾

سورة آل عمران : ٨١

إنه من أهم الموثيق وأكدها وأشملها . فليس خاصا بالنبيين بل الأمم مطالبه بما أخذ على أنبيائها من الإيمان والتصديق برسل الله فالميثاق ميثاقهم والعهد عهدهم ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

سورة آل عمران : ٨٤

وبعد أن بين سبحانه الميثاق الذي أخذه على النبيين أمر محمد ﷺ أن يؤمن بذلك ويعلنه على الملأ : ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾

سورة آل عمران : ٨٤

وليس ذلك فقط، فلا يتحقق الميثاق إلا بإعلان ﴿لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ

مُسْلِمُونَ﴾ سورة آل عمران : ٨٤ (العمر، ١٤١٣هـ - ١٦٦٦)

وقال تعالى ﴿وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا تَمَا ذَكَرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا

بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يَنْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ سورة المائدة : ١٤

يقول ابن كثير (١٤٠٧هـ) :

” أي ومن الذين ادعوا لأنفسهم أنهم نصارى متابعون المسيح ابن مريم عليه السلام وليسوا كذلك أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومناصرته ومؤازرته وافتقائه آثاره وعلى الإيمان بكل نبي يرسله الله إلى أهل الأرض ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا المواثيق ونقضوا العهود، ولهذا قال تعالى ﴿ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

أي فالفينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم بعضا ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة“ (ج ٢ ص ٣٥)

فواجب الأمة الإيمان بهم على وجه العموم من علمنا منهم ومن لم نعلم، كذلك يجب الإيمان على التفصيل بكل من سمي الله تبارك وتعالى منهم .

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر خمسة وعشرون نبياً ورسولاً وهم :

آدم، ونوح، وإدريس، وصالح، وإبراهيم، وهود، ولوط، ويونس، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى وهارون، واليسع، وذوالكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، وإلياس، ويحيى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

(ياسين، ١٤٠٣هـ)

(ص ٦٠)

قال تعالى ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ * ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلِّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿

سورة الانعام: ٨٣ - ٨٦

وقال أيضا ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ... ﴾ سورة هود : ٥٠

وقال تعالى ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ... ﴾ سورة هود : ٦١

وقال تعالى ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ... ﴾ سورة هود : ٨٤

وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا ... ﴾ سورة آل عمران : ٣٣

وقال ايضا ﴿وَاسْمِعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة الأنبياء : ٨٥
 وقال تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ سورة الفتح: ٢٩
 ولا شك أن هناك عدد كثير من الأنبياء والرسل لم يرد ذكرهم فى القرآن وإنما
 صرح القرآن بأن لله رسلا سواهم . قال تعالى ﴿وَرَسُولًا قَدْ قُصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ
 وَرَسُولًا لَمْ نَقْصِصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ سورة النساء : ١٦٤
 وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِسَالًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قُصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصِصْ
 عَلَيْكَ﴾ سورة غافر : ٧٨

ولب القول فى ذلك الإيمان بهم جميعا وطاعتهم باتباع أوامرهم واجتناب
 نواهيهم، والسير على نهجهم وترسم خطاهم فهم الصفوة المختاره المبلغون عن الله
 تعالى، وهم القدوة والأسوة الحسنة لأمتهم لا نفرق بينهم فمن فرق بين رسل الله
 فأمن ببعضهم وكفر بالآخرين فقد كفر
 قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَفْرُقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُوْمَنُ
 بَعْضٌ وَنُكْفَرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾
 سورة النساء : ١٥٠/١٥١

كما أنهم عليهم الصلاة والسلام - حملوا ميزان العدل والقسط بين أمتهم .
 قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رِسَالًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ
 ...﴾ سورة الحديد : ٢٥

فالواجب على الأمة التصديق الجازم بأن الله عز وجل بعث فى كل أمة رسولا
 يدعوهم إلى عبادته وحده وأنهم صادقون بلغوا جميع ما أرسلهم الله به ولم يكتفوا
 ولم يغيروا، أدوا الأمانة ونصحوا الأمم وجاهدوا فى الله حق جهاده حتى اتاهم اليقين
 صلوات ربي وسلامه عليهم اجمعين فهم بشر من البشر خلقهم الله واصطفاهم
 واختارهم .

أكمل الخلق خلقا واصدقهم كلاما متصفين بصفات البشرية اختارهم الله
 وأعدهم لحمل رسالته، لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا .

قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ . . .﴾ سورة الكهف : ١١٠
 وقال تعالى ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا

سورة الاعراف : ١٨٨ ﴿ سَكَّرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسِنِيَ السُّوءُ . . ﴾

وبهذا فقد لاقى رسل الله - عليهم الصلاة والسلام في سبيل الدعوه إلى الله عز وجل اذى كثيرا فلم يقلل ذلك عزائهم بل كان منهم الصبر والتحمل فى سبيل الله ولقد قص القرآن الكريم حال الانبياء والرسل مع أمهم ومالا قوة من المشاق والأذى.

قال تعالى ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزْمِ مِنَ الرِّسْلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوْعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ . . ﴾ سورة الاحقاف : ٣٥

فالانبياء والرسل صلوات ربي وسلامه عليهم أشد الناس بلاء وهذا من مقتضى بشريتهم أن يتعرضون كما يتعرض البشر لاصنوف البلياء .

قال تعالى ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ سورة البقرة : ٨٧

وعن الصعب بن سعد عن أبيه قال : قلت لرسول الله ﷺ :

أي الناس أشد بلاء؟ قال : الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلاه على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئته

(الترمذى: ١٤١٣هـ كتاب الزهد، ج١ ص حديث رقم ٢٤٠٠، صحيح)

(ابن الاثير ١٤٠٣هـ ج٩ ص ٥٨٥ رقم الحديث ٧٣٥٢ وقال الترمذى حديث صحيح)

ومما ينبغي الإشارة إليه ان الله فضل بعض النبيين على بعض قال تعالى ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ ﴿ سورة الإسراء : ٥٥

والرسل عليهم الصلاة والسلام أفضل من الأنبياء كما أن بعض الرسل أفضل من بعض.

قال تعالى ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ ﴿ سورة البقرة : ٢٥٣

وأولو العزم من الرسل هم أفضل الرسل جميعا وقد ذكرهم الله في أكثر من موضوع في القرآن الكريم قال تعالى ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾

سورة الأحزاب : ٧

وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل .

يقول الأشقر (١٤١٢ هـ) :

” أن الله فضل من فضل منهم بإعطائه خيرا لم يعطه غيره، أو يرفع درجته فوق

درجة غيره أو باجتهاده في عبادة الله والدعوة إليه، وقيامه بالأمر الذي وكل إليه “
(ص ٢١٨)

فكانوا جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم يشكلون مجتمعين بناءً ضخماً ومبنىً عظيماً، ويعتبر كل رسول في هذا البناء لبنة قوية ثم كمل وأستوى وشيد بآخر اللبنة وأعظمها وأشرفها وهي التي تتمثل في نبينا محمد ﷺ .
(مصرى، ١٤٠٧هـ ص ١٠١)

عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال : (مثللى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها، ويقولون لولا موضع اللبنة، قال رسول الله ﷺ فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء).
(النيسابوري، ١٤١٢هـ، كتاب الفضائل ج ٤ ص ١٧٩١ رقم الحديث ٢٢٨٧)

الإيمان بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسول :

لقد أكمل الله تعالى لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً، وجعل أمتنا والله الحمد خير الأمم بعث فينا رسولاً منا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة. وختم الله به الأنبياء والمرسلين - نبينا محمد ﷺ - فهو رسول الله إلى جميع الثقيلين الإنس والجن بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ترك أمة على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك .

قال تعالى ﴿ . . . اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً . . . ﴾
سورة المائدة : ٣

فيجب على الأمة أن تؤمن بأن محمد صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله ورسوله اصطفاه واختاره من بين هذه الأمة لحمل رسالته والدعوة إليه تبارك وتعالى .

فهو خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضلهم قال تعالى ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ سورة الاحزاب : ٤٠ وقوله ﷺ (إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب)

(البخاري ١٤١١هـ كتاب التفسير ج ٦، ص ٧٤ رقم الحديث ٤٨٩٦،

والنيسابوري ١٤١٢هـ كتاب الفضائل ج ٤، ص ١٨٢٨ رقم الحديث ٢٣٥٤)

وقوله ﷺ (فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون)

(النيسابوري ١٤١٢هـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ج١ ص ٣٧١ رقم الحديث ٥٢٣)

ففي هذه الآيات الكريمه والأحاديث النبويه الشريفه دلالة واضحه على أن الله أنعم على أمة محمد ﷺ بأن أتم عليها النعمه وهداها إلى أقوم طريق ووضح سبيل وأكمل لها الدين فلا تحتاج إلى سواه ولا إلى نبي غيره .
فالإيمان به ﷺ واجب فالشهادة الله سبحانه بالواحدية ولنبيه بالرساله هما الركن الأول من أركان الإسلام .

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت، وصوم رمضان) البخاري ١٤١١هـ كتاب الايمان ج١، ص ١٠٠ رقم الحديث ٨ والنيسابوري ١٤١٢هـ كتاب الإيمان ج١ ص ٤٥ رقم الحديث ١٦)

فالرسول ﷺ بعث إلى الناس كافة
قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ سورة سبأ : ٢٨
وقال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ سورة الأعراف : ١٥٨
فالواجب على أمة ﷺ الإيمان به وتصديقه واتباعه والسير على طريقه ومحبه وعدم رفعه فوق منزلته التي جعلها الله له فهو عبد من البشر أختاره واصطفاه وأمره تبارك وتعالى بابلاغ أمته ودعوتهم إلى عبادته جل ثناؤه .

يقول ﷺ (والذي نفسى محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من اصحاب النار)

(النيسابوري ١٤١٢هـ كتاب الإيمان ج١/ ص ١٣٤ رقم الحديث ١٥٣)

قال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
سورة آل عمران : ٣١

عن أنس ﷺ قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى اكون احب إليه من والده وولده والناس أجمعين) (البخاري ١٤١١هـ كتاب الإيمان ج١ ص ١١ رقم الحديث ١٥)

(النيسابوري ١٤١٢هـ - ج ١ ص ٦٧ رقم الحديث ٤٤)

وكما طلب الدين الإسلامي الإيمان بجميع الأنبياء والرسل، طلب أيضا الإيمان بأن محمد صلوات ربي وسلامه عليه خاتم الأنبياء والمرسلين .
” وأن رسالته تضمنت الارشاد إلى ما به كمال الإنسانية، وفتحت لها جميع النوافذ التي تستطيع أن تصل منها إلى كل ما ينفعها ويرقيها روحا وماده .

(شلتوت، د . ت ص ٣٦)

فهو ﷺ أكمل الخلق خلقاً وأصدقهم حديثاً، كان حريصاً على هداية الأمة وتعليمها بما يعود عليها بالنفع في العاجل والآجل حتى لقي ربه ﷺ.

وخلاصة القول : فقد كانوا صلوات الله وسلامه عليهم عند إلتزامهم، وخير الرافين بعهودهم، لقد عاداهم الأقربون من أهلهم وفكر المشركون في قتل بعضهم وأخرجوهم من ديارهم فما زادهم ذلك إلا ثباتاً على الحق ووفاء للعهد وصدقا في الوعد فجزاهم الله تعالى عما أرسلوا إليهم وعن البشرية جمعاء خير الجزاء .

(مصرى، ١٤٠٧هـ ص ٩٧ ص ٩٨)

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل :

(١) القدوة الحسنة

الإيمان بالرسول يربي الإنسان على الاقتداء بهم في كل أحوالهم، من السير على الصراط المستقيم ومن تحمل الأذى في سبيل الله عز وجل، ومن الدعوة إلى دين الله . وقد أرشدنا الله إلى متابعة ﷺ .

قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾
سورة الاحزاب : ٢١

وقال في شأن إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ

... ﴿ سورة الممتحنة : ٤

وقال أيضا ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ

سورة الممتحنة : ٦

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

سورة آل عمران : ٣١

فهذه الآيات وغيرها ترشد إلى طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام والاقتراء بهم في كل الأحوال .

وقال ﷺ من حديث أبي هريره (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)

(البخاري : ١٤١١هـ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ج ٨ ص ١٧٧ رقم الحديث ٧٢٨٠)

فهذه من أجل وأعظم الآثار التربوية . فالرسل وعلى رأسهم محمد ﷺ يعتبرون القدوة الحسنة والمربون الأوائل الذين يهتدى بهديهم البشر. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فبهداهم اقتدِه﴾ سورة الأنعام: ٩٠

فعلى المربين أن يحسنوا التعامل مع الطلبة، فكان المصطفى صلى الله عليه وسلم يشكل النموذج التربوي الكامل، الذي يراعي حاجات الطفولة، ومخاطبه الناس على قدر عقولهم كما يجب عليه أن يترسم خطى المربي الأول محمد ﷺ فيراعي هذه الأمور حتى تثمر دروسه الثمره المرجوه منها .

٢) تربية النفس وتدريبها على العمل والتطبيق

إن التربية الإسلامية تربية عالمية صالحة لكل زمان ومكان عامة وشامل لجميع طبقات المجتمع فالواجب على البشرية إتباع تعاليمها وتطبيق أحكامها وفق المنهج النبوي الذي رسمه الرسول ﷺ قولاً وفعلاً وقد ختم الله النبوة بمحمد ﷺ فلا نبي بعده لذلك امتازت بالوضوح والشمول والكمال.

٣) أن الإيمان يحصل يربى في النفس على الشعور بالوحدة الإنسانية

إن الإيمان بالرسل يربى في النفس الإنسانية الشعور بالوحدة الإنسانية وبالألفه والانضمام تحت لواء الخالق جل وعلا .

قال تعالى ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ سورة المؤمنون : ٥١

٤) الاهتمام إلى العلم الصحيح

وبالرسل يهتدي الإنسان إلى العلم الصحيح والفهم الدقيق ويأخذ العظة والعبرة من قصص الأولين وكذلك يتعرف على السبب الحقيقي الذي من أجله خلق فيعرف قيمة الحياة وما تهدف إليه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴿﴾ سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣
فالعقل الرشيد لا بد أن يكون صبوراً على مشاق الحياة وأكثر تحملاً لأعبائها
ومتاعبها حينئذ يربي نفسه على التحمل والصبر والصمود في مواجهة الأحداث كما
فعل الأنبياء، والمرسلون عليهم الصلاة والسلام.
كذلك الطالب بحاجة إلى مربى يهديه ويرشده إلى العلم الصحيح والطريق
المستقيم.

الفصل الرابع

المبادئ التربوية المستنبطة من آيات
العهد والميثاق في الجانب التعبدي

مَهَيِّدٌ

المبدأ الأول: العهد والميثاق في إقامة الصلاة

المبدأ الثاني: العهد والميثاق في تأدية الزكاة

المبدأ الثالث: العهد والميثاق في الجهاد في سبيل الله

ملهيّد:

العبادة هي العلاقة بين العبد وربّه وهي الغاية من الوجود الإنساني بل من المخلوقين جميعاً الأنس والجن قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾

سورة الذاريات: ٥٦

فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة

وزاد هذه الحقيقة ايضاحاً وتفصيلاً ابن قيم (١٣٩٣هـ)

فقال: "ورحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة، من كملها كمل مراتب العبودية وبيانها: أن العبودية منقسمة على القلب، واللسان، والجوارح، وعلى كل منها عبودية تخصه، والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح، وهي لكل واحد من القلب، واللسان والجوارح" (ج ١ ص ١٠٩) (١)

فمن الجوانب التي أسهمت آيات العهد والميثاق في إبرازها بشكل واسع جانب العبادة في فروعها المتنوعة فقد ورد الأمر بالوفاء بالعهد والميثاق في إقامة الصلاة على هيئتها التي فرضت عليها وإقامتها في أوقاتها في المساجد مع جماعة المسلمين، كما ورد الأمر أيضاً باخراج الزكاة لمن يحتاج إليها والإنفاق في سبيله سبحانه وتعالى، كما ورد العهد والميثاق والبيعة على الجهاد في سبيل الله ومقاتلة أعداء الدين وأن التخلف عنه نقض للعهد والميثاق وانتهاك لحرمة العقد وأهدف من هذا الفصل إلى الإجابة على السؤال الخاص بالمبادئ التربوية في الجانب التعبدية التي احتوتها آيات العهد والميثاق في القرآن الكريم.

وليس معنى هذا إهمال الأمة لباقي جوانب العبادة -التي وضعها الأصولان الكتاب والسنة- في التمسك بها أو إهمالها في تربية أبنائها وتنشطهم عليها منذ الصغر، وما تركنا لباقي الجوانب التعبدية فيما يلي إلا من باب الالتزام بخطة البحث في الحديث فقط عما ورد ذكره من القرآن الكريم بالفظ العهد والميثاق التي هي موضوع الرسالة .

(١) زيادة في التفصيل راجع مدارج السالكين ج ١ ص ١٠٩ وما بعدها .

المبدأ الأول : العهد والميثاق في إقامة الصلاة

١- قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۖ ﴾ . . .
سورة البقرة : ٨٣

٢- وقال تعالى ﴿ .. وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾
سورة البقرة : ١٢٥

٣- وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ ۖ ﴾ . . .
سورة المائدة : ١٢

تعريف الصلاة لغة وشرعا :-

الصلاة فى اللغة الدعاء (الفيومى ، ١٩٨٧م ص١٣٢)

وشرعا : هى أقوال وأفعال مخصوصه مفتتحة بالتكبير محتتمة بالتسليم .

(البهوتى ، ١٤٠٥هـ ص٤٦)

أهمية الصلاة ومكانتها فى الدين الإسلامى :

إن من أهم ما يركى النفس ويهذب الطباع ويسمو بالأخلاق الصلاة التى هى صلة بين العبد وربه ، لذا أخذ الله العهد والميثاق على إقامتها وتأديتها على الوجه الصحيح . الذى بينه المصطفى ﷺ فى قوله (إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا ، وإن صلى قائماً فصلوا قياماً) .

(البخارى ١٤١١هـ كتاب الصلاة ج١ ص ١١٥ رقم الحديث ٣٧٨)

ومن تتبع آيات القرآن الكريم يجده قد أولاهها عناية خاصة لتكون ذات معنى وثمره فى نفوس القائمين بها ، كيف لا وهى ثانى أركان الإسلام بعد الشهادتين ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) (البخاري ٤١١هـ، كتاب الإيمان، ج١ ص ٩ رقم الحديث ٨)

(النيسابوي ٤١٢هـ كتاب الإيمان ج١ ص ٤٥ رقم الحديث ١٦)

فالصلاة رأس الإسلام وعموده وهى الفارق الحقيقي بين المؤمن والكافر (العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)

(الترمذى، ٤١٣هـ كتاب الإيمان ج٥ ص ١١ رقم الحديث ٢٦٢١)

ابن الأثير، ٤٠٣هـ ج٥ ص ٢٠٣ رقم الحديث ٣٢٦٤ وقال عنه حديث صحيح)

وقال ﷺ: (رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله)

(الترمذى ٤١٣هـ . ج٥ . كتاب الإيمان ج٥ ص ١١ رقم الحديث ٢٦١٦) (ابن الأثير ٤٠٣هـ ج٥

ص ٥٣٤ رقم الحديث ٧٢٧٤ وقال عن حديث صحيح)

يقول المودودى (د . ت)

وأما الصلاة فى حقيقة الأمر إلا أن تعيد بلسانك وأعمالك خمس مرات فى الليل والنهار ، ذكر ما قد آمنت به . فإذا استيقظت صباحاً مثلت بين يدي ربك طاهراً نظيفاً قبل أن تشتغل بشيء آخر ، ثم أقررت بين يديه بعبوديتك له قائماً وقاعداً ، وراكعاً وساجداً ، واستعنته واستهديته وجددت ما بينك وبينه من ميثاق الطاعة والعبودية . (ص ١٣٠-١٣١)

فالصلاة الحقيقية التى يريد بها الإسلام تمد المؤمن بقوة روحية نفسية ، تعينه على

مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا قال تعالى ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ . . ﴾

سورة البقرة : ٤٥

ففى الصلاة يفضى المؤمن إلى ربه بذاته ونفسه ويشكو إليه بثه وحزنه ويستفتح

باب رحمته ويستنزل الغيث من عنده .

وفى الصلاة كذلك يشعر المؤمن بالسكينة والرضا والطمأنينة . إنه يبدأ صلاته بالتكبير ، فيحس بأن الله أكبر من كل ما يروعه ومن يروعه فى هذه الحياة الدنيا فلا عجب أن تمد الصلاة المؤمن بجوية هائلة ، وقوة نفسيه فياضة .

(القرضاوي، ١٤١٣هـ ص ٢١٩)

والمسلم حين يؤدي الصلاة ويحسن القيام بها وتأديتها على الوجه الصحيح يظهر أثرها في حياته وتعمل عملها في تهذيب نفسه وتطهر قلبه.

يقول القاضي (١٤٠٠هـ)

” ولعل أهم ما تحققه الصلاة أمها محطات تعبئة روحية إلى جانب تحقيق المساواة والحب بين المسلمين ثم رضاء الله عز وجل ، ثم إنها تكون الشخصية الإيجابية المترنة في المجتمع الإسلامي.

ثم يقول: إن الله تعالى شرع للمسلمين صلوات مخصوصة للحالات النفسية المختلفة التي تنتاب الفرد والجماعة. فشرعت للمناسبات السارة صلاة العيدين حتى لا تطغى مشاعر الفرح على الإحساس بالمسؤولية العامة، كما شرعت صلوات معينة للأزمات كصلاة الحاجة التي تقام لكل حاجة شخصية طارئة وكصلاة الاستسقاء والخسوف والكسوف وبذلك يشتد أزر الفرد والجماعة في فترات الشدة لذلك نرى أنها تمد الإنسان بالأمان عند الخوف والاطمئنان عند القلق فالإنسان يدعو الله في صلاته ويناجيه ويشكوا إليه“

(ص ١٦٤)

وقد بين الرسول ﷺ مبلغ الأثر النفسي للصلاة ، وما يسبقها من وضوء وذكر الله تعالى حيث قال (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقده ، فإن توضأ انحلت عقده ، فإن صلى انحلت عقده ، فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)

(البخاري ١٤١١هـ كتاب التهجيد ج ٢ ص ٥٨/٥٩ رقم الحديث ١١٤٢)

ولقد أمر الله عز وجل بإقامة الصلاة فى كتابه الكريم بإساليب وصيغ مختلفة ، ومن أوسع الجوانب التي استعمل فيها لفظ العهد والميثاق الجانب التعبدي ، وفروعه

المتنوعة وفى هذا دلالة عظيمة على مكانة وأهمية هذه الشعيرة من بين شعائر الدين .
ومما يدل على أهميتها ومكانتها فى الدين الإسلامى ورودها بهذه الأساليب :-

(١) فتارة يرد الأمر بصيغة الأفراد قال تعالى ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقِرَاءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قِرَاءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾
سورة الإسراء : ٧٨

(٢) وتارة بصيغة الجمع : قال تعالى ﴿ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزُّكُوتَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ ﴾
سورة البقرة : ٤٣

(٣) ثم وردت الآيات القرآنية مبينة ما أعد الله للمحافظين على الصلوات فأثنى الله عليهم ومدحهم فى أكثر من آية قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزُّكُوتَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
سورة البقرة : ٢٧٧

(٤) وتارة وردت الآيات بالذم والوعيد الشديد للمضيعين لها والمتهاونين فى تأديتها قال تعالى ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾
سورة مريم : ٥٩

وقال تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾
سورة الماعون : ٤٠٤

وفى هذا دلالة واضحة على مكانته الصلاة فى الإسلام .

• حكم الصلاة وفرضيتها :

حكم الصلاة واجبة بالكتاب والسنة والإجماع .

أدلة وجوبها :

(١) من الكتاب قال تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزُّكُوتَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾
سورة البينة : ٥

(٢) من السنة : عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان)

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الإيمان ج ١ ص ٩ رقم الحديث ٨)

(النيسابوي، ١٤١٢هـ كتاب الإيمان ج ١ ص ٤٥ رقم الحديث ١٦)

٣) أما الإجماع فقد اجمعت الأمة على وجوب الصلوات الخمس فى اليوم واللييلة

(ابن قدمة ١٤٠٣هـ ج ١ ص ٣٧٦)

فرضيتها :-

فرضت الصلاة على النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ويؤيد هذا ما ثبت فى السنة النبوية المطهرة من حديث انس ابن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : (فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدري ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه فى صدري ثم أطبقه . ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا ، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء : افتح . قال : من هذا ؟ قال : جبريل . قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم ، معي محمد ﷺ . فقال : أرسل إليه ؟ قال : نعم . فلما فتح علونا السماء الدنيا ، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل يساره بكى ، فقال : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح . قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسمة بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى . حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها : افتح . فقال له خازنها مثل ما قال الأول ، ففتح) .

قال أنس : فذكر أنه وجد فى السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم . ولم يثبت كيف منازلهم ، غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا ، وإبراهيم فى السماء السادسة . قال أنس : فلما مر جبريل بالنبي ﷺ بإدريس قال : " مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، فقلت من هذا ؟ قال هذا إدريس . ثم مررت بموسى فقال : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح . قلت : من هذا ؟ قال : هذا موسى . ثم مررت بعيسى فقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح قلت :

من هذا؟ قال هذا عيسى . ثم مررت بإبراهيم فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح . قلت من هذا؟ قال : هذا إبراهيم عليه السلام . قال ابن شهاب فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس و ابا حبة الأنصاري كانا يقولان : قال النبى صلى الله عليه وسلم : " ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقدام " . قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال النبى صلى الله عليه وسلم : " ففرض الله على أمي خمسين صلاة ، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال : ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت : فرض خمسين صلاة . قال : فارجع إلى ربك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك . فراجعني فوضع شطرها .

فرجعت إلى موسى قلت : وضع شطرها . فقال : راجع ربك ، فإن أمتك لا تطيق فراجعته ، فوضع شطرها ، فرجعت إليه فقال : ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعته فقال : هي خمس وهي خمسون ، لا يُبدل القول لدي . فرجعت إلى موسى فقال : راجع ربك . فقلت : استحييت من ربي . ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى ، وغشيتها ألوان لا أدري ما هي . ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك "

(البخاري، ١٤١١هـ ، كتاب الصلاة ج١ ص١٠٦ رقم الحديث ٣٤٩)

وهذا يدل دلالة واضحة على أن الصلاة فرضت ليلة الإسراء والمعراج .

وقد ذكر العسقلاني (د.ت)

" أنه لما قدس ظاهرا وباطنا حين غسل بماء زمزم بالإيمان والحكمة ، ومن شأن الصلاة أن يتقدمها الطهور ناسب ذلك أن تفرض الصلاة فى تلك الحالة ، وليظهر شرفه فى الملاء الأعلى ويصلى بمن سكنه من الأنبياء وبالملائكة ، وليناجى ربه جل وعلا " .

(ج١ ص٤٦٠)

ومن هنا يمكن القول بأن الإنسان يمر فى حياته اليومية بفترات ينقطع فيها لإشتغاله بأمر الدنيا ، يحتاج إلى تجديد الروابط وتقوية الصلات بربه وتطهير جسمه وروحه فالصلوات الخمس التى شرعها الله على عباده فى أوقات متفرقة فى اليوم والليلة مناسبة لأن يكون الإنسان على اتصال دائم بخالقه جل جلاله .

يقول القرضاوى، (١٤١٣هـ)

” وفي الصلوات اليوميه الخمس فرصه يثوب فيها المخطى إلى رشده ويفيق المغرور من سباته ، ويرجع الإنسان إلى ربه ، ويطفئ هذا السعار المادى الذى أجمته المطامع والشهوات ونسيان الله والدار الآخرة“ . (ص ٢١٥)

فمن خلال الحديث السابق يتبين أن الصلوات فرضت على الرسول ﷺ خمسين صلاة فى اليوم والليله ثم خففت حتى أصبحت خمساً .

يقول الندوي (د . ت)

” إن الحكمة الإلهية اختارت طريقة حكميه تجمع بين المثل الأعلى وبين التدرج والتيسير ففى الحديث المتقدم ذكره فرضت الصلوات خمسين صلاه على المصطفى ﷺ ثم خففها الله عز وجل حتى أصبحت خمس صلوات فى اليوم والليله ، ليعلم المسلم أن الأصل المفروض كان خمسين صلاة وأن الله تعالى قد رآه أهلاً لذلك ، مما يثير فى النفس الثقه والاعتزاز بالكرامة فلا يستقل هذه الصلوات الخمس ولا يستعظمها ، ويرى أنه قد كان كفواً لأضعافها ، وأضعاف أضعافها ، فإنها لو بقيت فريضه محكمة لقام بها ، ولكن الله لطف به فجعلها خمس صلوات تساوى خمسين صلاة ولا يزال هذا الأصل مصدر التشجيع وباعثاً من بواعث الطموح وعلو الهمة والتسامى فى العباده“ (ص ٢٢٢، ٢٣)

فالله تبارك وتعالى شرع لعباده ما يناسب أحوالهم ويراعي مصالحهم وهو سبحانه أعلم بهم .

ولمنزلة الصلاة وأهميتها التربوية أمرنا الإسلام أن نربى أبناءنا على تأديتها منذ صغر سنهم قال ﷺ ” مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع ”

(الترمذي، ١٤١٣هـ كتاب الصلاة ج٢ ص ٢٥٩ رقم الحديث ٤٠٧،

أبو داود، ١٤١٣هـ كتاب الصلاة ج ١ ص ٣٣٢ رقم الحديث ٤٩٤)

ابن الاثير، ١٤٠٣هـ ج ٥ ص ١٨٧ رقم الحديث ٣٢٤٣ ، وقال عنه حسن)

• الطهارة للصلاة :-

لقد أرشد القرآن الكريم إلى أهمية الصلاة باعتبارها ثاني أركان الإسلام بعد

الشهادتين موضعاً ومبيناً غاية البيان والتوضيح أهمية الطهارة لها .

فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لِمَسْتُمُ النِّسَاءِ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ
مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيَتَمَنَّيَكُمْ عَلَيْهِمْ وَلِيَتَمَنَّيَكُمْ لِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

سورة المائدة : ٦

فهذه الآية أم في بابها فقد وضحت وبينت الطهارة بيانا شافيا حيث فصلت
الوضوء وما ينبغي فعله من الغسل أو المسح فى حالة الصحة والمرض وما يلزم فعله
حين الحدث الأكبر ، وما ينوب عن الماء عند تعذره أو عدم القدرة على استعماله ،
فيتيمم صعيدا طيبا بالمسح على الوجه واليدين وهذه صفة التيمم ، وهذا التوضيح
المفصل دالا على أهمية الطهارة للصلاة فهى شرط من شروطها لا تصح الصلاة إلا
بها ، فالطهارة مفتاح الصلاة يقول ﷺ " مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ،
وتحليلها التسليم "

(أبو داود، ١٤١٣هـ كتاب الطهارة ج١ص٤٩ رقم الحديث ٦١)

(الترمذي، ١٤١٣هـ - كتاب الطهارة ج١ص٩٩ رقم الحديث ٣ وقال الترمذي: حديث صحيح)

وسمى النبي ﷺ الطهور مفتاحاً مجازاً لأن الحدث مانع من الصلاة ، فالحدث

كالثقل موضوع على المحدث حتى إذا توضع انحل الغلق .

(ابن قيم الجوزية، ١٤١٢هـ ج١ص٨٩)

فطهارة الإنسان لنفسه وما علق به من الأوساخ والادران من أجل وقوفه بين
يدى الله عز وجل وقراءة القرآن باعثاً للحياة والنشاط وأن الطهارة تزيل الذنوب
والمعاصي ، فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : (إذا توضأ العبد المسلم) أو
المؤمن (فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء) أو مع
آخر قطر الماء (فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء
) أو مع آخر قطر الماء (فإذا غسل رجله خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء

(أو مع آخر قطر الماء) حتى يخرج نقياً من الذنوب)

(النيسابوي، ١٤١٢هـ كتاب الطهارة ج١ ص ٢١٥ رقم الحديث ٢٤٤)

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من توضأ فأحسن

الوضوء خرجت خطاياها من جسده . حتى تخرج من تحت أظفاره)

(النيسابوي، ١٤١٢هـ كتاب الطهارة ج١ ص ٢١٦ رقم الحديث ٢٤٥)

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم

يغتسل فيه كل يوم خمساً ما تقول ذلك يبقى من درنه؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيئاً

. قال: "فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا).

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب مواقيت الصلاة ج١ ص ١٥٢ رقم الحديث ٥٢٨)

(النيسابوي، ١٤١٢هـ كتاب المساجد ج١ ص ٤٦٢ رقم الحديث ٦٦٧)

فما أزركى الصلاة وما أعظمها من عبادة روحية تبعد المؤمن عن الرذائل،

وتقربوه إلى الطاعات والفضائل وتحول بينه وبين فعل الآثام والمعاصي قال تعالى ﴿إِنَّ

الصلوة تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾ سورة العنكبوت: ٤٥

يقول نوفل (د.ت)

"إذا نظرنا إلى الوضوء وجدنا أنه عملية تنظيف شاملة لكل أعضاء الإنسان،

فغسل اليدين والقدم والأنف والوجه والأذنين والرأس والرجلين خمس مرات في اليوم

يقي الإنسان من أي عدوى إذ أن العدوى غالباً تتم من طريق الأعضاء المكشوفة كما

أن الوضوء يجدد نشاط الإنسان ويمنع عنه الكسل والخمول وينبه أعصاب الجلد

فتنشط الأجهزة الداخلية"

(ص ٣٥)

ولقد ورد الوعيد الشديد لمن لم يتنزه ويتنظف سواء كان في الصلاة أو خارجها

ولكن الطهارة في الصلاة أكد . عن ابن عباس قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال:

إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير: أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر

فكان يمشى بالنميمة" ثم أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين فغرز في كل قبر واحدة

قالوا: يا رسول الله لم فعلت؟ قال: "لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا"

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الوضوء ج١ ص ٦٩ رقم الحديث ٢١٨)

(النيسابوي، ١٤١٢هـ كتاب الإيمان ج ١ ص ٢٤٠ رقم الحديث ٢٩٢)

ولما لطهارة من أثر عظيم فى نفوس المتطهرين فقد بين الله تعالى فى آيات القرآن الكريم محبته للمتصفين بهذه الصفة فقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

سورة البقرة : ٢٢٢

وقال تعالى ﴿ ... فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴾

سورة التوبة : ١٠٨

أي المبالغة فى الطهارة الظاهرة والباطنة (القاسمي، ١٣٩٨هـ : ج ٨ ص ٣٢٢)
وفى هاتين الآيتين غاية التشريف والتكريم للمتطهرين ، بما حباهم الله بمحبته لهم
اجلالاً لهم وتنويها بشأن طهارتهم .

مما سبق يتضح أن الطهارة تنقسم إلى قسمين :-

(أ) طهارة باطنه :

وهي تطهير النفس من آثار الذنوب والمعاصي وذلك بالتوبة الصادقة منها ،
وتطهير القلب من الأمراض التى تصيبه مثل الشرك والعجب والحقد ، والحسد وغيرها
وذلك بالإخلاص لله عز وجل .

(ب) طهارة ظاهرة وهي نوعان :

(١) طهارة الخبث وذلك بإزالة النجاسات بالماء الطهور من لباس المصلى وبدنه
ومكان صلاته .

(٢) طهارة الحدث : وذلك بالوضوء والغسل والتيمم .

(الجزائري ، ١٤١٤هـ ص ٢٥١ ، ص ٢٥٢)

اللهم اجعلنا من التوابين واجعلنا من المتطهرين .

• إقامة الصلاة وأداؤها :-

حينما فرضت الصلاة على أمة محمد ﷺ بين عليه الصلاة والسلام كيفية
تأديتها على ما أرشده وبينه المصطفى ﷺ بقوله (صلو كما رأيتموني أصلي)

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الآداب ج ١ ص ١٧٥ رقم الحديث ٦٣١)

وليس لأحد أن يؤديها على خلاف ما وضحة ﷺ فإنها حينئذ تكون صلاة غير

شرعية ذات ثمره وفائده مرجوه لصاحبها فى العاجل والآجل فعلى المسلم أن يقصد بصلاته وعبادته وجميع قرباته وجه الله لقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معى غيرى تركته وشركه).

(النيسابورى ١٤١٢هـ كتاب الزهد ج٤ ص ٢٢٨٩ رقم الحديث ٢٩٨٥)

يقول (الطبرى د . ت)

إن إقامتها تعنى اداؤها بحدودها ، وفروضها والواجب فيها على ما فرضت

عليه . (ج١ ص ١٠٤)

وقال غيره إن معنى اقامتها فيها ثلاثة أقوال :

أحدهما : إنه تمام فعلها على الوجه المأمور به .

الثانى : أنه المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها .

الثالث : إدامتها والعرب تقول فى الشيء الراتب : قائم ، وفلان يقيم أرزاق

الجند . (ابن الجوزى ، ١٤٠٤هـ ج١ ص ٢٥)

وعلى هذا يكون معنى إقامتها تأديتها على الوجه الصحيح المأمور به ، فى أوقاتها

المحدده شرعاً قال تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾

سورة النساء : ١٠٣

بعد توفر شروطها وأركانها ، وواجباتها ، وسننها القولية والفعلية ، كما بينت

ذلك كتب الفقه .

وهنا عجيبة تحصل لمن تفقه قلبه فى معانى القرآن عجائب الأسماء والصفات

وخالط بشاشة الإيمان بها قلبه بحيث يرى لكل اسم وصفة موضعاً من صلاته ومحلاً

منها :

١) فإنه إذا انتصب قائماً بين يدي الرب تبارك وتعالى شاهد بقلبه قيوميته .

٢) وإذا قال الله أكبر شاهد كبريائه .

٣) وإذا قال : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله

غيرك ، شاهد بقلبه رباً منزهاً عن كل عيب ، سالماً عن كل نقص ، محموداً

بكل حمد، فحمده يتضمن وصفه بكل كمال ، وذلك يستلزم براءته من كل نقص تبارك اسمه ، فلا يذكر على قليل إلا كثره ، وعلى خير إلا أتماه وبارك فيه ، ولا على آفة إلا أذهبها، ولا على شيطان إلا رده خاسئاً داحراً .
(٤) وإذا قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقد آوى إلى ركنه الشديد ، واعتصم بحوله وقوته من عدوه الذي يريد أن يقطعه عن ربه ، ويباعده عن قربه ، ليكون أسوأ حالاً .

(٥) فإذا قال : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ وقف هنيهة يسيرة ينتظر جواب ربه له بقوله : " حمدني عبدي "

(٦) فإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ انتظر الجواب بقوله : " أثنى علي عبدي "

(٧) فإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ انتظر جوابه : " يمجدي عبدي " .

فيالذة قلبه وقرّة عينه وسرور نفسه بقول ربه عبدي ثلاث مرات ، فوالله لولا ما على القلوب من دخان الشهوات وغيم النفوس لا ستطيرت فرحاً وسروراً بقول ربها وفاطرها ومعبودها : " حمدني عبدي ، وأثنى علي عبدي ومجدي عبدي " .

ثم يكون لقلبه مجال من شهود هذه الأسماء الثلاثة التي هي أصول الأسماء الحسنی وهي : الله والرب والرحمن ، فشاهد قلبه من ذكر اسم الله تبارك وتعالى إلهاً معبوداً موجوداً مخوفاً لا يستحق العبادة غيره ولا ينبغي إلا له ، قد عنت له الوجوه وخضعت له الموجودات ، وخشعت له الأصوات ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِحُ بِحَمْدِهِ ﴾
سورة الاسراء : ٤٤

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَاتُونَ﴾
سورة الروم : ٢٦

(٨) فإذا قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ففيها سر الخلق والأمر والدنيا والاخرة وهي متضمنة لأجل الغايات وأفضل الوسائل ، فأجل الغايات عبوديته ، وأفضل الوسائل إعانته ، فلا معبود يستحق العبادة إلا هو ولا معين على عبادته غيره ، فعبادته أعلى الغايات ، وإعانته أجل الوسائل .

وقد أنزل الله سبحانه وتعالى مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها في أربعة وهي التوراة والإنجيل والقرآن والزبور ، وجمع معانيها في القرآن ، وجمع معانيه في المفصل ، وجمع معانيه في الفاتحة ، وجمع معانيها في ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . وقد اشتملت هذه الكلمة على نوعي التوحيد وهما توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ، وتضمنت التعبد باسم الرب واسم الله فهو يعبد بألوهيته ويستعان بربوبيته ويهدي إلى الصراط المستقيم برحمته .

٩) ثم يشهد الداعي بقوله : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ شدة فاقته وضرورته إلى هذه المسألة التي ليس هو إلى شيء أشد فاقة وحاجة منه إليها البتة ، فإنه محتاج إليه في كل نفس وطرفة عين ، وهذا المطلوب من هذا الدعاء لا يتم إلا بالهداية إلى الطريق الموصل إليه سبحانه ، والهداية فيه ، وهي هداية التفصيل وخلق القدرة على الفعل وإرادته وتكوينه وتوفيقه لإيقاعه له على الوجه المرضي المحبوب للرب سبحانه وتعالى وحفظه عليه من مفسداته حال فعله وبعد فعله ثم بين أن أهل هذه الهداية هم المختصون بنعمته دون المغضوب عليهم وهم الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه ، ودون الضالين وهم الذين عبدوا الله بغير علم فالطائفتان اشتركتا في القول في خلقه وأمره وأسمائه وصفاته بغير علم .

١٠) فلما فرغ من هذا الثناء والدعاء والتوحيد شرع له أن يطبع على ذلك بطابع من التأمين يكون كالخاتم له ، وافق فيه ملائكة السماء ، وهذا التأمين من زينة الصلاة .

(ابن قيم الجوزية : ١٤١١هـ ص ١٢٢ - ص ١٢٥)

وهكذا تتجلى التربية القرآنية في سورة الفاتحة وما تضمنته من معاني وأسرار . تهذب النفوس والطباع وتصلب القلوب والجوارح لطاعة الله تبارك وتعالى . فالأوامر القرآنية بأقامة الصلاة واساليب تنوعها ليس لمجرد الصلاة فقط ولكنه سبحانه أمر بأقامتها والإقامه له مدلول كبير ؛ من حضور القلب وصفاء النفس وتركيز العقول وصفائها من الشواغل الدنيوية وطهارة البدن من الأدران والأوساخ

وطهارة النفس من الغل والحقد والحسد .

وابن قيم الجوزية يشير بذلك إلى حديث الرسول ﷺ الذي يرويه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : " من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج " ثلاثاً فقليل لأبي هريره : إنا نكون وراء الأمام . فقال : اقرأ بها فى نفسك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : " قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين . ولعبدى ما سأل ، فإذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى : حمدنى عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : اثنى علي عبدي وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجدنى عبدي (وقال مرة : قوض إلى عبدي) فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدى ما سأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل)

(النيسابوي، ١٤١٢هـ كتاب الصلاة ج١ ص٢٩٦ رقم الحديث ٣٩٥)

• الخشوع فيها :

إن للخشوع فى الصلاة اهمية عظيمة فقد رتب الله فلاح المصلين بالخشوع فى صلاتهم

قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

سورة المؤمنون : ١: ٢

تستشعر قلوبهم رهبة الموقف فى الصلاة بين يدي الله ، فتسكن وتخشع ، فيسري الخشوع منها إلى الجوارح والملامح والحركات . ويغشى ارواحهم جلال الله فى حضرته فتختفى من اذهانهم جميع الشواغل ولا تشتغل بسواه عندئذ تتصل الذرة التائهة بمصدرها وتجد الروح الحائرة طريقها ، ويعرف القلب الموحد مثنواه .

وعندئذ تتضاءل القيم والأشياء والأشخاص إلا ما يتصل منها بالله .

(قطب سيد ، ١٤٠٠هـ ج٤ ص٢٤٥٤)

وقد أمتدح الله الخاشعين فقال جل فى علاه ﴿ ... إِنْهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾

سورة الانبياء : ٩٠

وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِعِينَ ﴿٩٠﴾

وللخشوع أثر عظيم في النفس الإنسانية وخضوعها بين يدي الله جل وعلا وذلك له أثره التربوي على سلوك الفرد في حياته اليومية .

يقول (ابن القيم ، (١٣٩٣ هـ)

” إن الخشوع معنى يلتئم من التعظيم والمحبة والذل والانكسار وهو على درجات :-

الدرجة الأولى :

التذلل للأمر ، والاستسلام للحكم ، والاتضاع لنظر الحق :
فالتذلل للأمر : تلقيه بذلة القبول والانقياد والامتثال . ومواطأة الظاهر
الباطن مع إظهار الضعف والافتقار إلى الهداية للأمر قبل الفعل والإعانة عليه
حال الفعل وقبوله بعد الفعل .

وأما الاستسلام للحكم : فيجوز أن يريد به الحكم الديني الشرعي
فيكون معناه عدم معارضته برأي أو شهوه ، ويجوز أن يريد به الاستسلام
للحكم القدري ، وهو عدم تلقيه بالتسخط والكرامية والاعتراض ، والحق
أن الخشوع هو الاستسلام للحكمين وهو الانقياد بالمسكنة والذل لأمر الله
وقضائه .

وأما الاتضاع لنظر الحق : فهو اتضاع القلب ، والجوارح وانكسارها
لنظر الرب إليها ، واطلاعه على تفاصيل ما في القلب والجوارح .
فخوفه من هذا المقام يوجب له بخشوع القلب لا محالة وكما كان
أشد استحضارا له كان أشد خشوعا ، وإنما يفارق القلب إذا غفل عن
إطلاع الله عليه ونظره إليه .

الدرجة الثانية :-

ترقب آفات النفس والعمل ورؤية كل ذى فضل عليك يريد إنتظار
ظهور نقائص نفسك وعملك وعيوبها لك فإنه يجعل القلب خاشعا لا محاله
لمطالعة عيوب نفسه وأعماله ونقائصها . من الكبر والعجب والرياء وضعف
الصدق ، وقلة اليقين وتشتت النية وعدم تجرد الباعث من الهوى النفساني

وغير ذلك من عيوب النفس ، ومفسدات الأعمال .

وأما رؤية فضل كل ذى فضل عليك : فهو أن تراعى حقوق الناس فتؤديها ولا ترى أن ما فعلوه من حقوقك عليهم فلا تعارضهم عليها فإن هذا من رعونات النفس وحماقاتنا .

الدرجة الثالثة :

حفظ الحرمة عند المكاشفاه ، وتصفية الوقت من مراعاة الخلق وتجريد روية الفضل .

أما حفظ الحرمة عند المكاشفة : فهو ضبط النفس بالذل والانكسار عن البسط والادلال الذى تقتضيه المكاشفه .

أما تصفية الوقت من مراعاة الخلق : فلا يريد به أن يصفى وقته عن الرياء فإن أصحاب هذه الدرجة أجل قدراً وأعلى من ذلك . وإنما المراد : أنه يخفى أحواله عن الخلق جهده ، كخشوعه وذله وانكساره لثلاثيها الناس فيعجبه اطلاعهم عليها ، ورؤيتهم لها ، فيفسد عليه وقته وقلبه وحاله من الله .

وأما تجريد رؤية الفضل : فهو أن لا يرى الفضل والإحسان إلا من

(ج ١، ص ٥٢٢ - ص ٥٢٥)

الله

فمن خلال ما تقدم يتبين أن للخشوع فى الصلاة له انعكاساته التربويه على سلوك الفرد

• المحافظة عليها :

إن الصلوات الخمس تعد وحدة كاملة متماسكة لا يصح شرعاً أن يؤخذ بعض فرائضها ويترك البعض الآخر ، أو يصل فى وقت دون آخر أو يصل كما يحلو له ، فالإسلام ديناً كاملاً لا يقبل التبويض أو التفريط .

فالصلاة ثانى أركان الإسلام فلا يؤدى الركن عمله ولا ينتج أثره إلا إذا كان كاملاً غير منقوص . لذلك نجد أن القرآن الكريم أمر بالمحافظة على الصلوات الخمس ومدح المحافظين عليها واثنى عليهم ، أما من لم يحافظ عليها فقد ورد فى معرض الذم وبين ما أعد الله لهم فى الآخرة من العذاب الأليم .

قال تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينًا﴾ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَلًا أَوْ

رُكْبَانًا ﴿

سورة البقرة : ٢٣٨

والمعنى داوموا على أدائها لأوقاتها مع رعاية فرائضها وسننها من غير أخلال

شئ منها . (القاسمي ١٣٩٨هـ : ج ٣/ص ٢٨٢)

وذكر الفخر الرازي، (د . ت)

علة هذا الأمر فى وجوه ثلاثة منها :-

١) أن الصلاة لما فيها من القراءة والقيام والركوع والسجود والخضوع

والخشوع ، تفيد أنكسار القلب من هيبة الله وزوال التمرد عن الطبع

وحصول الانقياد لأوامر الله تعالى ، والانتهاء عن مناهيه كما قال

تعالى ﴿ . . . إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ . . . ﴾ سورة العنكبوت : ٤٥

٢) إن الصلاة تذكر العبد جلالة الربوبية وذلة العبودية ، وأمر الثواب والعقاب

فعند ذلك يسهل عليه الانقياد للطاعة ولذلك قال ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾

سورة البقرة : ٤٥ (ج ٦ ص ١٤٥)

وقال ﷺ (من حافظ عليها كانت له نورا وبرهان ونجاة يوم القيامة ، ومن لم

يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون

(ابن حنبل ١٤١٣هـ ج ٢ ص ١٦٩)

وهامان وأبي بن خلف)

هذا وقد أثنى الله على المحافظين على الصلوات فى عدد من الآيات وتكرر

الثناء عليهم قال تعالى ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ بِمَبَرِكٍ مُّصَدِّقٍ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَيْسَ ذَرَأًا مِّنَ الْقُرْآنِ وَمَنْ حَوَّلَهَا

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ سورة الانعام : ٩٢

وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ

سورة المؤمنون : ١١/١٠/٩

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿

وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ * أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿

فمحافظة عليهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ، ومواقيتها ، و يقيموا أركانها ،
ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم .

(القرطبي، د . ت ج ١٨ ص ٢٩٢)

وقد ورد الذم والتشنيع عن لم يحافظ عليها - الصلوات الخمس - قال تعالى

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ سورة مريم : ٥٩

فقوله تعالى ﴿ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ﴾ قرأ ابن مسعود وأبو رزين العقيلي ، والحسن

البصري: (الصلوات) على الجمع والمراد بإضاعتهن إياها قولان :-

أحدهما : أنهم أخروها عن وقتها .

والثاني : تركها . (ابن الجوزي ١٤٠٤ هـ ج ٥ ص ٢٤٥)

وقال ابن كثير (١٤٠٧ هـ)

” وإذا أضاعوا الصلاة فهم لما سواها من الواجبات أضيع لأنها عماد

الدين وقوامه وخير اعمال العباد ، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها

ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فهؤلاء سيلقون غيا أي خسارة يوم

القيامة ، وقد اختلفوا في المراد بإضاعة الصلاة ههنا فقال قائلون : المراد

بإضاعته تركها بالكلية ، وقال آخرون إنما أضاعوا المواقيت ولو كان تركها

كان كفرا “ (ج ٣ ، ص ١٣٤)

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ ﴿ وَيَمْنَعُونَ

الماعون﴾

سورة الماعون ٤ - ٧

يقول عبدالواحد (١٤٠٥ هـ)

” العجيب أن بعض الناس في عصرنا يهونون من شأن الصلاة والعبادة

عامة ويزعمون أن لانفع لها في الحياة ولا أثر لها في تقوم السلوك ناظرين في

ذلك إلى الذين يراءون في العبادة فلا يرفعون بها رأساً ولا يصلحون عملاً ،

وليست هذه حجة يقنع بها العقل ، أو يستقيم بها المنطق فإن القرآن الكريم

قد نهى المصلين عن الغفلة عن معاني الصلاة وحذرهم من الجهل بحقائقها

ونسيان دورسها حتى لا يصيبهم عقاب الغافلين“ (ص ٧١)

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (خمس صلوات كتبهن الله على العباد من جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة)

(أبو داود، ١٤١٣هـ كتاب الصلاة ج ١ ص ٢٩٦ رقم الحديث ٤٢٥) (النسائي، د . ت كتاب الصلاة ج ١ ص ٢٣٠) (ابن الأثير، ١٤٠٣هـ ج ٦ ص ٤٤ رقم الحديث ٤١٣٢ ، وقال عنه حديث صحيح) فالواجب على المسلم أن يؤدي الصلوات الخمس مع جماعة المسلمين في بيوت الله لما فيها من الأجر العظيم والخير العميم ، فإداء الصلاة مع الجماعة له آثار تربوية جمّة تعود على الفرد والمجتمع ، فهي تزيد الترابط والتلاحم بين صفوف المسلمين وتقوى شوكتهم ضد عدوهم وكذلك يتفقد بعضهم بعضاً فتزيد الصلوات فيما بينهم . فعلى المسلم تربية ابنائه على أداء الصلوات مع المسلمين في بيوت الله ويرغبهم في أدائها جماعه ويعلمهم كيفية الصلاة ويخبرهم أن صلاة الجماعة في المسجد أفضل من صلاة الفرد لقوله صلى الله عليه وسلم (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)

(بخاري، ١٤١١هـ كتاب الأذان ج ١ ص ١٧٩ رقم الحديث ٦٤٥)

لأن الجماعة مظهر من مظاهر الإسلام تتجلى فيه وحدتهم وترابط قلوبهم وصفاء نفوسهم يقفون صفاً واحداً لأداء عبادة واحدة لمعبود واحد هو الله رب العالمين ، فصلاة الجماعة واجبة في الحضر والسفر في حالة الأمن أو في حالة الخوف قال تعالى

﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقِّمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ . . . ﴾ سورة النساء : ١٠٢

فمن خلال ما تقدم تبين لنا أهمية الصلاة ومكانتها في الدين الإسلامي

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في إقامة الصلاة :

١) البعد عن الفحشاء والمنكر

إن الصلاة تبعد صاحبها عن الفحشاء والمنكر قال تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ

الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾ سورة العنكبوت : ٤٥

يقول قطب سيد (١٤٠٠ هـ) : إن الصلاة حين تقام تنهى عن الفحشاء والمنكر
فهى إتصال ينجل صاحبه ويستحى أن يصطحب معه كباثر الذنوب وفواحشها ليلقى
الله بها " (ج ٥ ص ٢٧٣٨)

٢) تنظيم الحياة والحفظ من الوقوع في الفواحش

الصلاة تنظم حياة الانسان لأنها محدودة بمواقيت معينه فيجب على المسلم أن
يحترم المواعيد وعدم التخلف عنه . ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾

سورة النساء : ١٠٣

إن الصلاة لها اثر عظيم فى حفظ المصلى من المعاصى والوقوع في الآثام لأن
الصلاة نور للمصلى ، فعن أبى مالك الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
(الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأن أو تملأ ما بين السموات والأرض والصلاة
نور)

(النيسابوري ١٤١٢ هـ كتاب الطهاره ج ١ ص ٢٠٣ رقم الحديث ٢٢٣)

فالصلاة أثر عظيم فى تربية المصلى وتعويده على الاخلاق الحسنة وترسيخها فى
نفسه .

٣) رياضة للفكر وتنشيط للعقل

إن فى الصلاة رياضة فكرية فهى تنشط العقل وتقوى الحفظ ، فإذا أدى المسلم
صلاته المفروضه فى أوقاتها المحددة ، يقرأ فى كل فريضة ما يتيسر له من القرآن فإن
ذلك يجعل العقل صافيا ونقيا ، يحمله على الخشوع والانكسار بين يدى الله عز وجل
كما فيها ايضا من التركيز الذهني وصفا الجوهر .

وقد ربط الله تحريم الخمر فى بداية تحريمه بالصلاة وذلك أن من الناس من يدخل
فى الصلاة وهو لا يزال فى سكره فيخلط فى صلاته ، فهو عن الاقتراب من الصلاة
أثناء سكرهم لأنها تحتاج إلى تركيز فى الذهن وإدراك عقلى لما يقوله فيها قال تعالى
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ . . ﴾

سورة النساء : ٤٣

٤) خلوص العقيدة من الشوائب وعلاج الأمراض والأسقام

الشعور بهيبة الوقوف بين يدي الله عز وجل ولا ينصرف قلبه إلى غيره قال حسان بن عطية : إن الرجلين يكونان فى الصلاة الواحدة وإن ما بينهما فى الفضل كما بين السماء والأرض وذلك أن أحدهما مقبل على الله عز وجل والآخر ساه غافل (ابن قيم الجوزية، ١٤١٣هـ ص ٣٦)

وهذا يربى فى المصلى تربية ذاتية ، خوف من الله عز وجل فى كل الأمور وإلى التنافس على فعل الطاعات ونيل الدرجات . وبهذا فإن الصلاة تربي المصلى على الاحساس بعظمة الله عز وجل وأن الله اكبر من كل كبير وبهذا تصفى العقيدة من شوائب الشرك ، ويقبل على الله عز وجل بجميع حركاته وسكناته ويتحقق ذلك عن نطق المصلى أو سماعه قوله (الله اكبر)

فالصلاة الصحيحة هى الدواء الشافى من أمراض القلوب وفساد النفوس والنور المزيل لظلمات الذنوب والآثام (الصواف ١٤٠٨هـ ص ١٤)

فالصلاة تربية روحية تعالج كثير من الأمراض التى يعانى منها أفراد المجتمع .
يقول نوفل (د.ت)

” أما الصلاة فإن فوائدها لم تعد مقصورة على النواحي الاجتماعية بل أثبت التقدم فى الطب وعلم النفس أن حكم الصلاة قد شملت الإنسان بجزأيه الجسد والنفس، فحركات القيام والقعود عدّة مرات فى الصلاة خير وسيلة لتنشيط الدورة الدموية التى تنشط كافة الأجهزة ولذا تعتبر الصلاة منشطة للهضم فاتحة للشهية والركوع والقيام منه يقوي عضلات الظهر والمعدة ويزيل ما قد يتكون على جدران المعدة من شحوم ودهون .. أما السجود فإنه يقوي عضلات الفخذين والساقين ويساعد على وصول الدم إلى أطراف الجسم كما أنه يقوي جدار المعدة وبنية الأمعاء ووقاية من مرض تمدد المعدة بما يسببه من تقلصات عضلاتها وتحريك الحجاب الحاجز وقد أثبت الطب الحديث أن الصلاة تعمل على خفض الدم العالى وهى علاج

للأرق “ (ص ٣٦-٣٨)

” وقد وفر الدين الإسلامى كل مقومات العلاج الروحى ، وذلك بتلاوة القرآن الكريم عن وعى وإدراك ، وبالصلاة التى تستغرق العقل والوجدان يذكر الله الذى يتجه فيه الانسان بقلبه وجوارحه إلى مولاه ، فالفرد متصل بالله اتصالاً مباشراً يقضى إليه بذاته نفسه ، ويسأله أن يتولاه برحمته ، وبذلك ينتفى الضياع والفراغ الروحى ويتحقق الانتماء للقوى الأعلى “ .

(السباعى وآخرون ١٤١٢هـ ص ٨٦)

٥) الصبر والصدق

إن الصلاة تربي النفس على الصبر وتحمل المشاق والصدق فى الأقوال والأفعال.

يقول محسن (١٤٠٧هـ)

” تمتد الصلاة المؤدى لها بقوه روحية ونفسية تعين على مواجهته متاعب الحياة

ومصائب الدنيا

(ص ٢١٥)

قال تعالى ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾

سورة البقرة : ٤٥

كما أنها تربي المسلم على الصدق فى القول لأنه يحمد الله ويثنى عليه ويسبحه ومن تمام الأدب : أن لا يقول المسلم قولاً وهولاه أو غافل عما يقول أو يخالف قوله عمله بالذبح لعيز الله أو النذر لغيره سبحانه أو ما إلى ذلك من أفعال قبيحة ، قال

تعالى ﴿ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ سورة الصف : ٢

أما الصدق فى الأعمال فلا بد أن تكون على الأمر والمتابعة

(ابن قيم الجوزية ، ١٤٠٨ ص ٢٨١)

فالصلاة تربي المصلى على هذه الصفات العظيمة فى أقواله وأفعاله وجميع أمور

حياته .

٦) التواضع ومحبة الآخرين

إن الصلاة تربي المصلى على التواضع ومحبة الآخرين كما تربي فيه البذل والعطاء

قال تعالى ﴿ إِنْ الْإِنْسَانُ خَلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۗ إِلَّا الْمُصَلِّينَ

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾
سورة المعارج : ١٩-٢٣

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)

(النيسابوي ١٤١٢هـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ج٤ ص ٢١٩٩ رقم الحديث ٢٨٦٥)
لكن بـمداومة الإنسان على الصلوات يتخلص من الشح والبخل ويتعمق في نفسه البذل والعطاء يتحقق بذلك التعاون والمحبة والترابط بين أفراد المجتمع الإسلامي .

(٧) التربية العملية

” الصلاة تربية عملية للأمة تشبه الوظائف العسكرية في وجوب إضاردها وعمومها وعدم الهواده فيها ومن قصر في هذا القدر القليل من الذكر الموزع على هذه الأوقات الخمسة في اليوم واللييلة ، فهو جدير بأن ينسى ربه ونفسه ، ويغرق في بحر من الغفلة ، ومن قوي إيمانه وزكته نفسه لا يرضى بهذا القليل من ذكر الله ومناجاته بل يزيد عليه من النافله ومن أنواع الذكر الأخرى ما شاء الله أن يزيد“ (رضا ١٣٩٣هـ حصص ٣٨٦)

(٨) الاتصال الدائم بالله

إن الصلاة تربي النفس الإنسانية على الاتصال الدائم بالله فهي راحة المسلم وعونه حينما تضيق عليه الدنيا ، فعن سالم بن جعد قال : قال رجل من خزاعة : ليتني صليت فاسترحت ، فكأنهم عابوا عليه ذلك ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها)

(أبو داود ١٤١٣هـ كتاب الأدب ج٥ ص ٢٦٢ رقم الحديث ٤٩٨٥)

(ابن الأثير ١٤٠٣هـ ج٦ ص ٢٦٣ رقم الحديث ٤٣٧ وقال عنه حديث صحيح)

وكان ﷺ إذا حزبه أمر من الأمور فزرع إلى المسجد

أما الصلاة تربي النفس الإنسانية على مواجهة الاحداث فكلما أصاب المسلم الفزع والخوف التجأ إلى ربه بالصلاة والدعاء قال تعالى ﴿...وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

٩ (تربية الجماعة المسلمة:

إن الصلاة تربي الجماعة المسلمة على الألفة والمحبة والأخوة الصادقة ، ذلك أن اجتماعاتهم المنتظمة لإداء الصلوات الخمس فى المسجد هى الطريقة المثلى لجمع القلوب ولمّ الشمل ، وتوحيد الكلمة ، ووحدة الصف ، وتقوية الشوكة ضد أعدائهم .
والصلاة فى مجملتها تلخيص لفكرة القرآن عن الإنسان على أنه روح وعقل وجسد ، فهو لا ينمي عقله ويترك روحه وجسده ، ولا يقوي روحه على حساب جسده وعقله ، ولكنه يعمل على تقوية الثلاثة مجتمعة فى آن ففى الركوع والسجود والقيام تقوية للجسد ، وفى التفكير والتدبر والفهم تنمية للعقل ، وفى الخشوع والدعاء والمناجاة تقوية للروح ، فالصلاة سبيل إلى القوة الحقة ، قوة الجسد والعقل والروح .
(شديد ، ١٤٠٢هـ ص ١٩٢)

هذه بعض الآثار التربوية المترتبة لإقامة الصلاة وتأديتها على وجهها الصحيح وهناك آثار تربوية تتمثل فى بناء العلاقات الإنسانية بين المصلين ، وتحقيق المغفرة والرضوان من رب العالمين ، وطهارة البدن والروح من أدران الذنوب والمعاصي والأوساخ .

المبدأ الثاني: العهد والميثاق في تأدية الزكاة :

١- قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾
سورة لقبره : ٨٣

٢ - وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ... ﴾
سورة المائده : ١٢

٣ - وقال تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾
سورة التوبه : ٧٥

تعريف الزكاة لغة وشرعا :

الزكاة: مصدر زكا الشيء إذا نما وزاد، وزكا فلان إذا صلح، فالزكاة هي البركة والنماء والطهارة والصلاح (أنيس، دت ج ١ ص)
الزكاة لغة : النماء والزيادة ، يقال زكى الزرع ، والأرض تزكو زكوا : إذا هسى نمت وزكاه الله تعالى تركية وأزكاه : أتماه وجعل فيه بركة، وزكا الرجل يزكو زكوا: صلح وتنعم والزكاة صفوة الشيء وما أخرجته من مالك لتطهره به .
(الفيومي ١٩٨٧م ص٩٧) (الزبيدي، ١٤١٤هـ ١٩٩٤ ص٤٩٤)

وقال ابن الأثير (١٣٨٣هـ)

” الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح قال : وكل ذلك قد استعمل في القرآن والحديث ... إلى أن قال : فائزكاة طهرة للأموال ، وزكاة الفطر طهرة للأبدان “
(ج ٢ ص ٣٠٧)

وشرعا : حق واجب في مال خاص لطائفة مخصوصه فى وقت مخصوص .

(البهوتى ، ١٤٠٥هـ ص ١٣٥)

وسميت هذه الحصه المخرجه من المال (زكاة) لأنها تزيد فى المال الذى

أخرجت منه ، وتوفره فى المعنى ، وتقيه الآفات .

(النووي، د . ت ، المجموع شرح المذهب جـه ص ٣٢٥)

أهمية الزكاة:

إن الدين الإسلامى قام على قواعد ودعائم حفظت لكل من ينتسب إليه حقه من التكافل الإجتماعى : من تعاون وتناصر وتضامن ، بحيث لا تطغى مصلحة الفرد على الجماعة ولا العكس وإنما لكل فرد فى هذا المجتمع حقوقه ومميزاته ، يستطيع أن يتصرف كما يشاء وكذلك الجماعة لها أهميتها ومكانتها فى المجتمع تحافظ على الأفراد الذين ينحدرون منها ليس هناك بطش أو أخذ الأموال والحقوق بالقوة والعنف.

وتعتبر الزكاة الركن الأساسى فى النظام الإقتصادى فى المجتمع الإسلامى .
ولما لهذه الشعيرة من أهمية بالغة فقد قرنها الله تعالى فى كتابه الكريم بالصلاة فى أكثر من موضوع ومنها :-

قال تعالى ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ

دين القيمة ﴿

سورة البينة : ٥

وقال تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ سورة البقرة : ٤٣

فالزكاة عبادة روحية يتطهر بها المزكى من رذيلة البخل والشح والطمع .
وقد دعا القرآن الكريم الى هذه الفريضة وحث عليها واطلق عليها جملة من العناوين المحبة فيها الداعية إليها [إحسان ، زكاة ، صدقة ، حق ، إنفاق فى سبيل الله] ثم طلبها بصفتها ركنا من أركان الدين وبصفتها فضيلة إنسانية .

(شلتوت، د . ت ض ٤٣٦)

وإن المتبع لإيات القرآن الكريم يجد العناية الفائقة بشأن الزكاة وما ذلك إلا لأنها أحد أركانه وأسسها التى قام عليها . عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتا الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان)

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الإيمان ج١ ص١٠ رقم الحديث ٨)

(النيسابوي ١٤١٢هـ كتاب الإيمان ج١ ص٤٥ رقم الحديث ١٦)

فالدين الإسلامى قام على قواعد ومرتكزات حققت لكل فرد من أفراد المجتمع المسلم حقه ومستحقه غنياً أو فقيراً ، فرداً أو جماعة فالحقوق بين أفراد الأمة الإسلامية مشتركة تحفظ لها وحدتها وإتلافها قال ﷺ " ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى "

(البخاري، ١٤١١هـ ، كتاب الأدب ج٧ ص١٠٢ رقم الحديث ٦٠١١)

وقد مدح الله وأثنى على المتصدقين والمنفقين فى آيات كثيرة وما ذلك إلا لأهمية البذل والعطاء فى سبيل الله وتربية النفس على الإيثار والتضحية .

قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ سورة البقرة : ٢٧٧

وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ سورة البقرة : ٢٧٤

فالزكاة تحقق نوعاً من أنواع التكافل الاجتماعى فى الإسلام^(١) تصل العبد بخالقه وتطهر النفس من البخل والشح وحب الذات وهذا له انعكاساته على النفس البشرية، من الراحة والسعادة والطمأنينة ، وخاصة إذا شعر أنه أدى ما عليه من الزكاة نحو المستحقين من الفقراء والمساكين وغيرهم .

ولا شك أن حب المال شيء فطرى ولكننا نجد أن التربية الإسلامية اتخذت عدة وسائل لضبط هذا الحب .

يقول الميداني (١٤١٣هـ)

"اتخذت التربية الإسلامية عدة وسائل لضبط دافع حب التملك عند

الإنسان وفيما يلي بيان لأهم هذه الوسائل :

(١) انظر العدالة الاجتماعيه سيد قطب فصل التكافل الاجتماعى .

الوسيلة الأولى :

تغذية الدوافع الفطرية الأخرى المعدلة لهذا الدافع ، كالدافع الجماعى الذى يتولد عنه مقدار ما من الغيرية ، ويتولد عنه حب العطاء .

الوسيلة الثانية :

تقييد دافع حب التملك عن الانطلاق الخرفى كل ميادين الكسب ومنعه من أن ينطلق إلا فى حدود ما أذن الله به .

الوسيلة الثالثة :

تكليف المسلم بجملة من الحقوق المتعلقة بما يكسبه ويملكه ، كحق النفقة الواجبه ، وحق الزكاة للسائل والمحروم ، وحق مصالح المسلمين العامة .

الوسيلة الرابعة :

إقامة منافس فى داخل نفس المسلم وهذا المنافس يستطيع أن يكون قوة حصار تكبح باستمرار محاولات جموح دافع التملك أو جنوحه ذا المنافس هو خلق حب العطاء وقد عمل الإسلام على تربية هذا .

الوسيلة الخامسة :

الغوص إلى أعماق نفس المسلم إلى حيث يستقر الإيمان ثم تحريك جانب الإيمان باليوم الآخر وتحريك محورى الضمع والخوف فيه بالترغيب والترهيب ، ويشتد فى نفسه خلق حب العطاء حتى يكون جوادا .

الوسيلة السادسة :

تدريب النفس على البذل ولو عن طريق الإلزام .
وتدريب النفس على البذل والعطاء مرة بعد مرة مع معالجتها بالوسائل السابقة .

(ج ٢ ص ٣٩٠)

وقد صور الرسول الكريم ﷺ معالجة النفس بهذه الوسائل فقال (مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى تديهما وتراقيهما فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقه انبسطه عنه حتى تغشى أنامله وتعفو أثره ، وجعل البخيل كلما هم بصدقه قلصت وأخذت كل حلقة بمكانها)

(البخاري ١٤١١هـ ، كتاب اللباس ج٧ ص٤٧ رقم الحديث ٥٧٩٧ ولفظ له)

(النيسابوي ١٤١٢هـ كتاب الزكاة ج٢ ص٧٠٨،٧٠٩ رقم الحديث ١٠٢١)

ففي هذا الحديث الشريف أثر التدريب العملى على البذل والعطاء فكلما تصدق وأعطى فى سبيل الله انفرج الدرع عنه وعلى العكس البخيل الشحيح كلما همَّ بصدقه ولم يخرجها ضاق عليه الدرع الحديدي ولم تفرج عنه تلك القيود جزاء ما أقدم عليه من عدم أخراج الصدقة .

وبذلك يبرز هذا المبدأ الإسلامى فى التوازن المالى للمجتمع يحفظ للأفراد والمجتمعات المحتاجه حقوقها .

الأسس التى تقوم عليها الزكاة:

١ (الزكاة فريضة فرضها الله ، وهى إلزامية وليست تطوعا يجبر المكلف بها على دفعها جبراً أن لم يدفعها طواعيه ولذلك فهى تتميز عن صدقه التطوع والاحسان الذى تحث عليه سائر الأديان ويحث عليه الإسلام نفسه لأنها فريضة من الله وهى حق لمستحقها فى مال من تجب عليهم .

٢ (أن الدوله هي التى تجمعها وليس أمرها متروكا للأفراد أنفسهم ودليل ذلك ما ورد فى اية الزكاة " والعاملين عليها " اي القائمين بجمعها وحفظها .

٣ (تؤخذ الزكاة من رأس المال الفائض عن حاجة الإنسان وعياله فيما عدا الزرع فأنها تؤخذ من غلته لا من رأس المال . وبذلك تكون الزكاة حافزا لتشغيل رؤوس الأموال وتنميتها وعدم ابقائها معطله .

٤ (فى الأموال جميعها حد أدنى معفى من الزكاة وهو مادون النصاب ، وقد ورد فى الاحاديث النبوية تحديد للنصاب بالنسبة إلى كل جنس من المال أو من النقود ، والانعام والزرع وفصلها فقهاء المذاهب^(١)

٥ (الزكاة فريضة سنوية ، فيشترط حولان الحول على زكاة النقود والمواشي

(١) انظر : قطب سيد " العدالة الإجتماعيه فى الإسلام " ص١١٨ - ١٢٥ . والمعنى لابن قدامة كتاب الزكاة

والقرضاوي فقه الزكاة

وأموال التجارة .

٦ (جميع أنواع الأموال من حيث المبدأ عليها زكاة باستثناء المستهلكة ، كالطعام واللباس والحاجات المعيشية . (المبارك ، د . ت ص ٨١-٨٤)

• حكمها وأدلتها :-

فريضة فرضها الله تبارك وتعالى على كل مسلم ملك نصاباً من مال، بشروطه^(١)

• أدلتها :-

(١) من القرآن الكريم :

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾

سورة البقرة : ٢٦٧

وقال تعالى ﴿ خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ سورة التوبة : ١٠٣

وقال تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ سورة المزمل : ٢

(٢) من السنة النبوية المطهرة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان)

(البخاري ، ١٤١١ هـ كتاب الإيمان ج ١ ص ٩ رقم الحديث ٨) (النيسابوي ١٤١٢ هـ كتاب الإيمان ج ١ ص ٤٥ رقم الحديث ١٦)

وعن واقد بن محمد قال : سمعت أبي يحدث عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)

(البخاري ، ١٤١١ هـ كتاب الإيمان ج ١ ص ٤ رقم الحديث ٢٥) (النيسابوي ١٤١٢ هـ كتاب الإيمان

(١) شروط المال : ١- الحرية ٢- الإسلام ٣- ملك نصاب ٤- استقرار المال ٥- مضي الحول

(الروض المربع بشرح زاد المستنقع ، للبهوتي، ١٤٠٥ هـ ص ١٣٥)

• فرضيتها :

أن الزكاة المطلقة غير المقدره فرضت في مكة . ورجحه كثير من الائمة وفى السنة الثانية من الهجرة نزل القرآن الكريم بالمدينة المنورة يؤكد وجوب الزكاة وفصل بعض الأحكام المتعلقة بها ثم توالى السنة تفصيل وبيان ما أجمله القرآن .

يقول القرضاوي (١٤١٢هـ)

”إن الزكاة التي ذكرت في القرآن المكي، لم تكن هي بعينها التي شرعت بالمدينة وحددت نسبها ومقاديرها وأرسل السعاة جبايتها وصرفها، وأصبحت الدولة مسؤولة عن تنظيمها.

الزكاة التي فرضت في مكة كانت زكاة مطلقة عن القيود والحدود، وكانت موكولة إلى إيمان الأفراد وأريجيتهم وشعورهم بواجب الأخوة نحو إخوانهم من المؤمنين، أما في المدينة فقد حدد الشارع الأموال التي تجب فيها وشروط وجوبها والمقادير الواجبة والجهات التي تصرف لها وفيها والجهاز الذي يقوم على تنظيمها وإدارتها“

(ج ١ ص ٦١ ، ٦٢)

ويقول ابن كثير (١٤٠٧هـ) عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾

سورة المؤمنون : ٤

”الأكثر على أن المراد بالزكاة ههنا زكاة الأموال مع أن هذه الآية مكية وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة ، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة هي ذات النصب والمقادير الخاصة وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبا بمكة“

(ج ٣ ص ٢٤٩)

الأموال التي تجب فيها الزكاة :

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم يجده ذكر نوعا من الأموال التي تجب فيها الزكاة وما ينبغي على كل مسلم نحوها وهي:

١ (الذهب والفضة : قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ

سورة التوبة : ٣٤

اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

٢) الزروع والثمار : قال تعالى ﴿..... كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ

سورة الأنعام : ١٤١

٣) عروض التجارة والخارج من الأرض والأنعام : قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ سورة البقرة : ٢٦٧

٤) وفيما عدا هذه الأنواع دلت القرآن عليه بدليل عام يشتمل هذه الأنواع

وغيرها قال تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ سورة التوبة : ١٠٣

ثم فصلت السنة النبوية ما أحمله القرآن فبينت الأنصبة والمقادير لكل نوع من الأنواع^(١) فالواجب على المسلم إذا بلغ ماله نصابا وحال عليه الحول أن يخرج ما عليه من زكاة طيبة بها نفسه وليذكر حال إخوانه الفقراء والمساكين وذو الحاجة وواجبه نحوهم .

مصارف الزكاة :

لقد عني القرآن الكريم بمصارف الزكاة وبينها إيما بيان قطع كثير من الاطماع لدى ضعاف النفوس وأعطى كل ذى حقه حقه .

فقال تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ

وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ سورة التوبة : ٦٠

وفي هذه الآية نصت على أسماء الأصناف المستحقين للزكاة دون غيرهم ، ومن هذه المصارف يتبين لنا عناية الإسلام ورعايته للناس أفرادا وجماعات أغنياء وفقراء ، فالزكاة تعد من أهم العوامل فى توزيع الثروات توزيعا منسجما مع حاجات الأفراد والمجتمع .

وهذه الصدقات فريضة منه تعالى فليس لأحد فيها رأى أو تقدير الكلام إنما

(١)راجع كتاب فقه الزكاة الدكتور / يوسف القرضاوى، المجموع شرح المهذب للنووى حده كتاب الزكاة ،

منهاج المسلم أبو بكر الجزائري ص ٣٦٦/٣٨٣

الصدقات لمن ذكر من اصناف المحتاجين وفيما ذكر من مصالح الأمة حال كونها مفروضه لهم من الله تعالى ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ عليم بحال عباده ومصالحهم ، حكيم فيما يشرعه لهم ، فهو تطهير أنفسهم وتزكيتها بما يحمل عليها من الإخلاص والشكر له ورضائه بنفع عباده (رضا ١٣٩٣هـ . ج ١٠ ص ٥٠٥)

وعلى أية حال فهؤلاء المذكورين في الآية أناس يستحقون العطف والرعاية والعناية والإهتمام بشأنهم لأن ذلك يؤدي إلى تكاتف وتماسك البنية الإجتماعية .

عقوبة مانع الزكاة :

إن منع الزكاة جريمة فى حق الدين وجريمة كذلك فى حق المجتمع يستحق مانعها العقوبة الرادعة ، ولقد توعد الله مانعها بالعقوبة الرادعة فى الدنيا والآخرة .

العقوبة الدنيوية :

قال ﷺ (ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين)

(الألباني ، ١٣٩٩هـ ج ٢ ص ١٠ رقم الحديث ١٠٧ وقال عنه حديث صحيح)

قال ﷺ (ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا) (الألباني ، مرجع سابق ص ٧ رقم الحديث ١٠٦ وقال عنه حديث صحيح)

وقال ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا

رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم

وأموالهم ..) (البخاري، ١٤١١هـ كتاب الإيمان ج ١ ص ١٤ رقم الحديث ٢٥)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب الإيمان ج ١ ص ٥٣ رقم الحديث ٢٢)

وقول أبي بكر الصديق (والله لأقاتلن من فريق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة

حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم على منعها " او فى

رواية " عقالا كانوا يؤدونه "

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الزكاة ج ٢ ص ١٢٢ رقم الحديث ١٤٥٦)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب الإيمان ج ١ ص ٥١ رقم الحديث ٢٠)

هذه جملة من الأحاديث التى تبين عقوبة مانع الزكاة فى الحياة الدنيا ، وتمثل فى

أخذ الله المانع بالسنين أو عدم سقوط الأمطار ، أو بالقتال حتى يؤدوها كاملة كما

شرع الله تعالى . .

العقوبة الأخروية :

(١) قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٥٠﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ * فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظهورهم هذا مَا كُنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذَوْقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٥١﴾ سورة التوبة : ٣٤، ٣٥

(٢) وقال ﷺ : (من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه - يعنى شذقيه - ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك . ثم تلا ﴿ وَلَا يُحْسِنُ الَّذِينَ يَدُلُّونَ ﴾ سورة عمران ١٨٠

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الزكاة ج٢ ص ٨١٣٦ رقم الحديث ١٤٠٣)

(٣) وقال ﷺ (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم ، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له ، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله ، إما إلى الجنة وإما إلى النار " قيل يا رسول الله فإبل إبل ؟ قال : " ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ، ومن حقها حلبها يوم وردها ، إلا إذا كان يوم القيامة . بطح لها بقاع قرقر . أوفرها كانت إلا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهاها . كلما مر عليه أو لاها رد عليه أخرها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . حتى يقضى الله بين العباد فى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . قيل : يا رسول الله ! فالبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عقصاء ولا جنحاء ولا عضباء ، تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما مضى عليه أو لاها ردت عليه أخرها فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد ، فىرى سبيله ، إما إلى الجنة وإما إلى النار ...)

(النيسابوي ١٤٢هـ كتاب الزكاة ج١ ص ٦٨٠/٦٨١ رقم الحديث ٩٨٧)

وفي هذه العقوبة إما كانت فى الدنيا أو الاخره تربيته بالترغيب فى فعلها
واخراجها وإعطائها مستحقها وتربية بالترهيب من عدم منعها والمساوغة فى إخراجها
واما من جحد وجوب الزكاة فقد كفر

يقول الأمام النووى (د . ت)

” إذا امتنع من أداء الزكاة منكرا لوجوبها فإن كان ممن يخفى عليه ذلك لكونه
قريب عهد بالإسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة أو نحو ذلك لم يحكم بكفر بل يعرف
وجوبها ، وتؤخذ منه ، فإن جحدتها بعد ذلك حكم بكفره . وإن كان ممن لا يخفى
عليه ذلك ، كمسلم مختلط بالمسلمين - صار بجحدتها كافرا وجرت عليه أحكام
المرتدين ، من الاستتابة والقتل وغيرهما ، لأن وجوب الزكاة معلوم من دين الله تعالى
ضرورة ، فمن جحد وجوبها فقد كذب الله ، وكذب رسوله ﷺ فحكم بكفره ..“
(ج ١ ، ص ٣٣٤)

وبهذا الحكم الشرعى الواضح الذى بينه العلماء ندرك مكانة الزكاة وما لها من
الآثار المترتبة فعلا أو تركا .

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق فى تأدية الزكاة

(١) الخلق الكريم والسلوك القويم

الزكاة تربى الإنسان على خلق كريم وسلوك قويم وهو البذل والعطاء
فمما لا خلاف فيه أن للعادة أثر عميق فى خلق الانسان وسلوكه .
والمسلم الذى يتعود على البذل والعطاء فى سبيل الله يصبح متصفا بصفات
المؤمنين المتقين الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله .

قال تعالى ﴿ ألم ذك الكتاب لأرب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقومون الصلاة

وَمَا رزقناهم ينفقون ﴾ سورة البقره : ١ - ٣

وقال تعالى ﴿ فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من

بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى * وما يغنى عنه ماله إذا تردى ﴾

سورة الليل : ٥ - ١١

فالبذل والعطاء سبب من أسباب التيسير للحسنى والبخل والشح سبب من أسباب التيسير للعسرى .

فالزكاة تربي الإنسان على الإحسان إلى الآخرين والتخلق بأخلاق الله .
فإذا تطهر من رذيلة البخل والشح واعتاد على الإيثار والبذل والعطاء فى سبيل الله واحسن إلى الآخرين مما اعطاه الله نال بذلك رضوان الله ورحمته وبركته له فى ماله وولده وكل ما يملك .

يقول الامام الرازى (د . ت)

” أن النفس الناطقه لها قوتان ، نظرية وعملية ، فالقوة النظرية كما لها فى التعظيم لأمر الله ، والقوة العملية كما لها فى الشفقه على خلق الله ، فأوجب الله الزكاة ليحصل لجوهر الروح هذا الكمال وهو اتصافه بكونه محسنا إلى الخلق ساعيا فى إيصال الخيرات إليهم دافعا للآفات عنهم ولهذا السر قال عليه الصلاة والسلام ” تخلقوا بأخلاق الله “ (ج ١٦ ص ١٠١)

وهذا له اثر عظيم فى تربية النفس على هذه السلوك واحساسه وشعوره نحو الاخرين يكون بالغ الأثر فى مديد العون والمساعدته لهم بكل ما يملك .

٢) طهارة النفس الإنسانية

إن الزكاة عبادة روحية تربي النفس الإنسانية على الإنفاق والعطاء فى سبيل الله كما تطهر النفس من رذيلة البخل والشح .

يقول القرضاوي (١٤١٣هـ :)

” والزكاة نماء لشخصية الغنى وكيانه المعنوى ، فالإنسان الذى يسدى الخير ويصنع المعروف ويبدل من ذات نفسه ويده ، لينهض بإخوانه فى الدين والإنسانية ، وليقوم بحق الله عليه ، ويشعر بامتداد فى نفسه ، واتسراح واتساع فى صدره أو يحس به من انتصر فى معركة ، وهو فعلا قد انتصر على ضعفه وأثرته وشيطان شحه وهواه .

فهذا هو النمو النفسى والزكاة المعنوية ، ولعل هذا ما نفهمه من عبارة

الآية ﴿تطهرهم وتزكهم بها﴾

فعطف التزكية على التطهير قد يفيد هذا المعنى الذي ذكرناه ، إذ كل

كلمه في القرآن لها معناها ودلالاتها . (ص ٢٥٩ ، ٢٦٠)

والزكاة تربى المزكي على مداومة شكر الله عز وجل مسدى النعم والاعتراف

بفضله جل وعلا .

٣) عدم الانغماس في حب المال والتعلق به

الزكاة تربى المزكي على عدم حب المال حبا جما والتعلق به ، وإن كان المال

محبب إلى النفس إلا أنه لا ينبغي الاستغراق في حبه لانه يذهل النفس عن حب الله

وعن التأهب للآخرة فاقترضت حكمة الشرع تكليف مالك المال بأخراج طائفة منه

من يده ليصير ذلك الإخراج كسرا من شدة الميل إلى المال ، ومنعا من انصراف النفس

بالكليه إليها وتبنيها لها على أن سعادة الإنسان لا تحصل عند الاشتغال بطلب المال

وإنما تحصل بانفاق المال في طلب مرضاة الله تعالى ، فايجاب الزكاة علاج صالح متعين

لإزالة مرض حب الدنيا عن القلب . (الرازي د . ت ج ١٦ ص ١٠٠)

كما أن الزكاة تربى في نفوس المحتاجين من فقراء وغيرهم العفه كما تطهرهم

من الغل والحقد والحسد تجاه اصحاب الأموال - الاغنياء .

كما تربى فيهم أيضاً الانتماء للجماعه وأنهم ليسوا ضائعين ولا متروكين هملا

بسبب عجزهم وفقرهم وليعلموا أن الدين الإسلامي قد تكفل بحقوقهم .

قال تعالى ﴿ وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ سورة الذاريات : ١٩

٤) النماء والبركة والطهر للمال المزكي

الزكاة نماء وبركة ، وطهرة للمال المزكي قال تعالى ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه

وهو خير الزايقين ﴾ سورة سبا : ٣٩

وقال تعالى ﴿ يحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾ سورة البقرة : ٢٧٦

وقال تعالى ﴿ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾

سورة الروم : ٣٩

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من تطلق بعدل ثمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - وإن الله يتقبلها بيمينهم يريها لصاحبه كما يربي ، أحدكم فلوه^(١) حتى تكون مثل الجبل)

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الزكاة ص ١٣٨ رقم الحديث ١٤١٠)

(النيسابوي، ١٤١٢هـ كتاب الزكاة ج ٢ ص ٢٢٢ رقم الحديث ١٠١٤ - ١٠١٥)

فهذه الأدلة الشرعية تشير بمدلولها مضاعفة المال المزكي بقدرة الله وعنايته وذلك فضل الله يؤتيه للمتصدقين والمزكين لأموالهم في سبيل الله ذو الفضل العظيم .

٥) التكافل الاجتماعي

الزكاة وسيلة من وسائل التكافل الاجتماعي وترابط المجتمع فهي تربي الغني على البذل والعطاء ، كما تربي الفقير على العفة والاعتزاز بنفسه .

كما هي أيضا تقرب المسافة بين الأغنياء والفقراء ، وتتكفل الإسلام لمن لا يجد القوت الذي يفتات به ، والملبس الذي يستتر به والمسكن الذي يأوي إليه أن مجتمعه الذي يعيش فيه كفيف به يوفى جميع ما يحتاج إليه من قوت أو ملبس أو مسكن ولا تتركه فريسة للجوع والعري والذل والمسكنه ، وفي هذا الحديث النبوي الشريف يصور لنا الصورة الحقيقية للمجتمع المؤمن .

عن ابي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " المؤمن للعين كالبيضان يشد بعضه

بعضا "

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب المظالم ص ١٣٥ رقم الحديث ٢٤٤٦)

وقوله عليه الصلاة والسلام : (مثل المؤمنين في توادهم تراحمهم وتعاطفهم مثل

الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)

(النيسابوي ١٤١٢هـ ، كتاب البر والصلة ص ١٩٩٩ رقم الحديث ٢٥٨٦)

وهكذا نجد منهج الدين الإسلامي في التكافل يشمل جميع طبقات المجتمع بنظره

شمولية متزنه .

(١)فلوه : المهر يفصل عن أمه (الفيومي ١٩٨٧ ص ١٨٣)

يقول الربيعة (٤٠٧ هـ)

” نرى أن الإسلام يحرص دائماً على إتاحة الفرص التي تحقق سعادة الفرد، وتجلب له الراحة وتهيء له أن يمارس الوظائف التي ألقاها الله على عاتقه وحمله إياها وفرضها عليه وذلك بما يهيئه من أسباب لضمان الكفاية المعيشية ، وما يشرعه من وسائل لإيجاد تكافل اجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم يدفع به الفرد عوزه ويسد به حاجته ويلبي به متطلبات بدنه، فينتهي إلى الاستعلاء عن ضرورات الجسد، والحفاظ على ما خصه الله به من تكريم، والاتجاه إلى تحقيق منهج الله في أرضه“ (ص ٥٣)

٦) محاربة تضخم الأموال

إن الزكاة هي الوسيلة الوحيد لمحاربة تضخم الأموال وتكدسها عند الأغنياء كما يجب أن لا تكون محصورة في طائفة محدودة بعينها غير ما نصه عليه الآيه^(١) أو تكون دوله بين الاغنياء فقط قال تعالى ﴿... وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ..﴾ سورة الحشر : ٧

٧) تربية الفرد على أن الزكاة ستر وحجاب من النار

إن الزكاة تحجب صاحبها وتستره من النار عن عدى بن حاتم قال سمعت النبي ﷺ قول : (من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمره فليفعل)

(النيسابوي ٤١٢ هـ ، كتب الزكاة ج٢ ص ٧٠٣ رقم الحديث ١٠١٦)

ومن خلال ما تقدم يتبين أن للزكاة فائده روحية وإصلاحية اجتماعية فالروحية تطهير المزكي من دنس الإثم ومرض الشح والبخل ، والإصلاحية الاجتماعية هي سد حاجة الفقراء والمساكين وتفريج هم المدنيين ، والمساعدة على تحرير الأرقاء ، وارفاد ابن السبيل وفي ذلك نشر روح الأخوة والمودة والتعاون بين المسلمين مالا يتحقق إلا بمثل هذه العبادة المالية الشرعية . (الجزائري ، ٤٠٣ هـ ص ٤٨)

(١) ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ

اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ سورة التوبة : ٦٠

وبناء على ما ذكره الشيخ الجزائري فإن الزكاة عبادة روحية فرضت على كل مسلم ملك نصاب وحال عليه الحول واستقر عنده ذلك المال .
أو حصل وقت الحصاد بالنسبة للزروع والثمار فهي عبادة ماله يستقيم بها توازن الحياه الإجتماعيه بين أفراد المجتمع غنيهم وفقيرهم ، ففرضت الزكاة تربية للنفوس البشرية على الإيثار والبذل والعطاء والتضحية والجهد في سبيل الله بالمال والنفوس والنفيس قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ

هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾

سورة التوبه : ٢٠

المبدأ الثالث : العهد والميثاق في الجهاد في سبيل الله :-

١- قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ ﴾

سورة التوبة : ١١١

٢- وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَإِلَهِهِمْ مِنَ قَبْلِ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾

سورة الاحزاب : ١٥

٣- وقال تعالى ﴿ مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾

سورة الأحزاب : ٢٣

٤- قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ

سورة الفتح : ١٠

نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

إن للجهاد في سبيل الله منزلة عظيمة في الإسلام فهو ذروته وقد عده بعض العلماء من أركان الإسلام .

يقول: ابن قاسم (١٤١٦هـ)

” والجهاد ركن من أركان الإسلام الذي لاستقامة للإسلام ولا قوام لشرائعه إلا

به “

(ج ٨ ص ٢٣)

تعريف الجهاد :

فالجهاد والمجاهدة : استفراغ الوسع في مدافعة العدو (الأصفهاني د . ت ص ٩٩)
وجاهد العدو بمجاهدة وجهادا : قاتله وجاهد في سبيل الله . وفي الحديث ” لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ” .

(البخاري ١٤١١هـ كتاب الجهاد ج ٣ ص ٢٧٧ رقم الحديث ٢٨٢٥)

والجهاد محاربة الأعداء وهو مبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل ، والمراد بالنية : اخلاص العمل لله أي أنه لم يبق بعد فتح مكة هجرة لأنها

صارت دار سلام .

وإنما هو الاخلاص فى الجهاد وقاتل الكفار ، والجهاد المبالغة واستفراغ الوسع فى الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء. (ابن منظور ١٤١٠هـ ج٣ ص ١٣٥)

وأما تعريف الجهاد شرعا فهو قتال الكفار لاعلاء كلمه الله تعالى والمعاونه والمؤازره لذلك . كما فسرہ النبي ﷺ عن عمرو بن عبسہ ؓ قال : قال رجل يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال أن يسلم قلبك لله عز وجل وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك قال فأى الإسلام أفضل ؟ قال الإيمان قال : وما الإيمان قال تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد الموت قال فأى الإيمان أفضل ؟ قال الهجرة قال فما الهجرة ؟ قال تهجر السوء قال فأى الهجرة أفضل قال الجهاد قال وما الجهاد ؟ قال : أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم قال : فأى الجهاد أفضل ؟ قال : من عقر جواده واهريق دمه قال رسول الله ﷺ ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما حجة مبرورة أو عمره) (ابن حنبل ١٤١٣هـ، ج٤ ص ١١٤) (١)

وعلى هذا التفسير للجهاد الوارد عن المصطفى ﷺ فسر الإمام العسقلاني الجهاد فقال " بذل الجهد فى قتال الكفار " (العسقلاني د . ت ج٦ ص ٢)

ولكن فى حقيقه الأمر قد يطلق الجهاد ويراد به غير قتال الكفار كما ورد فى النصوص الشرعية ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يقول : (جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه فى الجهاد فقال : أحيى والداك ؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد) (البخاري ١٤١١هـ كتاب الجهاد ج٤ ص ٢٣ رقم الحديث ٣٠٠٤)

فالمراد بالجهاد فى سبيل الله أن يبذل المؤمن فى سبيل الله كل ما يملك من جهد أو طاقة أو مال أو أي شيء يمتلكه من أجل إعلاء كلمة الله أو الاستشهاد فى سبيله تبارك وتعالى .

ولقد مدح الله المجاهدين فى سبيله وأثنى عليهم وأعد لهم منازل فى الجنة

(١) ذكر ابن تيمية أن هذا الحديث (ج٧ ص ٧) رواه محمد بن نصر المروزي وحماد بن زيد فى مجموع الفتاوى

و درجات لا يوزيها أحد من الخلق جزاء ما قدموا . حيث باعوا انفسهم رخيصة في سبيل الله .

فقد أخبر النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة " إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض " (البخاري، ١٤١١هـ كتاب الجهاد ج٣ ص٢٦٦ رقم الحديث ٢٧٩٠)

فالجهد فى سبيل الله له منزلة رفيعة وشرف عظيم لا يبلغه ولا يصل إليه إلا من من الله عليه بالثبات على الإيمان الصادق كيف لا وقد أخذ الله العهد والميثاق على المؤمنين بأدائه والقيام به إلى يوم القيامة وإن هم تخلوا عنه ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم يلقونه .

قال ﷺ " والذى نفسى بيده لا يكلم^(١) أحد فى سبيل الله .

والله أعلم بمن يكلم فى سبيله . إلا جاء يوم القيامة ، واللون لون الدم ، والريح ريح المسك "

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الجهاد ج٣ ص٢٦٩ رقم الحديث ٢٨٠٣ ولفظ له)

(النيسابوي، كتاب الإمارة ج٣، ص٤٩٦ رقم الحديث ١٨٧٦)

وغير ذلك من الأحاديث الواردة فى فضل المجاهد والاسشهاد فى سبيل الله . وليس أبلغ وأقوى مما ذكره الله تعالى فى كتابه الكريم فى فضل المجاهد حيث يقول تعالى ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الصّرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً * درجاتٍ منه ومغفرةً ورحمةً وكان الله غفوراً رحيماً ﴾

سورة النساء : ٩٥

كما ورد الوعيد الشديد لإولئك الذين لم يجاهدوا ولم يجدثوا انفسهم بالجهد فى سبيل الله .

فقال تعالى ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرِّ قل نار جهنم أشدُّ حرًّا لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ﴾

سورة التوبة : ٨١، ٨٢

وقال ﷺ (من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه مات على شعبة من النفاق)
(النيسابوي ١٤١٢ هـ كتاب الإمارة ج ٣ ص ١٥١٧ رقم الحديث ١٩١٠)
وترك الجهاد في سبيل الله سبب لنزول البلاء والذل والهوان قال ﷺ : " إذا ضمن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة^(١) ، واتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء ، فلم يرفعهم عنهم حتى يراجعوا دينهم "

(ابن قيم الجوزية ، ١٤٠٧ هـ ج ٣ ص ٨٦ ص ٨٧) وقال المحققان حديث حسن

وكذلك من ترك الجهاد في سبيل الله فقد عرض نفسه لعذاب الله مقتله
قال تعالى ﴿ إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرؤهُ شيئاً والله على كلِّ

شيءٌ قديرٌ ﴾ سورة التوبة ٣٩

يقول قطب، سيد (١٤٠٠ هـ)

" والخطاب لقوم معينين في وقت معين ، ولكنه عام في مدلوله لكل ذوي عقيدة في الله ، والعذاب الذي يتهددهم ليس عذاب الآخرة وحده فهو كذلك عذاب الدنيا . عذاب الذلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح ، والغلبة عليهم للأعداء ، والحرمان من الخيرات واستغلالها للمعادين ، وهم مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد ، ويقدمون على مذبح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الغداء .

وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل ، فدفعت مرغمة

(١) العينة: أن يبيع سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذي باعها به نقداً.

وسميت عينة لحصول النقد لصاحب العينة . زاد المعاد: تحقيق الأرنؤوط (ج ٣ ، ص ٨٧)

صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء .

(ج ٣ ، ص ١٦٥٥)

ولا شك أن ترك الجهاد يفوت كثير من مصالح الأمة الإسلامية في الدنيا من الاستشهاد في سبيل الله ، ومن رفعة شأن المسلمين وإعلاء كلمة الله ، واذلال الكفار ودفع شرهم ، وحصول الغنائم ، والترقية الإيمانية التي لا تحصل بدون جهاد في سبيل الله - وفي الآخرة من الأجر والثواب ونيل الدرجات العليا من الجنة .

أنواع الجهاد :

لما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام وقبته ، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة ، كما لهم الرفعة في الدنيا ، فهم الأعلون في الدنيا والآخرة ، فقد كان رسول الله ﷺ في الذروة العليا منه ، واستولى على أنواعه كلها فجاهد في الله حق جهاده بالقلب ، والجنان ، والدعوة ، والبيان ، والسيف ، والسنان وكانت ساعاته موقوفه على الجهاد ، بقلبه ، ولسانه ، ويده ، ولهذا كان أرفع العلمين ذكرا وأعظمهم عند الله قدرا . فكان ﷺ القدوة الصالحة لإمته ، في كل شؤون حياته . ومن هنا ندرك أن للجهاد في سبيل الله أربعة أنواع:

(جهاد النفس ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الكفار ، وجهاد المنافقين)

وقد دلت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة على هذه الأنواع .

وهذه إشارة إلى أنواع الجهاد بشيء من التفصيل

أ) جهاد النفس : للجهاد بالنفس أربع مراتب وهي :

أحدهما : أن يجاهد على تعلم الهدى ، ودين الحق الذي لا فلاح لها ، ولا

سعاده في معاشها ومعادها إلا به ، ومتى فاتها علمه ، شقيت في الدارين .

الثانية : أن يجاهد على العمل به بعد علمه ، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم

يضرها لم ينفعها .

الثالثة : أن يجاهد على الدعوة إليه ، وتعليمه من لا يعلمه ، وإلا كان من

الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبيانات ، ولا ينفعه علمه ولا ينجي من

عذاب الله .

الرابعة : أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، وأذى الخلق
ويتحمل ذلك كله الله ، . فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين
، فإن السلف مجتمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف
الحق ويعمل به ، ويعلمه ، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيما في
ملكوت السماوات . قال ﷺ : " المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله "
(ابن حنبل ١٤١٣هـ ج ٦ ص ٢١)

ب (جهاد الشيطان :

وأما جهاد الشيطان فله مرتبتان :

إحدهما : جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة
في الإيمان .

الثانية : جهاد على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات .
فالجهاد الأول : يكون بعده اليقين .

والجهاد الثاني : يكون بعده الصبر ، قال تعالى ﴿ وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما

سورة السجده : ٢٤

صَبَرُوا وَكَانُوا بآيَاتِنَا يوقنون ﴿

والإرادات الفاسدة ، واليقين يدفع الشكوك والشبهات .

سورة فاطر : ٦

قال تعالى ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴿

فأمر الله باستفراغ الوسع في محاربهته ومجاهدته .

ج ، د (جهاد الكفار والمنافقين :

وجهاد الكفار والمنافقين له أربع مراتب : بالقلب ، واللسان ، والمال ،

والنفس ، وجهاد الكفار أخص باليد وجهاد المنافقين أخص باللسان .

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿

سورة التوبة : ٧٣

وأما جهاد أرباب الظلم ، والبدع والمنكرات فله ثلاث مراتب :

الأولى : باليد إذا قدر ، فإن عجز ، انتقل إلى اللسان ، فإن عجز ، جاهد بقلبه ،

عن أبى هريره رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق "

(النيسابوي ١٤١٢هـ ، كتاب الإمارة ج ٣ ص ١٥١٧ رقم الحديث ١٩١٠)

(ابن قيم الجوزية ، ط ١٤٠٧هـ ج ٣ ص ٥ ص ١١٠ ، ١١)

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في الجهاد في سبيل الله :

١ (التمسك بالدين والمحافظة عليه

لا شك أن الجهاد الإسلامى يربى الأمة على التمسك بالدين والمحافظة عليه وعدم التفريط فيه لأن هدف الجهاد أساسا هو تعبد الناس الله وحده وعدم الاشرار به وتحريرهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد . وأخذ المنهج الحق من الدين الإسلامى الذى رسمه للبشرية بما يحقق مصالحهم فى الدنيا والآخرة .

قال تعالى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ اتَّهَمُوا فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ الظَّالِمِينَ ﴾

سورة البقرة : ١٩٣

يقول الشوكانى (١٤٠٣هـ) :

" فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هى أن لا تكون فتنة وأن يكون الدين لله ، وهو الدخول فى الإسلام ، والخروج عن سائر الأديان المخالفة له ممن دخل فى الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله" .

(ص ١٩١)

٢ (الطهارة من الذنوب والخطايا

لا شك أن الجهاد فى سبيل الله يطهر نفس المحاهد من الذنوب والخطايا ، فإذا جاهد وأخلص النية لله تعالى وانتصر نال الأجر والثواب والغنائم ، وإن قتل نال الشهادة فى سبيل الله والدرجات العليا من الجنة .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : (ما من عبد يموت له عند

الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها ، إلا الشهيد لما يرى فضل

الشهادة ، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى)

(البخارى ١٤١١هـ ، كتاب الجهاد ، ج ٣ ص ٢٦٧ رقم الحديث ٢٧٩٥)

٣) الصبر والثبات والشجاعة والإقدام

إن الجهاد يربي المؤمن على الصبر والثبات وبذل المال والنفس في سبيل الله .
فقد أمر الله تعالى : بالصد في ساحة القتال والثبات وعدم التخاذل والنود
بالفرار قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

سورة آل عمران : ٢٠٠

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

سورة الانفال : ٤٥

كما أنه يربي المؤمن على الشجاعة والإقدام ، وعدم الخوف والفرار من القتال
وقد أمر الله عز وجل المؤمنين اذا لقوا الكافرين بالإقدام وعدم التولي والفرار قال تعالى
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأُدْبَارَ * وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدْ دُبْرَهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ
أَوْ مَتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

سورة الأنفال : ١٥ ، ١٦

وقال ﷺ من حديث ابي هريرة " اجتنبوا السبع الموبقات ^(١) قالوا يا رسول الله
وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ،
وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ^(٢) وقذف المحصنات المؤمنات
الغافلات "

(البخاري ١٤١١هـ ، كتاب الوصايا ج٣ ص٢٥٦ رقم الحديث ٢٧٦٦)

٤) العدل في الأرض

الجهاد في سبيل الله سبيل لتحقيق العدل في الأرض ونبذ الجور والظلم ، وتحرير
الشعوب المسلمة من طغيان الاستعمار .

(١) الموبقات: المهلكات.

(٢) التولي يوم الزحف: أي الفرار من ساحة القتال

يقول قطب سيد (١٤٠٠هـ) :

” وحقيقة أن حماية دار الإسلام حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المنهج ، ولكنها هي ليست الهدف النهائي ، وليست حمايتها هي الغاية الأخيرة لحركة الجهاد الإسلامي ، إنما حمايتها هي الوسيلة لقيام مملكة لله فيها ، ثم لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها ، وإلى النوع الانساني بجملته . فالنوع الانساني هو موضوع هذا الدين ، والأرض هي مجاله الكبير “
(٣ ص ١٤٤١)

٥) وحدة الصف والكلمة

الجهاد في سبيل الله يربي المؤمنين على وحدة الصف ووحده الكلمه أمام

أعدائهم، قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بِنِيبٍ مُّارِضُونَ ﴾

سورة الصف : ٤

وعلى العكس من ذلك فإن التفرق والاختلاف يضعف صفهم ويفرق كلمتهم

قال تعالى ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾
سورة الأنفال : ٤٦

٦) كشف الحقائق

أن الجهاد في سبيل الله خير وسيلة لكشف حقيقة المنافقين ، قال تعالى ﴿ فَإِذَا

أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مَّحْكَمَةٌ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ

سورة محمد : ٢٠

فمعرفة المؤمنين للمنافقين فيها فوائد كثيرة فإن المنافقين هم العدو الداخلي وخطرهم عظيم وشرهم كثير ربما يفوق العدو الخارجي فإذا تمكن المؤمنون من معرفة ذلك منعوهم من الخروج معهم للقتال ولا يستمعون لما يعرضون عليهم من أباطيل وحجج لتبسيطهم عن الجهاد في سبيل الله ، يزعمون بذلك النصح والارشاد للمؤمنين.

قال تعالى ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ

سورة التوبة : ٤٧

... ﴿

٧) الاهتمام بالبنية الجسدية

إن الدين الإسلامي يهتم بالبنية الجسدية ، التي يمكن للإنسان إن يحققها عن طريق التربية الرياضية وعن طريق أيضا الألعاب المختلفة كالمصارعة ، وركوب الخيل ، والرماية ، والسباحة وغير ذلك من الألعاب التي تبني الجسم وتقوية .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير "

(النيسابوي ١٤١٣هـ ، كتاب القدر ج٤ ص ٢٠٥٢ رقم الحديث ٢٦٦٤)

فهذا الحديث يدل على الاهتمام ببناء الجسم ويمكن للناشئة الاعتناء بأجسامهم عن طريق ممارسة هذه الألعاب المختلفة حتى تجعل منهم شبابا أقويا .

قال تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ .

سورة الأنفال : ٦٠

عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " . ألا أن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي)

(النيسابوي ١٤١٢هـ ، كتاب الإمارة ج٣ ص ١٥٢٢ رقم الحديث ١٩١٧)

٨) العناية بالعتاد والسلاح وأخذ الحذر والحيطه

إن الدين الإسلامي يربي المؤمن على الاعتناء ، بالعتاد والسلاح واخذ الحذر والحيطه من العدو قال تعالى ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْيَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغفلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتَعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ .

سورة النساء : ١٠٢)

الله أكبر إنها توجيهات ربانية حكيمة يربي فيها النفوس المؤمنة على أخذ الحذر والحيطه والاعتناء بالسلاح والقوة العسكرية حتى في أوقات الشعائر التعبدية .

ما أحوج الأمة الإسلامية إلى الجهاد في سبيل الله اليوم وإلى هذا الزاد العظيم وما أحوجهم كذلك إلى نفوس مؤمنة قوية صادقة ملتزمة بالعهد والميثاق مع الله ومع عباد

الله تجاهد في سبيل الله ولا تخاف لومة لائم ، حتى تدافع عن الأمة الإسلامية وترد عنها الضعف واليأس الذى حل بها. ولن يتحقق ذلك إلا بتربية جيل وقر الإيمان فى قلبه ، وصدق قوله عمله ، وآن للأمة الإسلامية أن تصحوا من رقدتها وتستيقظ من غفوتها وأن تعي قرع الحوادث والنوازل التى حلت بها ، وان تميز بين العدو والصديق ولحيث من الطيب والهدى من الضلال .

وخالصة القول إن للجهد فى سبيل الله آثار تربوية جمّة تسعد البشرية فى حياتها الدنيا وتحقق رضا الله تبارك وتعالى وإعلاء كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله نسأل الله أن يعلي كلمة وينصر دينه وكتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام هو ولي ذلك والقادر عليه .

الفصل الخامس

المبادئ التربوية المستنبطة من آيات
العهد والميثاق في الجانب الاجتماعي

مَهَيِّدٌ

المبدأ الأول: العهد والميثاق في بر الوالدين والإحسان إليهما

المبدأ الثاني: العهد والميثاق في الإحسان إلى ذوي القربى

المبدأ الثالث: العهد والميثاق في الإحسان إلى اليتامى

المبدأ الرابع: العهد والميثاق في الإحسان إلى الفقراء والمساكين

المبدأ الخامس: العهد والميثاق في بناء العلاقات الزوجية

المبدأ السادس: العهد والميثاق في علاقة المسلم بغيره

مَهَيِّدٌ:

من عناية الدين الإسلامي بالمجتمع المسلم وبنائه نبأً محكماً اسهام آيات العهد والميثاق في معالجة كل قضاياها بما يحقق السعادة في الدنيا والآخرة . ويرز هذا الجانب من خلال الآيات التي دعت إلى تكوين الأمة الإسلامية وبناء هذا المجتمع . ففي مجال الأسرة بينت عدداً من القضايا الاجتماعية فأمرت ببر الوالدين والإحسان إليهما لأنهما السبب في الوجود بعد الله تعالى سواء كانوا مؤمنين أو كفاراً، وكذلك الحث على صلة الأرحام، والإحسان إلى اليتامى وحفظ حقوقهم، والإحسان إلى المساكين وسد حاجاتهم، وكذلك في أمر مهم يتعلق ببناء الأسرة قبل هذا وهو قضية الزواج والطلاق باعتباره قضية اجتماعية أخذ عليها الميثاق دلالة على خطورتها وأثرها في بناء المجتمع، وكذلك التعامل بين الأفراد وبين الدول وهذا له بالغ الأثر في بنية الدولة الإسلامية .

وآيات العهد والميثاق بينت هذا الجانب إيما بيان فواجب الأمة الإسلامية تربية ابنائها على هذه المبادئ الإسلامية لأنها من صميم تركيب البنية الاجتماعية وهذا ما سنعرفه عن هذه المبادئ التربوية وآثارها في هذا الفصل الذي سيكون جواباً عن السؤال الخاص به الذي يبحث عن المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في الجانب الاجتماعي.

ونبه من البداية إلى أنه ليس معنى اكتفائنا على ما سوف نذكره من الجوانب الاجتماعية في المعاملات إهمال الأمة لباقي هذه الجوانب التي لم نتعرض لها والتي وضحهما الكتاب والسنة في التمسك بها أو إهمالها لها في تربية أبنائها وتنشئهم عليها منذ الصغر .

وما دفعنا لترك هذه الجوانب إلا الالتزام بخطة البحث . في الاكتفاء بما ورد ذكره في القرآن الكريم بألفاظ العهد والميثاق .

المبدأ الأول: العهد والميثاق في بر الوالدين والإحسان إليهما:

قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ سورة البقرة : ٨٣
غير خاف على عاقل لزوم حق المنعم، ولا منعم بعد الحق سبحانه على العبد
كالولدين فقد حملت الأم بحمله أثقالاً كثيرة، ولقيت وقت وضعه مزعجات مثيرة،
وبالغت في تربيته وسهرت في مداراته، وأعرضت عن جميع شهواتها لمراداته، وقدمته
على نفسها في كل حال، وقد ضم الوالدين إلى تسببه في إيجاد، ومحبه بعد وجوده،
وشفقته في تربيته والكسب له والإنفاق عليه. العاقل يعرف حق المحسن ويجتهد في
مكافأته
(ابن الجوزي ١٤١٣هـ ص ٣٩)

فما بالك إذا كان ذلك المحسن هو الوالدان ؟

إن للوالدين حق واجب على الأولاد لما لحقهما من المتاعب والمشاق الكثيره في
سبيل تربية ابنائهم وتوفير أسباب الحياه السعيده الأئمنه لهم، فمن الواجب أن يبر الأبناء
أبائهم اعترافاً بفضلهما ورداً لجميلهما .

ولقد تنوعت وتعددت العبادات التي أمر الإسلام بالإحسان فيها ولكن من
أعظمها وأجلها قدراً وعناية فائقه في القرآن والسنة . (الإحسان إلى الوالدين)
كيف لا وقد أخذ الله العهد والميثاق في وجوب برهما والإحسان إليهما لما
لهما من أهمية عظمى في الإسلام، وإن المتتبع لآيات القرآن يجد المولى جل وعلا قد
قرن حق الوالدين بحقه سبحانه قال تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾
سورة النساء : ٣٦

... ﴿

فقد أمر سبحانه وتعالى بعبادته ونهى عن الاشرار به، وعطف حق الوالدين على
حقه تبارك وتعالى دلالة على أهمية الإحسان إليهما والبر بهما بعد توحيدته وعبادته
ولم يقدم على الوالدين أحد لأنهما السبب الذي أوجده الله ليكون مصدراً للأولاد .
يقول الرازي (د . ت)

”وإنما جعل الإحسان إلى الوالدين تالياً لعبادة الله لوجوه منها :

- ١) أنهما سبب وجود الولد كما أنهما سبب التربية، فلا إنعام بعد إنعام الله تعالى أعظم من إنعام الوالدين .
- ٢) أن إنعامهما يشبه إنعام الله تعالى من حيث إنهما لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا .
- ٣) أنه تعالى لا يمل من إنعامه على العبد وإن أتى بأعظم الجرائم فكذا الوالدان لا يقطعان عنه مواد كرمهما وإن كان غير باربهما .
- ٤) أنه لا كمال للولد إلا ويطلبه الوالد لأجله ويريده عليه، كما أنه تعالى لا يرضى لعباده إلا الخير، ومن غاية شفقة الوالدين أنهما لا يحسدان ولدهما إذا كان خيرا منهما، بخلاف غيرهما، فإنه لا يرضى أن يكون غيره خيراً منه . (ج ١ ص ٣٢٣)

وقال رضا (١٣٩٣)

” أي واحسنوا بالوالدين إحسانا تاما، لا تقصروا في شيء منه والإحسان في المعاملة يعرفه كل أحد ويختلف باختلاف أحوال الناس وطبقاتهم، فإن العاصي الجاهل ليدري كيف يحسن إلى والديه ويرضيهما ما لا يدري العالم التحرير إذا أراد أن يحدد ذلك .“ (ج ٥ ص ٨٣، ٨٤)

لهذه المكانة السامقة للوالدين أخذ الله العهد والميثاق في وجوب برهما والإحسان إليهما . والبر هو : كلمة جامعة لجميع أنواع الخير والكمال المطلوب من العبد (ابن قيم الجوزية ١٤٠٥ هـ ص ١١)

وقيل البر يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة (النورى د . ت ج ١٦ ص ١١١)

والإحسان يقال على وجهين :-

الوجه الأول : الإنعام على الغير، يقال أحسن إلى فلان .

الوجه الثاني : إحسان في فعله، وذلك إذا علم علما حسنا أو عمل عملا حسنا وعلى هذا فالإحسان أعم من الإنعام، وهو فوق العدل، وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ماله، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له فالإحسان

زائد على العدل فتحري العدل واجب وتحري الإحسان ندب وتطوع .

(الأصفهاني د . ت ص ١١٩)

ولقد ورد في القرآن الكريم حديث عن الإحسان وما يتعلق به فيما يقرب من أربعين موضعاً وما ذلك إلا دليل على أهمية ومنزلة هذا المبدأ العظيم الذي تنشأ عنه جميع جزئياته في كل مجال من المجالات التالية :-

اعتقادي، أو تعبدى أو اجتماعي، أو سلوكي ذاتي لذلك جعله النبي ﷺ ذو منزلة رفيعة فوق الإسلام والإيمان حيث عرفه ﷺ بقوله: (والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) (البخاري، ١٤١١هـ كتاب الإيمان ج ١ ص ٢٢ رقم الحديث ٥٠) وهو بهذا المعنى الواضح الذي فسره به النبي ﷺ ينبغي أن يكون الإنسان حاضر القلب مع الله تعالى مخلصاً له في كل أعماله .

ولم يذكر الإسلام أنواع البر بهما والإحسان إليهما ليحددها ويفصلها، فإن ذلك أمر لا يخضع للتفصيل والتعيين، وإنما يخضع للظروف والأحوال والحاجة والقدرة والذوق الإنساني، والعرف الاجتماعي والشعور الحي لدى الأبناء (أيوب د . ت ص ٢٤٧) إذاً لا تقوم العلاقة في الأسرة على أساس المصلحة المادية ومنطق الربح والخسارة، إنما تقوم على البذل والرعاية من الأباء، وعلى الطاعة والبر والإحسان من جانب الأبناء، فيقرن الإحسان للأبوين بعبادة الله وشكرهما بشكره، اعترافاً بفضلهما، وضماناً لهما من الإهمال والضياع في كبرهما، ورعاية للمستوى الخلقى الرفيع للأسرة .

(شديد، ١٤٠٢هـ ص ١٥٤)

إن لبر الوالدين أثراً كبيراً في حياة الإنسان الدنيوية والآخروية لهذا نجد أن الرسول ﷺ يحدد معالم بر الوالدين والإحسان إليهما وأثره في حياة الفرد المسلم الذي إذا صلح أدى إلى صلاح المجتمع .

(سويد، ١٤١٤هـ منهج التربية النبوية، ص ٢٧٥)

ومما سبق يتضح أن بر الوالدين أحب الأعمال إلى الله تعالى، فعن عبداً لله بن مسعود رضي الله عنهما قال : سألت النبي ﷺ : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال الصلاة على وقتها قال : ثم أي ؟ قال بر الوالدين . قال : ثم أي ؟ قال : الجهاد في

سبيل الله " (البخاري ١٤١١هـ، كتاب الأدب ج٧ ص ٩١ رقم الحديث ٥٩٧٠)

فمن هنا نجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أولت الوالدين عناية فائقة تعظيماً لشأنها وعلواً لقدرها قال تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَٰهٗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّكَ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴾

سورة الاسراء : ٢٤

قال القرطبي (د . ت) :

” وخص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية فيزيده ذلك إشفاقاً لهما وحناناً عليهما، وهذا كله في الأبوين المؤمنين، وقد نهى القرآن عن الاستغفار للمشركين الأموات ولو كانوا أولى قربي“

(ج ١ ص ٢٤٤)

قال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قَرِيبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾

سورة التوبة : ١١٣

وقال تعالى ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ أَلَدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴾

سورة لقمان : ١٤

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا تقبل منها واحده بغير قرينتها :-

أحدها : قول الله تعالى ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾

سورة النور : ٥٤

فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه .

الثانية : قوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾

سورة المزمل : ٢٠

فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه .

الثالثة : قول الله تعالى ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ أَلَدَيْكَ ﴾

سورة لقمان : ١٤

فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه .

(الذهبي ١٤١٣هـ ص ٣٦، ٣٧)

فعلى الأبناء أن يقوموا بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليهم من نعمة الوالدين،

وتحملهما لكثير من المشاق في سبيل سعادتهم صغاراً، ورحتهم كباراً .
وبر الوالدين والإحسان إليهما وأجب في جميع الأوقات ولكنه يتأكد برهما
والإحسان إليهما في حالة الكبر . قال تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَٰهٗٓءَا۟ءَ ٱلْوَالِدِينَ
إِحْسَٰنًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عِنْدَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا ٱفٍّ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣﴾

سورة الإسراء : ٢٣

يقول القرطبي (د . ت) في تأكيد الوصية بالوالدين في حالة الكبر
وخصوصيتهما في هذه المرحلة :-

” (١) لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره لتغير الحال عليهما
بالضعف والكبر، فالزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما
ألزمه من قبل، لأنهما في هذه الحالة قد صارا كلاً عليه، فيحتاجان
أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يلياً منه، فلذلك
خص هذه الحالة بذكر .

(٢) أن طول المكث للمرء يوجب الاستئصال للمرء عادة ويحصل الملل
ويكثر الضجر فيظهر غضبه على أبويه وتتفخ لهما أوداجه،
ويستطيل عليهما بدالة البنوة وقلة الديانة، وأقل المكروه ما يظهره
بتنفسه المتردد من الضجر، وقد أمر أن يقابلهما بالقول الموصوف
بالكرامة وهو سالم من كل عيب . (ج ١٠ ص ٢٤١)

وقال تعالى ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا ٱفٍّ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣﴾ سورة الأسراء : ٢٣
فالواجب على الأبناء أن يؤدوا حقوق آبائهم وامهاتهم كاملة وإن كان هناك
حقوق خاصة لكل منهما روعى فيها جميع الجوانب الإنسانية ولكن جعل الدين
الإسلامي حق الأم وأهميتها أعظم من حق الأب لما تعانية من جهد وتعب وسهر في
سبيل راحة أبنائها - أكثر مما يعانية الأب

سورة لقمان : ١٤

قال تعالى ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَهَنَّ ۝١٤﴾

قال تعالى ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا ... ﴾ سورة الأحقاف : ١٤

يقول قطب سيد (١٤٠٠ هـ) عند تفسيره لآية الأحقاف مبيناً أهمية الأم

فيقول:

” وتركيب الألفاظ وجرسها يكاد يجسم العناء والجهد والظنى والكلال : حملته أمه كرها . ووضعته كرها .. لكأنها آهة بجهد مكروب ينوء بعبء ويتنفس بجهد، ويلهث بالأنفاس، إنها صورة الحمل وبخاصة فى أواخر أيامه، وصورة الوضع وطلقه وألامه، ويتقدم علم الأجنة فإذا به يكشف لنا فى عملية الحمل عن جسامة التضحية ونبلها فى صورة حسية مؤثرة، إن البويضة بمجرد تلقيحها بالخلية المنوية تسعى للألتصاق بجدار الرحم، وهى مزودة بخاصة أكالة، تمزق جدار الرحم الذى يلتصق به وتأكله، فيتوارد دم الأم إلى موضعها، حيث تسبح هذه البويضة الملقحة دائماً فى بركة من دم الأم الغنى بكل ما فى جسمها من خلاصات، وتمتصه لتحيا به وتنمو، وهى دائمة الأكلان لجدار الرحم، دائمة الامتصاص لمادة الحياة .

والأم المسكينة تأكل وتشرب وتهضم وتمتص، لتصب هذا كله دماً نقياً غنياً لهذه البويضة الشرهة النهمه الأكل، وفى فترة تكون عظام الجنين يشتد امتصاصه للجير من دم الأم فتفتقر إلى الجير، ذلك أنها تعطى محلول عظامها فى الدم ليقوم به هيكل هذا الصغير، وهذا كله قليل من كثير .

ثم الوضع، وهو عملية شاقه، ممتزقه ولكن آلامها الهائلة كلها لا تقف فى وجه الفطرة ولا تنسى الأم حلاوة الثمرة، ثمرة التلبية للفطرة، ومنح الحياة نبتة جديدة تعيش، وتمتد، بينما هي تذوي وتموت، ثم الرضاع والرعاية، حيث تعطي الأم عصارة لحمها وعظها فى اللبن، وعصارة قلبها وأعصابها فى الرعاية، وهى مع هذا وذاك فرحة سعيدة رحيمة ودود، لا تمل أبداً ولا تكره تعب هذا الوليد، وأكبر ما تتطلع إليه من جزاء أن تراه يسلم وينمو، فهذا هو جزاؤها الحبيب الوحيد، فأنى يبلغ الإنسان فى جزاء

هذه التضحية، مهما يفعل، وهو لا يفعل إلا القليل الزهيد .

(ج ٦ ص ٣٢٦٢)

ثم يضيف الذهبي (١٤١٣ هـ) مبيناً فضل الأم وما تعانیه في الحمل والرضاعة والرعاية والتربية فيقول :

” حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج (١)، وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج، وأرضعتك من ثديها لبناً، وأطارت لأجلك وسناً (٢) وغسلت يمينها عنك الأذى، وأثرتك على نفسها بالغذا، وصيرت حجرها لك مهداً، وأنالتك إحساناً ورفداً، فإن أصابك مرض أو شكاية، أظهرت من الأسف فوق النهاية، وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب، ولو خيرت بين حياتك وموتها لطلبت حياتك بأعلى صوتها، هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مراراً، فدعت لك بالتوفيق سراً وجهاراً، فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك، فشبتت وهي جائعة ورويت وهي قانعة وقدمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان وقابلت أيديهما بالنسيان، وصعب لديك أمرها وهو يسير، وطال عليك عمرها وهو قصير، هجرتها ومالها سواك نصير، هذا ومولاك قد نهاك عن التأفف، ورعايتك في حقها بعتاب لطيف ستعاقب في دنياك بعقوق البنين، وفي أخراك بالبعد من رب العالمين، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد ﴿ذَلِكَ بِمَا

سورة الحج : ١٠

قَدَّمْتُ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾

كثيرك يا هذا لديه يسير
لها من جواها أنة زفير
فمن غصص منها الفؤاد يطير
وما حجرها إلا لديك سرير

لأمك حق لو علمت كثير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها

(١) حجج: أعوام (المصباح المنير للفيومي ط ١٩٨٧ م ص ٢٥٣)

(٢) الوسن: النعاس (المصباح المنير للفيومي ط ١٩٨٧ م ص ٢٥٣)

وتغريك مما تشتكيه بنفسها
وكم مرة جاعت واعطتك قوتها
فأهاً لذي عقل ويتبع الهوى
فدونك فارغب في عميم دعائها
ومن ثديها شرب لديك ثمير
وكم مرة جاعت واعطتك قوتها
وأهاً لأعمى القلب وهو بصي
فأنت لما تدعو إليه فقير

(ص ٤٠ / ٤١)

بهذا التصوير البديع من معاناة الأم نجد ما يدعم ذلك القول بأن الأم مقدمة على الأب فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال : " أمك قال : ثم من ؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أبوك "

(البخاري ١٤١١هـ، كتاب الأدب ج ٧ ص ٩١ رقم الحديث ٥٩٧١)

(النيسابوري ١٤١٢هـ، كتاب البر والصلة ج ٤ ص ١٩٧٤ رقم الحديث ٢٥٤٨)

قال العلماء وسبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاق، في حمله ثم وضعه ثم ارضاعه ثم تربيته وخدمته وتمريضه وغير ذلك .

ونقل الحارث المحاسبي إجماع العلماء على أن الأم تفضل في البر على الأب، وحكى القاضي عياض خلافاً في ذلك فقال الجمهور بتفضيلها، وقال بعضهم يكون برهما سواء . قال ونسب بعضهم هذا إلى مالك والصواب الأول لصريح هذه الأحاديث في المعنى المذكور والله أعلم .

(النووي د . ت ج ١٦ ص ١٠٢)

هذا وإن بر الوالدين والإحسان إليهما يسمو به الدين الإسلامي إلى درجات عالية لم تعهدها البشرية، حيث يستوى في الإحسان إلى الوالدين المسلم والكافر والبر والفاجر .

فالإحسان إلى الوالدين والبر بهما واجب وامثال أوامرهما وطاعتهما كذلك ما لم يترتب على ذلك معصية لله تعالى فإنما الطاعة في ذلك بالمعروف .

قال تعالى ﴿ وَإِنْ جَاهَدْكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا،

سورة لقمان : ١٥

وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا . . . ﴿

ومما يزيد في توضيح مكانة الوالدين وأهميتهما نجد أن الإحسان إليهما مقدم على الجهاد في سبيل الله وبعض الأمور التعبدية الأخرى، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد قال: "أحي والدك؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد"

(البخاري، ١٤١١هـ، كتاب الجهاد ج٤ ص٢٣ رقم الحديث ٣٠٠٤)

(النيسابوري ١٤١٢هـ، كتاب البر والصلة ج٤ ص١٩٧ رقم الحديث ٢٥٤٩)

ومن هذا الحديث ندرك شأن الوالدين واهتمام الدين الإسلامي برعايتهم ورد جميل صنعهما واعترافاً بفضلهما بعد الله عز وجل، فمن نكث العهد والميثاق ولم يسر بوالديه فقد توعده الله بالعذاب والحزى والندامة والشقاء في الدنيا والآخرة، بل وعد عقوقهما من الكبائر فعن أنس بن مالك ؓ قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر أو سئل عن الكبائر فقال: (الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين)

(البخاري، ١٤١١هـ، كتاب الأدب ج٧ ص٩٤ رقم الحديث ٥٩٧٧)

(النيسابوري ١٤١٢هـ، كتاب الإيمان ج١ ص٩٢ رقم الحديث ٨٨)

فالواجب على المربين أن يبينوا للناشئة فضل الوالدين، وما ينبغي تجاههما من الرعاية والعناية والرحمة والتواضع والطاعة لهما في غير معصية الله تبارك وتعالى فإذا ربو على ذلك أصبح مجتمعاً متماسكاً تسوده الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة الواحدة وما ذلك إلا نتيجة للتربية الإسلامية التي أهتمت بجميع الشرائح البشرية في المجتمع وخصوصاً الأباء والابناء.

ولا تغفل جانب الإنفاق عليهما والدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما.

عن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقه جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ، كتاب الوصية ج٣ ص١٢٥ رقم الحديث ١٦٣١)

ومن البر أيضاً مواصلة وزيارة من كان يصلهما في حياتهما وبعد مماتهما.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن من أبر البر

صلة الرجل أهل ودأبيه بعد أن يولى)

(النيسابوري ، ١٤١٢ هـ كتاب البر والصلة ج٤ ص ١٩٧٩ رقم الحديث ٢٥٥٢)

ولما للوالدين من منزلة عظيمة في الإسلام حفظ لهما حقوقهما كاملة، ولم يهمل الدين الإسلامي شأن الوالدين في جميع شئون حياتهما، من الرعاية والعطف والتواضع واللين الجانب والمعاملة الحسنة إن كانوا غير مسلمين، والإنفاق عليهم والكلمة الطيبة ثم الدعاء لهما وصلة ودهما، فالوالدين أهمية بالغة يجب على المرين أن يبينوا ويوضحوا هذه المكانة وهذه المنزلة في اذهان الناشئة وأن يغرسوا في قلوبهم بر الوالدين والإحسان إليهما ويربوهم على ذلك، لأن السعادة الحقيقية والرضى التام، هو في بر الوالدين والإحسان إليهما، لأن رضى الله عز وجل في رضى الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين فالقائمين على التريه هم أولى الناس بغرس هذا المبدأ العظيم سواء كان ذلك عن طريق الترغيب وبيان ما أعدده الله تعالى للبار با أبويه من النعيم في الجنة أو عن طريق الترهيب، وذلك ببيان ما أعدده الله تعالى من العذاب الأليم في النار لمن عتق والديه، ونكث العهد مع الله تبارك وتعالى في عدم بر والديه والإحسان إليهما .

والسبب في تعظيم أمر الوالدين أنهما السبب الظاهري في ايجادته وتعيشه ولا يكاد تكون نعمة أحد من الخلق على الولد كنعمة الوالدين عليه، لا يقال عليه : إن الوالدين إنما طلبا تحصيل اللذة لأنفسهما، فلزم منه دخول الولد في الوجود ودخوله في عالم الآفات والمخلوقات، فأبي إنعام لهما عليه، وقد حكى أن واحدا من المتسمين بالحكمة كان يضرب أباه ويقول : هو الذى أدخلنى فى عالم الكون والفساد وعرضنى للموت والفقز والعمى والزمانه، وقيل لأبي العلاء المعري ولم يكن ذا ولد - ما نكتب على على قبرك فقال : اكتبوا عليه :

هذا جناه أبى عليّ وما جنيت على أحد

وقال فى ترك الزوج وعدم الولد :

وتركت فيهم نعمة العدم التى

ولو أنهم ولدوا لنا لوالوا شدة

سبقت وصدت عن نعيم العاجل

ترمى بهم فى موبقات الآجل

وقال ابن رشيقي :

قبح الله لذة لشقانا نالها الأمهات والآباء

نحن لولا الوجود لم نألم الفقد فإيجادنا علينا بلاء .

(الألويسي ١٤٠٥هـ - ١٥٥٥هـ ص ٦١)

وهذه الأقول تصدر من أصحابها عندما تنحرف النفس عن الفطرة السوية التي خلق عليها وغاب عن إدراك نور الحق والهدى ولم يستعمل عقله ويسخره في معرفة الحكمة من خلق الله عز وجل للإنسان، قال تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾

سورة النور : ٤٠

فواجب الأبناء نحو آبائهم أن يقوموا بحقوقهم كاملة غير منقوصة.

وإليك جملة من هذه الحقوق :

(١) أنه إذا احتاج أحدهما إلى الطعام أطعمه، وإذا احتاج إلى الكسوة كساه إن قدر عليه .

(٢) إذا احتاج أحدهما إلى خدمته خدمه، وإذا دعاه أجابه وحضره .

(٣) إذا أمره بأمر أطاعه، ما لم يأمر بالمعصية والغيبة .

(٤) أن يتكلم معه باللين، ولا يتكلم معه بالكلام الغليظ .

(٥) أن لا يدعو باسمه، وأن يمشی خلفه .

(٦) أن يرضى له ما يرضاه لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه .

(٧) أن يدعو له بالمغفرة، كما يدعو لنفسه . (السمرقندي، ١٤١٣هـ - ١٢٨٨هـ)

وخلاصة القول في كيفية برهما والإحسان إليهما بطاعتها فيما يأمران به ما لم يأمر. محضون وتقديم أمرهما على فعل النافلة، واجتناب ما نهيا عنه والإنفاق عليهما، والتوخي لشهواتهما، والمبالغة في خدمتهما، واستعمال الأدب والهيبة لهما، فلا يرفع الولد صوته على صوتهما ولا يُحدِّق إليهما، ولا يدعوهما باسمهما، ويمشى وراءهما، ويصبر على ما يكرهه مما يصدر عنهما (ابن الجوزي، ١٤١٣هـ - ٥٧٧هـ)

وبذلك نغرس مبدأ بر الوالدين والإحسان إليهما في نفس الناشئ ليقوم بذلك

خير قيام في حياته، والبر الوالدين والإحسان إليهما آثار تربوية واضحة يدركها الفرد المجتمع

وإليك بعض هذه الآثار :

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في بر الوالدين والإحسان إليهما:

(١) البركة في الرزق والزيادة في العمر

إن لبر الوالدين والإحسان إليهما أثر في حياة الأبن حينما يقوم بخدمتهما ورعايتهما وذلك بالبركة في الرزق والزيادة في العمر، قال ﷺ : (إن البر والصلة يطيلان الأعمار، ويعمران الديار، ويكثران الأموال ولو كان القوم فجارا)

(ابن الجوزي ١٤١٣هـ ص ٥٦)

وعن سهل بن معاذ عن أبيه قال قال النبي ﷺ : (من بر والده طوبى له زاد الله

في عمره)

(البخاري ١٤٠٩هـ، ج ١ ص ٢٢، حديث رقم ٢٢، ابن الجوزي ١٤١٣هـ، ص ٥٣ صححه الحاكم

روافقه الذهبي)

وعلى العكس إن كان الابن عاقاً لهما .

قال كعب الأحبار : ” إن الله ليعجل هلاك العبد اذا كان عاقاً لوالديه ليجعل له

العذاب، وإن الله ليزيد في عمر العبد اذا كان بار بوالديه ليزيده برا وخيرا“.

(الذهبي ١٤١٣هـ ص ٣٧)

(٢) قبول الدعاء وتفريج الكرب

لبر الوالدين أثر في قبول دعاء الابن سواء كان في حالة رخاء أو في حالة شدة وكرب، فعند ما يتجه إلى الله بالدعاء فإن الله يقبل منه ذلك . عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : (بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال أحدهم : اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية صغار كنت أرعى

عليهم، فإذا رحمت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي وإنه نأى بي الشجر فما أتيت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب، فقممت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء، وقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيتها بمائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها بها فلما قعدت بين رجلها قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقممت عنها، اللهم فإن كنت تعلم أنني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها، ففرج لهم فرجة وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز فلما قضي عمله قال: أعطني حقي فعرضت عليه حقه، فتركه ورغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرراً وراعيها فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلمني وأعطني حقي، فقلت: اذهب إلى ذلك البقر وراعيها فقال: اتق الله ولا تهزأ بي فقلت: إني لا أهزأ بك، فخذ ذلك البقر وراعيها فأخذه فأنطلق بها، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج ما بقي ففرج الله عنهم).

(البخاري ، ١٤١١هـ كتاب الأدب ج٧ ص٩٢ رقم الحديث ٥٩٧٤)

(٣) تحقيق رضا الرب سبحانه وتعالى

إن بر الوالدين من أسباب رضا الله تعالى عن الولد، عن عبد الله بن عمرو قال:

قال رسول الله ﷺ: (رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد)

(الترمذي ١٤١٣هـ، كتاب البر والصلة ج٤ ص٣١١ رقم الحديث ١٩٠٠،

ابن الأثير ١٤٠٣هـ ج١ ص٤٠١ رقم الحديث ١٩٤، وقال عنه حديث صحيح)

(٤) سبب من أسباب دخول الجنة

إن بر الوالدين سبب من أسباب دخول الجنة. عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: (الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فاضع ذلك الباب أو

(احفظه)

(الترمذي ١٤١٣هـ كتاب البر والصلة، ج٤ ص ٣١١ رقم الحديث ١٩٠١ حديث صحيح)
وهناك آثار تربوية عظيمة لهذا المبدأ تتمثل في ترابط وتكاتف أفراد المجتمع وظهور
المودة والمجبة بينهم وأن البر بالأبناء سبب في بر الأبناء كما أن برهما والإحسان إليهما
من أسباب التوفيق والسداد في الدنيا والآخرة.

المبدأ الثاني: العهد والميثاق في وجوب الإحسان إلى ذوي القربى

١- قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ

يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ سورة البقرة: ٢٧

٢- وقال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدِينَ

إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ

٣- وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ

أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ سورة الرعد: ٢٥

لصلة الأرحام شأن عظيم في الدين الإسلامي، ولما له من أهمية عظيمة فقد أخذ الله العهد والميثاق في وجوب صلة الأرحام والإحسان إليهم، لأن الأرحام والأقارب، يشكلون قاعدة من قواعد البنية الاجتماعية، التي متى سادها الترابط والتلاحم والاتلاف جنت ثمارها يانعة في الحياة الدنيا قبل الآخرة.

ولقد عني القرآن الكريم عناية فائقة على وجوب الإحسان إلى ذوي القربى، والأرحام وقبل الحديث عن أهمية صلة الأرحام، لا بد من الإشارة إلى تعريف ذوي الأرحام فالأرحام وذوي القربى: هم الأقارب الذين تجمعهم رحم واحدة، سواء كانوا من جهة الأب أو من جهة الأم، من غير فرق بين المحرم وغيره، ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة.

(القرطبي د. ت. ج ٧ ص ٧) (الأصفهاني د. ت. ص ١٩٦)

والرَّحْم: بفتح الراء وكسرهما يطلق على الأقارب وهم من بينه وبين الآخر نسب سواء كان يرثه أو لا وسواء كان ذا محرم أم لا وقيل هم المحارم فقط، والأول هو المرجح، لأن الثاني يستلزم خروج أولاد الأعمام وأولاد الأخوال من ذوي الأرحام وليس كذلك.

(العسقلاني د. ت. ج ١٠ ص ٤١٤)

والأرحام هم الأقارب سواء كانوا من جهة الوالد أو من جهة الوالدة، كالأجداد والجدات والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، والإخوة والأخوات وأولادهم .
فقد وصى الله تبارك وتعالى برعايتهم والإحسان إليهم فقال تعالى ﴿ . . وَأُولُوا الْأَرْحَامِ

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ . . ﴾ سورة الأحزاب : ٦

وصلة الرحم هي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوى النسب والأصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن تعدوا وأساءوا، وضد ذلك قطيعة الرحم .
(الصنعاني ١٤١٤هـ ج ٤ ص ٣١١)

عناية القرآن بصلة الأرحام :

لقد حث عز وجل في آيات كثيرة على صلة الأرحام وعدم قطيعتها لما لها من أهمية عظيمة فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

سورة النساء : ١

يقول الطبري (د . ت):

” واتقوا الله أيها الناس الذي إذا سألت بعضكم بعضاً سألت به، فقال السائل للمسؤول ” أسألك بالله، وأنشدك بالله، وأعزم عليك بالله وما أشبه ذلك .

يقول تعالى ذكره : فكما تعظمون أيها الناس ربكم بألستكم حتى تروا أن من أعطاكم عهده فأخفركموه فقد أتى عظيماً، فكذلك فعظموه بطاعتكم إياه فيما أمركم، واجتنبكم ما نهاكم عنه واحذروا عقابه من مخالفتكم إياه فيما أمركم به أو نهاكم عنه “ .
(ج ٤ ص ٢٢٥)

وقال تعالى ﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴾

سورة الإسراء : ٢٦

وقال تعالى أيضا ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ

سورة الروم: ٣٨

يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿

ولقد أثبت الله عز وجل في كتابه الكريم حقوقاً لذوي الأرحام تتمثل في دعوتهم إلى الخير، ومواصلتهم وحسن العشرة معهم، والإنفاق عليهم، وسد حاجاتهم، والعطف عليهم، ورعاية شؤونهم ومصالحهم، والقرآن يجعل لذوي القربى حقاً في الاعناق يوفى بالإنفاق، فليس تفضلاً من أحد على أحد، إنما هو الحق الذي فرضه الله، ووصله بعبادته وتوحيده، الحق الذي يؤديه المكلف فيبرئ ذمته، ويصل المودة بينه وبين من يعطيه، وإن هو إلا مؤد ما عليه الله .

(قطب، سيد، ١٤٠٠هـ ج٤ ص ٢٢٢٢)

يقول القرطبي (د . ت):

” والحق في هذه الآية ما يتعين من صلة الرحم وسد الخلة، والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه“ .

(ج١ ص ٢٤٧)

والسبب العقلي في تأكيد رعاية هذا الحق أن القرابة مطنة الاتحاد والألفة والرعاية والنصرة فلو لم يحصل شيء من ذلك اشق على القلب وأبلغ في الإيلام والايحاش والضرورة وكلما أقوى كان دفعه أوجب فهذا وجبت رعاية حقوق الاقارب .

(الرازي/ د . ت ج٣ ص ١٦٦)

أقسام الرحم :

والرحم قسمان : عامة، وخاصة :-

القسم الأول :

الرحم العامه : هي : رحم الدين، ويجب مواصلتها بملازمة الإيمان والمحبة لأهله ونصرتهم والنصيحة وترك مضارتهم، والعدل بينهم، والنصفة في معاملتهم، والقيام بحقوقهم الواجبه : كتمريض المرضى وحقوق الموتى : من غسلهم والصلاة عليهم ودفنهم وغير ذلك من الحقوق المترتبة لهم .

القسم الثاني :

الرحم الخاصة : وهى رحم القرابة من طرفى الرجل أبيه وأمه، فيجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة، كالنفقة، وتفقد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاهدتهم فى أوقات ضرورتهم، وتتأكد فى حقهم حقوق الرحم العامة حتى إذا تراخمت الحقوق بدئ لأقرب فالأقرب .
(القرطبي د . ت ج ١٦ ص ٢٤٧ ، ص ٢٤٨)

وقد مدح الله تعالى الواصلين لإرحامهم وأقاربهم ووعدهم بالجنة والعق من النار هم ومن صلح من الأباء والأزواج والأولاد .

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾
﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ ﴾ ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾
سورة الرعد : ٢١ - ٢٣

إنها الطاعة الكاملة والاستقامة الواصلة والسير على السنة فكل ما أمر الله به أن يوصل يصلونه بلا انحراف ولا التواء، والصلة المطلقة التى لا تنقطع .

(قطب، سيد، ١٤٠٠هـ ج ٤ ص ٢٠٥٧)

فصلة الأرحام من الصفات الحميدة، والتوجيهات الربانية الحكيمة التى يمثلها ويتصف بها هم المؤمنون الذين يوفون بالعهد ولا ينقضوا الميثاق ويصلون ما أمر الله به أن يوصل .

فكما مدح الله الواصلين فقد ذم القاطعين لإرحامهم وأقاربهم وتوعدهم بالخسران فى العاجل والآجل والعذاب الشديد فى الآخرة جزاءً وفاقاً .

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَنْتَقِضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾
سورة الرعد : ٢٥

وقال تعالى ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ

لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصرهم ﴿﴾ سورة محمد : ٢٢ ، ٢٣

فحرم الدين الإسلامي قطعية الرحم، وعدّ قاطع الرحم ناقض للعهد والميثاق استحق اللعنة من الله - الطرد والابعاد من رحمته سبحانه - وسوء الدار في الآخرة . وفي هذا توجيه رباني حكيم، يحذر فيه الغافل من القطيعة، ويمدح العاقل لصلته لإرحامه، لأن الرحم اشتكت إلى الله عز وجل فبين منزلتها ومكانتها منه تبارك وتعالى، كما يدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن، فقال له : مه قالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : ألا ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يارب قال : فذاك)

قال أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا

أرحامكم﴾ سورة محمد : ٢٢ (البخاري، ١٤١١هـ كتاب التفسير ج٦ ص ٥٠ رقم الحديث ٤٨٣٠)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب البر والصلة، ج٤ ص ١٩٨٠ ص ١٩٨١ رقم الحديث ٢٥٥٤) وهذا نهى عن الافساد في الأرض عموماً وعن قطع الأرحام خصوصاً بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض، وصلة الأرحام وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال .

فمن خلال ما تقدم يتضح عناية القرآن الكريم بصلة الأرحام والإحسان إليهم .

عناية السنة النبوية بصلة الأرحام :

لقد حفلت السنة النبوية المطهرة بمدح الواصلين لإرحامهم والثناء عليهم، ويبين الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أن صلة الأرحام سبب لدخول الجنة ويدل على هذا حديث أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن رجلاً قال : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ؟ فقال : القوم ماله ماله ؟ " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أرب ماله)

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتوتى الزكاة وتصل

الرحم ذرها قال : كانه كان على راحلته .)

(البخاري ، ١٤١١هـ كتاب الأدب ج٧ ص٩٥ رقم الحديث ٥٩٨٢)

(النيسابوري ١٤١٢هـ كتاب الإيمان ج١ ص١٧٤ رقم الحديث ١٢)

وفى حديث آخر يقول ﷺ : " يا أيها الناس أفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام .

(ابن ماجه ١٤١٣هـ كتاب الاطعمه ج٢ ص١٠٨٣ رقم الحديث ٣٢٥١ وقال الألباني حديث صحيح)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (الرحم معلقة

بالعرش، تقول : من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله)

(البخاري ١٤١١هـ كتاب الأدب ج٧ ص٩٦ رقم الحديث ٥٩٨٨)

(النيسابوري ١٤١٢هـ كتاب البر والصلة ج٤ ص١٩٨١ والفظ له رقم الحديث ٢٥٥٥)

فهذه الاحاديث وغيرها تبين منزلة صلة الأرحام ومكانتهم فى السنة النبوية

المطهرة .

وأن هذا الترابط والصلة بين الأرحام من الأسباب التى تدخل الناس الجنة، فالترية الحقه هى التى تعنى بتنشئة الأطفال منذو نعومة أظفارهم على مواصلة أقرائهم، وزيارتهم والاتصال بهم والسؤال عن أحوالهم، فإذا ربوا على ذلك صغاراً اعتادوا عليه كبار فواجب المربى أن يغرس هذا المبدأ العظيم فى قلوب الناشئة، وذلك ببعض التطبيقات العملية، كأن يقوموا بزيارة لبعض الاقارب، والإطمئنان على أحوالهم، وشرح النصوص الشرعية من الكتاب والسنة التى توضح أهمية صلة الأرحام وذوى القربى .

[بالمدح والثناء للواصلين لإرحامهم وأقربائهم، والذم والتشيع للقاطعين لهم]

وصلة الأرحام من المبادئ الإسلامية الأولى، والأصول الكبرى التى طلع بها هذا الدين على الدنيا منذ اليوم الأول الذى صدع فيه رسول الله ﷺ بالدعوة، مبنياً أسسها، موضحاً معالمها، فهى إذا من أبرز المعالم واوضحها فى شريعة هذا الدين .

(الهاشمى ١٤١٤هـ ص١٠٦)

فالواجب على المسلم أن يصل أرحامه ويحسن إليهم ويسأل عن أحوالهم سواء

كانوا فقراء أو اغنياء يحسنون إليه أو يسئون إليه .

فالواجب أن يعاملهم بالحسنى، وينفق عليهم إن كانوا فقراء ويبذل كل ما فيه سعادتهم وسد حاجتهم، لأنهم بحاجة إليه في هذه الظروف أكثر من أي وقت مضى، كما يدل على ذلك حديث زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالت : (كنت في المسجد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " تصدق ولو من حليكن " . وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها .

فقلت : لعبد الله سل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيجزئ عني أن أنفق عليك وعلى أيتام في حجري من الصدقة ؟ فقال : سلي أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي، فمر علينا بلال فقلنا : سل النبي صلى الله عليه وسلم أيجزئ عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري .

وقلنا لا تخبر بنا . فدخل فسأله فقال : من هما ؟ قال زينب . قال : أي الزينب ؟ قال : امرأة عبد الله . قال : نعم، ولها أجران : أجر القرية، وأجر الصدقة (البخاري ن ١٤١١هـ كتاب الزكاة ج٢ ص١٥٥، ص١٥٦ رقم الحديث ١٤٦٦) (صحيح مسلم ١٤١٢هـ كتاب الزكاة ج٢ ص٦٩٤، ص٦٩٥ رقم الحديث ١٠٠٠)

التحذير من قطيعة الأرحام :-

قطيعة الرحم من الذنوب العظيمة التي تستوجب لصاحبها العقوبة في الدنيا والآخرة، فعن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم

(ابو داود ١٤١٣هـ كتاب الأدب ج٥ ص٢٠٨ رقم الحديث ٤٩٠٢ ، الترمذي ١٤١٣هـ كتاب صفه القيامه، ج٤ ص٦٤، رقم الحديث ٢٥١٣ ابن الأثير ١٤٠٣هـ ج١١ ص٧١٦ رقم الحديث ٩٣٨٢ وقال حديث صحيح)

وقال صلى الله عليه وسلم " لا يدخل الجنة قاطع "

(البخاري ، ١٤١١هـ كتاب الأدب ج٧ ص٩٥ رقم الحديث ٥٩٨٤) (النيسابوري ١٤١٢هـ كتاب البر والصلة ج٤ ص١٩٨١ رقم الحديث ٢٥٥٦)

فالواجب على المسلم أن يصل اقربائه ويتفقد احوالهم ويزورهم، ولو لم يقوموا بزيارة ولم يبادلوا نفس الشعور . فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسئثون إليّ واحلم عنهم ويجهلون عليّ فقال : " لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملل^(١) ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك "

(النيسابوري ١٤١٢هـ، كتاب البر والصلة ج٤ ص ١٩٨٢ رقم الحديث ٢٥٥٨)

بهذا التشبية الحكيم والتمثيل البديع من الرسول الكريم ﷺ ما ينبغي أن يكون على المحسن وأن يداوم على ذلك في مواصلة اقاربه، وهم على صنيعهم من الاساءة والجهل عليه ينالهم الأثم العظيم جزاء بما كانوا يعملون .

وفي هذا الحديث الشريف فوائد تربوية جمه تتمثل فى : الصبر على أذى ذوي القربى والمداومه والاستمرار على مواصلتهم، وتقديم كل ما يحتاجون إليه، وعدم رد السيئة بمثلها ولكن رد السيئة بالحسنة، فهى الحكمة التى تعالج بها كثير من المواقف فى مثل هذه الأفعال فإن الواصل الحقيقي هو الذى إذا قطعت رحمه وصلها، فلا ينتظر المقابل بالمثل إذا وصله ذو أرحامه وصلهم وإذا قطعوه قطعهم، بل يلزمه مواصلتهم على كل حال وعدم مقاطعتهم بأي حال من الأحوال . سواء كانوا ذو الأرحام يصلونه أم لا، فقد صح عن النبي ﷺ قوله : " ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها "

(البخاري ١٤١١هـ، كتاب الأدب ج٧ ص ٩٧ رقم الحديث ٥٩٩١)

وقد ذكر السمرقندى (١٤١٣هـ) :

عشر خصال محمود فى صلة الأرحام :-

- ١ (أن فيها رضا الله تعالى، لأنه أمر بصلة الرحم .
- ٢ (إدخال السرور والفرح عليهم : أي على ذوي الأرحام .

(١) الملل: الرماد الحار (الفيروزآبادي ص ١٣٦٧)

- ٣) أن فيها فرح الملائكة، لأنهم يفرحون بصلة الرحم .
 - ٤) أن فيها حسن الثنا من المسلمين عليه .
 - ٥) أن فيها إدخال الغم على إبليس عليه اللعنة .
 - ٦) زيادة في العمر .
 - ٧) بركة في الرزق .
 - ٨) سرور الأموات، لأن الأباء والأجداد يسرون بصلة الرحم والقراءة .
 - ٩) زيادة في المودة، لأنه إذا وقع له سبب من السرور والحزن يجتمعون إليه، ويعينونه على ذلك، فيكون له زيادة في المودة .
 - ١٠) زيادة الأجر بعد موته لأنهم يدعون له بعد موته كلما ذكروا إحسانه .
- (ص ١٣٨)

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في الإحسان إلى ذوي القربى

لصلة الأرحام آثار تربوية جمّة يجنيها الواصل في الحياة الدنيا قبل الآخرة

١) البسط في الرزق والزيادة في العمر

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : " من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأله في أثره فليصل رحمه)

(البخاري ، ١٤١١ هـ كتاب الأدب ج٧ ص ٩٦ رقم الحديث ٥٩٨٦)

(النيسابوري ، ١٤١٢ هـ كتاب البر والصله ج٤ ص ١٩٨٢ رقم الحديث ٢٥٥٧)

وقد شرح الإمام النووي (د . ت)

ينسأ مهموز أي يؤخر والأثر الأجل لأنه تابع للحياة في أثرها، وبسط الرزق توسيعه وكثرته أو قيل البركه فيه .

وأما التأخير في الأجل ففيه سؤال مشهور هو :-

ان الآجال والأرزاق مقدره لا تزيد ولا تنقص " فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " ؟ .

وأجاب العلماء بأجوبه صحيحة منها :-

أ) أن هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك .

ب) أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك وهو من معنى قوله تعالى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ فيه النسبة إلى علم الله اعلى وما سبق به قدره ولا زيادة بل هي مستحيلة، وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة وهو مراد الحديث .

ج) أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يميت . (ج-١٦ ص ١١٤)

وعلى كل فلصلة الأرحام أثرها التربوي حيث تربي الإنسان على العطف والمحبة والمؤدّه طلباً لمغفرة الله ورضونه .

٢) تقوية أواصر المحبة والقضاء على الخلافات

إن صلة الأرحام تربي الإنسان على حسن الخلق وتقوية أواصر المحبة والمؤدّه بين ذوي الأرحام . عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) (البخاري ، ١٤١١هـ كتاب الأدب ج٧ ص ١٠٢ رقم الحديث ٦٠١١)
يقول (الهاشمي ١٤١٤هـ) :

” صلة الرحم عند المسلم الحق الواعي لا تكون ببذل المال فحسب بل هي أعم من ذلك وأوسع، إنها تكون ببذل المال للفقراء من ذوي القربى وتكون بالزيارة التي توطد أواصر القرابة وتوثق وشائج المحبة وتمد في التواد والتراحم، وتكون بالتناصح والعون والإيثار، والانصاف، وتكون بالكلمة الطيبة، والوجه الطلق واللقاء الحسن والابتسامة الودودة، وتكون في غير ذلك من أعمال الخير التي تفجر ينابيع الحب في القلوب، وتبسط رواق الإلفة والتراحم والتكافل على ذوي الرحم والقرابة“ (ص ١٥٨)

إن صلة الأرحام سبب من الأسباب التي تقضي على الخلاف والفرقة بين أفراد

المجتمع المسلم .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام)
(البخاري ١٤١١هـ كتاب الأدب ج٧ ص١١٦ رقم الحديث ٦٠٦٥)

فالصلة تقضي على أسباب القطيعة كاجتناب الحسد، والتباغض والتدابير وكل قول أو فعل يؤدي إلى القطيعة، فالإنسان يربي نفسه على التمسك بالخصال الحسنة ونبذ الخصال السيئة وصلة الأقارب تكون بأي نوع من أنواع الصلات مادية، أو روحية، أو حسب طاقته، والصلة الروحية والعاطفية في متناول الجميع وربما تكون أحسن في تدعيم العلاقات من غيرها .

فتكون الصلات مثلاً بتقديم العون والمساعدة والهدايا، وانبات، وغير ذلك من النواحي المادية، كما تكون بحسن الخلق وبسط القول والزيارة والكلمة الطيبة .

(هريدي، ١٣٩٨هـ ص١٤٩)

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا المبدأ أن الدين الإسلامي لم يقف عند هذا النوع من الصلات لذوى القربى الذين اسلموا بل أمر بصلة الأقارب غير المسلمين - ومن هنا يتضح شمول وتكامل وسمو الدين الإسلامي - لما فيه من تأليف قلوبهم فربما تكون تلك الصلة سبباً في دخولهم في الإسلام قال تعالى ﴿لَأَيُّهَاكُمُ اللَّهُ الَّذِينَ لَمْ يِقَاتِلُوكُمُ فِي الدِّينِ وَلَمْ يَخْرُجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ سورة الممتحنة : ٨

” إن الإسلام دين سلام، وعقيدة حب، ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظله، وأن يقيم فيه منهجة، وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين، وليس هناك من عائق يحول دون اتجاهه هذا، إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله، فأما إذا سالموهم فليس الإسلام براغب في الخصومة ولا متطوع بها كذلك ! وهو حتى في حالة الخصومة يستبقى أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة، انتظاراً لليوم الذي يقتنع فيه خصومه بأن الخير في أن ينضوا تحت لوائه الرفيع، ولا يئس الإسلام من هذا اليوم الذي تستقيم فيه النفوس، فتتجه هذا الاتجاه المستقيم .

(قطب، سيد، ١٤٠٠هـ، ج٦ ص ٣٥٤٤)

وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : أتتني أمي رابعة في عهد النبي ﷺ، فسألت النبي ﷺ أصلها ؟ قال : نعم قال ابن عينية : فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ

اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾
سورة الممتحنة : ٨

(البخاري ، ١٤١١هـ، كتاب الادب ج٧ ص ٩٤ رقم الحديث ٥٩٧٨)

٥) تربية الفرد على أن صلة الأرحام يقوي الإيمان

إن في صلة الأرحام دليل على صدق الواصل وإخلاصه وقوة إيمانه .

فعن ابي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)

(البخاري ١٤١١هـ كتاب الأدب ج٧ ص ١٣٦ رقم الحديث ٦١٣٨)

كما أن صلة الأرحام سبب من الأسباب التي تدخل الجنة والفوز برضا الله ورحمته ومثوبته في الدنيا والآخرة قال ﷺ : (لا يدخل الجنة قاطع)

(البخاري ، ١٤١١هـ كتاب الأدب ج٧ ص ٩٥ رقم الحديث ٥٩٨٤)

(النيسابوري ١٤١٢هـ كتاب البر والصلة ج٤ ص ٩٨٠ رقم الحديث ٢٥٥٦)

وقوله ﷺ لمن سأله عن عمل يدخله الجنة ويبعده عن النار فقال : (تعبد الله لا

تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم ...)

(البخاري ١٤١١هـ كتاب الأدب ج٧ ص ٩٥ رقم الحديث ٥٩٨٣)

وقوله ﷺ : (يا أيها الناس أفشوا السلام، وصلوا الأرحام واطعموا الطعام،

وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)

(ابن ماجه، ١٤١٣هـ ، كتاب الأطعمة ج٢ ص ١٠٨٣ رقم الحديث ٣٢٥١، وقال الألباني حديث

صحيح)

٤) التعاون والتناصح

إن صلة الرحم تربي الإنسان على خلق روح التعاون والتناصر والتناصح

قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّوا﴾

سورة المائدة : ٢

٥) الحذر الدائم من العقوبة الرادعة

إن في قطيعة الأرحاك وعدم صلتهم عقوبة رادعة وعاجلة في الدنيا قبل الآخرة لقوله ﷺ : (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم)

(أبوداود ١٤١٣ هـ كتاب الأدب ج ٥ ص ٢٠٨ رقم الحديث ٤٩٠٢،

الترمذي ١٤١٣ هـ كتاب صفة القيامة ج ٤ ص ٦٤ رقم الحديث ٢٥١١،

ابن الأثير ١٤١٣ هـ ج ١١ ص ٧٢٦ رقم الحديث ٩٣٨٢ وقال حديث صحيح)

فلو أن كل إنسان تربى على صلة الأرحام لعمت الرحمة وتواصل كافة افراد

المجتمع .

المبدأ الثالث العهد والميثاق في الإحسان إلى اليتامى :

(١) قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ

سورة البقرة : ٨٣

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ﴿

(٢) وقال تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَّا نَكْفِ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّوْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿

سورة الأنعام : ١٥٢

(٣) وقال تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ

سورة الإسراء : ٣٤

الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿

إن الدين الإسلامي اهتم بجميع افراده وغرس في نفوسهم مبدأ التلاحم والترابط ليكونوا وحده واحده كما الجسد الواحد كما صور ذلك لني ﷺ بقوله : " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضواً تداعى نه سائر الجسد بالسهر والحمى)

(البخاري ١٤١١هـ كتاب الأدب ج٧ ص١٠٢ رقم الحديث ٦٠١١)

ومما عني به الدين الإسلامي قضية الإحسان إلى الإيتام باعتبار قضيتهم، قضية انسانية اجتماعيه، اخلاقية، أهتم بها الدين الإسلامي وعالج كل قضاياها من المهد إلى أن يصبح اليتيم رشيداً يحسن التصرف في أمواله .

وقبل الحديث عن عناية الدين الإسلامي بالإحسان إلى اليتامى لابد من التعريف بهم، ومعرفة على المراد من ذلك، وواجب المجتمع نحوهم .

فاليتيم : لغة الانفراد، يقال درة يتيمة تشبيها على أنه انقطع مادتها التي خرجت

منها وقيل، بيت يتيم تشبيها بالدرة اليتيمة . (الفيروزآبادي ١٤١٥هـ ص١٥١٣)

(الاصفهاني د . ت ص٥٧٥)

وفى الاصطلاح : من انفرد عن يرعاه، وقالوا : يتيم الإنسان من افتقد أباه

ويتم الحيوان من افتقد أمه، ويقيم الطير من افتقد أبويه .

ولعل السبب في هذا التقسيم هو نوع الحياة في الأجناس وتربية الأولاد ولنسل، ويمتد في الانسان ألى بلوغ الرشد .
(سالم، ١٤٠٨هـ ص ١٤٧)

ويقول ابن العربي (د.ت)

” واليتيم هو اسم لكل من لا أب له من الآدميين حتى يبلغ الحلم، فإذا بلغ خرج من هذا الإسم وصار من جملة الرجال“
(ج ١ ص ٣٠٨)

عناية القرآن الكريم بالأيتام والإحسان إليهم :

لقد أهتم القرآن الكريم برعاية الأيتام وكفالتهم والعناية بشؤونهم وأولى ذلك جانباً من الأهمية وما ذلك إلا لمكانة الأيتام في الدين الإسلامي، وقد أخذ الله العهد والميثاق في وجوب الإحسان إليهم ورعاية شؤونهم ومن تتبع آيات القرآن الكريم يجد ذلك واضحاً جلياً، أن اليتيم نال من الأهتمام والعناية ما لم يناله أي فرد من أفراد المجتمع، وهذا منهج الإسلام في تكافل المجتمع، ولقد أمر الله تعالى بالإحسان إلى اليتامى ورعايتهم وبذل الحنان لهم وإكرامهم وحسن تربيتهم وتأديبهم والعطف عليهم رحمة من الله تعالى بهم لأن اليتيم بحاجة إلى حنان وعطف يعوضه عما فقدته من حنان الأبوه، فإذا لم يرحم ويحسن إليه ويربى تربية صالحة خشية عليه أن ينحرف في دنياه فيكون أذى وشرا للمجتمع ولنفسه .
(العسيري، ١٤١٢هـ ص ٢٨٩)

لهذا جعل الدين الإسلامي كفالة اليتيم إلى الذين يتوخى فيهم الخير والصلاح ليقوموا بواجب الرعاية والعناية والتربية، ولما للأيتام من أهمية عظيمة فقد قرن حقهم بحقوق الوالدين قال تعالى ﴿ وَاَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ

سورة النساء : ٣٦

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ﴿٣٦﴾

واليتيم ضعيف في الجماعة، بفقدته الوالد الحامى والمربى، ومن ثم يقع ضعفه على الجماعة المسلمة على أساس التكافل الاجتماعي الذى يجعله الإسلام قاعدة نظامه الاجتماعي، وكان اليتيم ضائعاً في المجتمع العربى فى الجاهلية، وكثرة التوجيهات

الواردة في القرآن وتنوعها وعنفها أحياناً تشي بما كان فاشياً في ذلك المجتمع من ضيعة اليتيم فيه، حتى انتدب الله يتيماً كريماً فيه فعهد إليه بأشرف مهمه في الوجود، حين عهد إليه بالرسالة إلى الناس كافة، وجعل من آداب هذا الدين الذي بعثه به رعاية اليتيم وكفالاته .

(قطب سيد، ١٤٠٠هـ ج ٣ ص ١٢٣٢)

قال تعالى ﴿الْمَجْدُكَ يَتِيمًا فَأَوْى﴾

سورة الضحى : ٦

وقال تعالى ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾

سورة الضحى : ٩

وفي هذا توجيه رباني حكيم إلى إكرام اليتيم وعدم تعنيفه أو القسوة عليه، لذلك كان على كافل اليتيم أن يراعى أحوال اليتيم ويوصى من يخلفه بأن يقوم برعاية خير قيام .

إن مراقبة الأيتام ودراسة مشاعرهم تنبئ عن أمور مهمة جداً، ومن الجدير بمتبعي الدراسات النفسية بالسير والملاحظة، أن يخصصوا فصلاً في دراساتهم لدراسة أحوال الأيتام النفسية، وما يسرهم ويواسيهم، وما يؤلمهم ويقهرهم، حتى تكون هذه الدراسات الواقعية هادياً لكل من يتولى كفالة الأيتام، والإشراف على تربيتهم وتأديبهم وتنشئتهم، وحتى لا يكونوا في المستقبل جانحين، أو معقدين بالحدود والكراهية، والسخط على كل شيء من حولهم .

(الميداني ١٤١٣هـ ج ٢ ص ٤٦)

ولعظم شأن رعاية الأيتام وكفالتهم نجد أن الشرائع السابقة اهتمت بذلك وأخذت عليها العهود والمواثيق في الإحسان إليهم وحسن تربيتهم .

قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ

سورة البقرة : ٨٣

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾

ومما يدل على عناية الله سبحانه وتعالى بشأن الأيتام ما رُود في سورة الكهف قال تعالى ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ

صبراً ﴿﴾

سورة الكهف : ٨٢

ولقد سلك القرآن منهجاً فريداً لمعالجة قضية الأيتام ورعايتهم :-

(١) فأمر سبحانه وتعالى بحفظ أموالهم وإدارتها بما يعود عليهم بالنفع والعمل بما فيه صلاحهم وتنمية أموالهم حتى يبلغوا سن الرشد قال تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالطُوهُمْ فَاخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴿﴾

سورة البقرة : ٢٢٠

سواء كان الإصلاح من الجانب الإنساني في الحفاظ على إحساسه وشعوره،

كقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿﴾ سورة الضحى : ٩

أو من الجانب الاجتماعي في إطعامه وإسكانه كقوله تعالى ﴿ وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ

حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿﴾

سورة الإنسان : ٨

وغير ذلك من الجوانب المحيطة به

(٢) ويقول سبحانه محذراً من أكل مال اليتيم وعدم دفعها إليه حتى يبلغ سن

الرشد قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴿﴾

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿﴾ سورة النساء : ٢

وقال أيضا ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتِيمَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ

وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ

إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿﴾

سورة النساء : ٦

وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴿﴾

سورة النساء : ١٠

قال الرازي (د . ت) :

” ما اشد دلالة هذا الوعيد على سعة رحمته وكثرة عفوه وفضله لأن اليتامى لما بلغوا فى الضعف إلى الغاية القصوى بلغت عناية الله بهم إلى الغاية القصوى ...

ثم قال ومن الجهال من قال : صارت هذه الآية منسوخة وهو بعيد لأن هذه الآية فى المنع من الظلم وهذا لا يصير منسوخاً . بل المقصود أن مخالطة أموال اليتامى إن كان على سبيل الظلم فهو من أعظم أبواب الأثم وإن كان على سبيل التربية والإحسان فهو من أعظم أبواب البر كما فى قوله، ﴿وإن تخالطوهم﴾ .“ (٩ ص ٢٠٠ - ٢٠٢)

٣) وصيته تبارك وتعالى لإصحاب الحقوق إعطاء اليتيم حقه عند حضور قسمة التركة . وذلك على سبيل التكافل الاجتماعي وتوثيق عرى المحبة والمودة بين أعضاء المجتمع المسلم .

قال تعالى ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا

مَعْرُوفًا ﴿

سورة النساء : ٨

فأوجب الله تعالى للأيتام حظاً عند حضور قسمة الميراث مع مراعاة مشاعرهم ومخاطبتهم بالمعروف، طلباً لتحقيق الآجر والثواب .

٤) الأمر بالاقساط إلى الأيتام من النساء عند إرادة الزواج .

قال تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَالَبَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّا مَنَعْتُمْ وَثَلَّثَ

وَرُبَّعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ بَدَأَ اللَّهُ يُرِيدَ أَنْ يَمُنَّ بِالنِّسَاءِ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ لِيَتَقَرَّبَ إِلَىٰ حُبِّهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿

سورة النساء : ٦

فهذه الآية تدل دلالة واضحة على الأقساط إلى يتامى النساء والإحسان إليهن عند إرادة الزواج كما دل على ذلك حديث عائشة رضی الله عنها حينما سأها عروة ابن الزبير عن قوله تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾ فقالت يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها تشركة فى ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن

يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق فأمرُوا أن ينكحوا ما طالب لهم من النساء سواهن، قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تَوْتُوهُنَّ مَا كَبَّ لهنَّ وَتَرغُبُونَ أَنْ تَنكحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾
سورة النساء: ١٢٧

قالت عائشة: وقوله تعالى ﴿وَتَرغُبُونَ أَنْ تَنكحُوهُنَّ﴾ رغبة أحدكم عن يتيمة حين تكون قليلة المال والجمال قالت: فنهوا أن ينكحوا عمن رغبا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال.
(البخاري ١٤١١هـ كتاب التفسير ج٥ ص٢٠٩ رقم الحديث ٤٥٧٤)

فهذا الحديث له أثر تربوي عظيم تتجلى فيه عناية المولى جل وعلا بيتامى النساء، ومعالجته لقضية تزويج اليتيمة بعد رضاها وإعطائها حقوقها والإقساط في معاملتها.

٥ (ومن رعاية الله سبحانه وتعالى أن حث على الإحسان إلى الأيتام ومدح المحسنين إليهم . قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾
سورة البقرة: ٢١٥

وقال تعالى ﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ سورة الانسان: ٨

وقال تعالى ﴿أَوْ اطْعَمُوا فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٥٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ سورة البلد: ١٥، ١٤

وقال تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾
سورة البقرة: ١٧٧

ففي الآية الأولى: يأتي الجواب صريحاً من الله عز وجل على أن الإحسان إلى

الأيام من ابرز جهات الإنفاق بعد حق الوالدين والأقربين .

وفي الآية الثانية : بين سبحانه أن من خير أعمال الأبرار في الآخرة أنهم كانوا يطعمون الطعام على حبه وعلى رغبة فيه لكل من المساكين والأيتام، والأسرى، ذلك لوجه الله تعالى خوفاً من شر ذلك اليوم ولكن جزاء اعمالهم من الإحسان إلى المساكين واليتامى والأسرى أن لقاءهم الله نضرة وسرور، فجزاء ما قدموا وجدوا .

وفي الآية الثالثة : بين تعالى في هذه الآية صورة من صور الرحمة التي عمل على غرسها في نفوس المؤمنين وذلك لما للرحمه باليتيم من حسن الرعاية الالهيه يوصى المؤمنين بالرحمه والشفقه والإحسان إلى اليتيم والمسكين ولا يقوم بالإحسان إليهم إلا من وفر الإيمان في قلبه بدليل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾

سورة البلد : ١٧، ١٨

وفي الآية الأخيرة : ذكر الله تبارك وتعالى جوانب البر الاعتقادية والعملية، ونجد أن من أخص جوانب البر العملية إيتاء المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين، فنجد إيتاء المال لليتيم وكل ما يحتاجه قسيم للإيمان وهذا يجعله في أعلى درجات جوانب البر بعد الإيمان بالله تعالى . وهكذا نجد شمولية القرآن الكريم وعنايته بقضية الأيتام ومعالجة لجميع قضاياهم فهذه العناية بالأيتام تدل على عظم أمر الأيتام عند الله تعالى .

٦ (تأنيب الله لمن يسيء إلى الأيتام، فلا يكرمونهم ولا يحث بعضهم بعضاً على اطعامهم . قال تعالى ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ * كَلَّا بَلْ لَّا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾

سورة الفجر : ١٥ - ١٨

ففي هذه الآيات الكريمة أمر من الله عز وجل بإكرام اليتيم والإحسان إليه، والعطف على المسكين والإحسان إليه كذلك .

قال تعالى ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا

قَوْلًا سَدِيدًا﴾

سورة النساء : ٩

هذه الآية وعظ للأوصياء، أي أفعالوا باليتامى ما تحبون أن يفعل بأولادكم من بعدكم .وقالت طائفة : المراد جميع الناس، أمرهم باتقاء الله فى الأيتام وأولاد الناس، وإن لم يكونوا فى حجورهم، وأن يسددوا لهم القول كما يريد كل واحد منهم أن يفعل بوالده بعده (القرطبي د . ت ج ه ص ٥١)

فليتق الله الذين يتولون أمور اليتامى بأن يحافظوا على أموالهم ويكرمهم ويحسنوا معاملتهم وتربيتهم وتعليمهم وإرشادهم وتوجيههم إلى ما فيه صلاح أحوالهم فى العاجل والآجل بالحكمة والموعظة الحسنة .

٧) نصيب الأيتام من الغنائم والفى . من رعاية الله للأيتام أن أوجب لهم نصيباً من مال الغنيمة^(١) والفى^(٢) كذلك فأوجب لهم من الغنائم من أصل الخمس الذى لله وللرسول

قال تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ

السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

سورة الأنفال : ٤١

قال ابن عاشور (د . ت) :

” واليتامى لا يعطون إلا إذا كانوا فقراء ففائدة تعيين خمس الخمس لكل صنف من هؤلاء أن لا يحاصهم فيه غيرهم من الفقراء والشأن فى اليتامى فى الغالب أن لا تكون لهم سعة فى المكاسب فهم مظنة الحاجة ولكنها دون الفقر فجعل لهم حق فى المغنم توفيراً عليهم فى إقامة شؤونهم، فهم من الحاجة المالىة أحسن حالاً من المساكين، وهم من حالة المقدرة

(١) الغنيمة : ما حصل من الكفار بقتال (الشريبي، ١٤١٥هـ - ج ٤ ص ١٤٥ - ١٥٥)

(٢) الفى: ما حصل من الكفار بلا قتال وإيجاف خيل وركاب المرجع السابق

اضعف حالاً منهم فلو كانوا اغنياء بأموال تركها لهم آباؤهم فلا يعطون من

الخمس شيئاً .“ (ج ٦ ص ١٢ - ١٣)

وقوله تعالى ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ سورة الحشر : ٧

فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه كيلا يبقى مأكله يتغلب عليها الاغنياء

ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والاراء ولا يصرفون منه شيئاً إلى هذه الاصناف .

(ابن كثير ١٤٠٧ هـ ج ٤ ص ٣٥٨)

وكما عنى القرآن بشأن اليتامى فقد عنيت بذلك السنة النبوية المطهرة، عن سهل

بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا) وقرن بإصبعه

السبابة والوسطى . (البخاري ١٤١١ هـ كتاب الأدب ج ٧ ص ١٠١ رقم الحديث ٦٠٠٥)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو

كهايتين فى الجنة) أشار مالك بإصبعه السبابة والوسطى .

(النيسابوري ١٤١٢ هـ، كتاب الزهد ج ٤ ص ٢٢٨٧ رقم الحديث ٢٩٨٣)

يقول الذهبي (١٤١٣ هـ) :

” وكفالة اليتيم هى القيام بأمواله والسعي فى مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية

ماله إن كان له مال، وإن كان لا مال له انفق عليه وكساء ابتغاء وجه الله تعالى وقوله

فى الحديث : له أو لغيره - أى سواء كان اليتيم قرابه أو أجنبياً منه، فالقرابة مثل أن

يكفله جده أو أخوه أو أمه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه والأجنبي

من ليس بينه وبين قرابه .“ (ص ٥٩)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اجتنبوا السبع الموبقات ” قالوا يا رسول

الله وما هن ؟ قال : ” الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق

وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات

(الغافلات) (البخاري ، ١٤١١ هـ كتاب الوصايا ج ٣ ص ٢٥٦ رقم الحديث ٢٧٦٦)

(النيسابوري ، ١٤١٢ هـ كتاب الإيمان ج ١ ص ٩٢ رقم الحديث ٨٩)

والسنه النبوية المطهره حافلة بالأحاديث الشريفه التي تحت على إكرام اليتيم وكفاله والإحسان إليه، وبين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم عظم الأجر والثواب المترتب على ذلك .

وهكذا نجد عناية الدين الإسلامي بشأن الأيتام .

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في الإحسان إلى اليتامى :

(١) خلق الرحمة في النفس الإنسانية

إن الإحسان إلى اليتيم يربي في الإنسان خلق الرحمة والعطف على الآخرين فقد أكد الله تعالى في القرآن الكريم بالوصية لیتيم والعناية به وكذلك السنة النبوية المطهرة ونهى القرآن عن قهر الیتيم وشدد الوعيد على أكل ماله تشديداً خاصاً، والسر في ذلك هو كون الیتيم لا يجد في الغالب، من تبعته عاطفة الرحمة الفطرية على العناية بتربيته والقيام بحفظ حقوقه والعناية بأموره الدينية والدينية، فإن الأم إن وجدت تكون في الأغلب عاجزة، لا سيما إذا تزوجت بعد ابيه، فأراد الله وهو أرحم الراحمين، بما أكد من الوصية بالایتام أن يكونوا من الناس بمنزلة أبنائهم يربونهم تربية دينية ودينية لئلا يفسدوا، ويفسد بهم غيرهم، فينتشر الفساد في الأمة فتتحل انحلالاً . فالعناية بتربية الیتامى هي الذريغة لمنع كونهم قدوة سيئة لسائر الأولاد والتربية لا تيسر مع وجود هذه القدوة، فإهمال الیتامى إهمال لسائر أولاد الأمة .

(القاسمي ١٣٩٨هـ ج٢ ص ١٨٠)

(٢) الحفظ والصيانة

إن الإحسان إلى الیتيم يربي الإنسان على الحفظ والصيانة والبذل والعطاء ومواساة المحتاجين والتعاون والتكاتف والتكامل بين أفراد المجتمع والقيام بواجب الأمانة الملقاة على عاتق الأوصياء بل وعلى كل مسلم وهذا له انعكاساته التربوية في نفس الیتيم فيحقق بذلك الثقة والاعتزاز بالنفس والصيانة من الانحراف والانغماس في مهاوي الراوي.

٣) توثيق الصلات بين أفراد المجتمع

إن الإحسان إلى اليتيم والعطف عليه يربي الإنسان على المحبة والمودة وتوثيق الصلات بين أفراد المجتمع واحترام مشاعر الآخرين وعدم القسوة والغلظة في القول والمعاملة فالإحسان إلى اليتيم والقيام بشؤونه دليل على تكاتف أفراد المجتمع وترابطه لأن التربية الإسلامية شاملة لجميع أفراد المجتمع تربية وعظفاً وحناناً.

٤) مرافقة الأنبياء في الجنة

إن كفالة اليتيم والإحسان إليه لا شك أنها من الأسباب الموصلة إلى الجنة ومرافقته ﷺ قال: (أنا وكافل اليتيم في الجنة وقرن بأصبعيه السبابة والوسطى)
(البخاري ١٤١١هـ كتاب الأدب ج ٧ ص ١٠١ رقم الحديث ٦٠٠٥)
فضلا عما يحققه هذا المبدأ العظيم من العزة والكرامة والرجولة وحسن القيادة والإرادة في تنمية مال اليتيم وتطويره، وتنشئة اليتيم وتربيته على محبة الآخرين وإحساسه بالمكانة الاجتماعية بحيث لا يكون فرداً منبوذاً في المجتمع .

المبدأ الرابع العهد والميثاق في الإحسان إلى الفقراء والمساكين:

قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وِبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ

مُعْرِضُونَ ﴿ سورة البقرة: ٨٣

الفقير والمساكين والفرق بينهما :

الفقير هو : من له بلغة من العيش، ويطلق على الكسير الفقار ومن يشتكي فقاره، وهي جمع فقره وبقاره بفتحهما ما نتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى عجب الذنب، ومنه الفاقرة وهي الداھية أو المصيبة التي تكسر فقار الظهر .

(الزبيدي، ١٤١٤هـ ج٧ ص٣٥٤، ٣٥٦، رضا ١٣٩٣هـ ج١٠ ص٤٩٠ الفيروزآبادي، ١٤١٥هـ ص٥٨٨)

والمساكين : هو : من لا شيء له، أوله مالا يكفيه، وهو من اسكنه الفقر أي قلل حركته والذليل، والضعيف .

(الفيروزآبادي، ١٤١٥هـ ص١٥٥٦)

الفرق بينهما :

ذهب العلماء في تعريف الفقراء والمساكين والفرق بينهما إلى تعاريف عديدة اذكر منها :

١ (الفقير المحتاج، والمساكين من أذله الفقر أو غيره من الأحوال .

(الفيروزآبادي، ١٤١٥هـ ص٥٨٨)

٢ (وقيل لا فرق بينهما، والله تعالى وصفهم بهذين الوصفين، والمقصود شيء واحد .

٣ (قال احمد بن عبيد الفقير أسوأ حالا من المساكين، لأن الفقير أصله في اللغة المفقور الذي نزع فقره من فقار ظهره، وفسر الشافعي الفقراء بالزمنى الذين لا حرفه لهم وأهل الحرف الذين لا تقع حرفتهم من حاجتهم موقعاً، والمساكين : السؤال ممن له حرفة تقع موقعاً ولا تغنيه وعياله .

(الرازى د . ت ج١٦ ص١٠٧، الفيروزآبادي ١٤١٥هـ ص٥٨٨)

٤ (الفقراء : هم من لا يجدون شيئاً أو يجدون بعض كفايتهم، والمساكين هم الذين يجدون أكثرها أو نصفها .
(البهري ١٤٠٥هـ ص ١٥٠)

٥ (وقيل بين الفقراء والمساكين عموماً وخصوصاً فإذا ذكر أحدهما وحده يراد به ما يعم الآخر، فاللفظان مختلفان في مفهومهما متحدان فيما يصدقان عليه.
(رضا ١٣٩٣هـ ج ١٠ ص ٤٩٣)

وقال الطبري (د . ت) :

” وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب قول من قال : الفقير هو ذو الفقر والحاجة ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس والتذلل لهم في هذا الموضع .

والمساكين : هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم، وأيدرايه بأن لفظة المسكنة عند العرب الذلة كما قال تعالى ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ “ سورة البقرة : ٦١
يعنى بذلك الهون والذلة لا الفقر .
(ج ١٠ ص ١٥٩)

وأرى أنّ بين الفقير والمساكين عموماً وخصوصاً كما ذهب إلى ذلك رشيد رضا في تفسيره بحيث إذا ذكرا في أية واحدة يكون معنى الفقير هو المحتاج ومع حاجته يتعفف عن مسأله الناس والمساكين هو المحتاج المتذلل الذى يسأل الناس ويتعرض للطلب وإذا ذكر أحدهما دون الآخر فيراد به ما يراد به الآخر والله اعلم .

عناية القرآن بمبدأ الإحسان إلى المساكين :

لقد عني القرآن الكريم بقضية الإحسان إلى الفقراء والمساكين وأرشد إلى ذلك فى آيات كثيرة باعتبارهم أحد مكونات البنية الاجتماعية . بل وأوجب سبحانه لهم ما يسد حاجاتهم نصيباً مفروضاً فالدين الإسلامى عد الإحسان إليهم والبذل والعطاء لكل ما يكفيهم من الإيمان فقد قرن الله الإحسان إليهم بالإيمان به تبارك وتعالى ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ . . . ﴾

سورة البقرة : ١٧٧

فالبذل والعطاء للفقراء والمساكين يحفظهم كثير من الانحرافات الخلقية التي كثر وانتشرت في العالم، وكان سببها عدم إعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم فالفقراء والمساكين لهم حق واجب من الزكاة التي هي أحد أركان الإسلام، والتي تعد من أهم اسباب التكافل الاجتماعي قال تعالى ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ

السَّيْلِ﴾

سورة الاسراء : ٢٦

فبالإنفاق عليهم تطيب نفوسهم وتطهر قلوبهم من الغل والحقد لإرباب الأموال . ومما يدل على عناية القرآن الكريم بقضية الفقراء والمساكين أن جعل لهم نصيب من مال التركة عند حضورهم قسمة الأموال قال تعالى ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

سورة النساء : ٨

كما أوجب لهم نصيباً من مال الغنيمة والفئ قال تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ . . .﴾

سورة الانفال : ٤١

وقال تعالى ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾

سورة الحشر : ٧

ولقد مدح الله تعالى الذين يعطفون على الفقراء والمساكين ويحسنون إليهم . قال

سورة الانسان : ٨

تعالى ﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾

وبالمقابل فقد ذم الذين لا يحسنون إليهم ولا يقومون باطعامهم .

قال تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّنِّ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ

سورة الماعون : ١ - ٣

المسكين﴾

وقال تعالى ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ سورة الفجر: ١٧-١٨

فإذا كان أصحاب الشمال والجاهلون، والمكذبون لا يحضون على طعام المسكين ولا يعنون بامرهم فإن الواجب على المؤمنين والمصدقين بالدين أن يعملوا على إعانة

الفقراء والمساكين ولو يجمع المال من غيرهم حتى لا يقعوا تحت طائلة الوعيد، وهى طريقة الجمعيات الخيرية والمؤسسات الاجتماعية التى تنشأ لمصلحة الفقراء والمساكين وذوي الحاجة . ولم يكتف القرآن بالدعوة إلى إطعام المسكين ورعايته، والتحذير من إهماله وإضاعته، بل زاد على ذلك فجعل فى عنق كل مؤمن حقاً للمسكين، أن يحض غيره على إطعامه والقيام بحقه، وجعل ترك هذا الحق قرين الكفر بالله العظيم وموجباً لسخطه، وعذابه فى الآخرة فى نار الجحيم قال تعالى ﴿ خذُوهُ فَعَلُوهُ ۗ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۗ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ۗ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۗ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۗ ﴾ سورة الخاقا : ٣٠ - ٣٤ (القضاوى : ١٤٠٧ هـ ص ١٢٢، ١٢٣)

فلاحظ عناية القرآن الكريم بالفقراء والمساكين فى آيات كثيرة تمثل فى الترغيب فى الإنفاق عليهم وسد حاجاتهم قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خَلَّةَ وَلَا شَفْعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ سورة البقرة : ٢٥٤ وقال تعالى ﴿ إِنْ تَرْضَوْا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يَضْعَفْ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ سورة التباين : ١٧ فهذه الآيات وما شابهها فى القرآن الكريم تحث على البذل والعطاء والإنفاق فى سبيل الله سواء كان ذلك زكاة مفرضة أو صدقة من صدقات التطوع ينفقها العبد فى وجوه البر والإحسان، ومن أعظمها فائدة وأثراً واضحاً فى نفوس المحتاجين ما كان للفقراء والمساكين قال تعالى ﴿ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُوتُوهاَ الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ سورة البقرة : ٢٧١

أو الترهيب من عدم الإنفاق قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ سورة التوبة : ٣٤

وكما عني القرآن بهذه الشريحة من المجتمع فقد عنيت السنة النبوية المطهرة فقد حث ﷺ على البذل والعطاء والإحسان إلى الفقراء والمساكين باعتبارهم من مكونات

اجتمع الواحد الذين تربطهم رابطة واحده .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (البخاري ١٤١١هـ، كتاب الأدب ج٧ ص ٧٠٢ رقم الحديث ٦٠١١)

وقال ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " ثم شبك بين أصابعه)

(البخاري ١٤١١هـ، كتاب الأدب ج٧ ص ٧٠٦ رقم الحديث ٦٠٢٦)

فالأمة الإسلامية معينة بهذه الاحاديث الصحيحة الصريحة التي تدل على الترابط

والتعاون والمواسة بين أفراد المجتمع .

ولقد عنون البخاري في صحيحه باباً بعنوان الساعي على المسكين . وذكر فيه

فضل الإحسان إلى المسكين، فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (الساعي

على المرأة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال : كالقائم لا يفتر

وكالقائم لا يفطر) (البخاري ١٤١١هـ، كتاب الأدب ج٧ ص ١٠١ رقم الحديث ٦٠٠٧)

وعن صفون بن سليم يرفعه إلى النبي ﷺ قال : الساعي على الأرملة والمسكين

كالمجاهد في سبيل الله - أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل)

(البخاري ١٤١١هـ : كتاب الادب ج٧ ص ١٠١ رقم الحديث ٦٠٠٦)

فكان ﷺ يهتم بقضية الفقراء والمساكين والعناية بشئونهم ولهذا العناية أثر عظيم

في تربية ﷺ لصحابته وغرس هذا المبدأ في نفوسهم، فكانوا يسارعون في الإحسان

إلى المحتاجين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية ابتغاء رضوان الله تبارك

وتعالى.

ومن توجيهاته ﷺ أن حث على الإحسان إليهم وسد حاجاتهم ليظفر بذلك

الآجر من قام عليهم، ثم ينشأ مجتمع متماسكاً تسوده المحبة والإتلاف .

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في الإحسان إلى الفقراء والمساكين:

(١) الإيثار والتضحية

إن الإحسان إلى المساكين يربي الإنسان على الإيثار والتضحية وتقديم المال على

رغبة فيه لمن يحتاجه، وعدم تعلقه بحب المال . قال تعالى ﴿ وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ
مَسْكِينًا وَتَيْمًا وَأَسِيرًا ﴾
(سورة الانسان : ٨)

٢) التكافل الاجتماعي

إن الإحسان إلى المساكين يربى الجماعة على صورة من صور التكافل الاجتماعي، فالعطف عليهم وإعطائهم حقوقهم من الزكاة وغيرها يطهر نفس المزكي من الطمع ويطهر المال لنماء والزيادة ويطهر نفس المسكين من الحقد والحسد وفي هذا راحة نفسية وشعور فياض في تقديم المساعدات لهؤلاء المحتاجين من فقراء ومساكين وغيرهم. وكما يعطي صورة واضحة عن مدى الترابط بين أفراد المجتمع

٣) دلائل صدق الإيمان

إن في الإحسان إلى الفقراء المساكين دلائل على صدق الإيمان، فتقديم المساعدات المالية والعينية يقيهم الانحراف الخلقى وسد الاحتياجات للمساكين يربي فيهم أيضاً الاعتماد على النفس وهناك آثار تربوية أخرى مثل حب البذل والعطاء في سبيل الله وخلق الرحمة في النفس البشرية وتحقيق الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة، فالإحسان إلى المساكين والعطف عليهم من أسباب دخول الجنة.

المبدأ الخامس: العهد والميثاق في بناء العلاقات الزوجية

قال تعالى ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وءاتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتناً وإثماً مبيناً﴾ * وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً

غليظاً ﴿

سورة النساء: ٢٠، ٢١

لا شك أن الأسرة هي اللبنة الأولى في تكوين المجتمع، بصلاحتها واستقامتها وحسن تربيتها وتوجيهها يصلح المجتمع ويستقيم سلوكه، وبانحرافها في أخلاقها وسلوكها وسوء تربيتها يفسد المجتمع بأسره .

ولهذا نجد العناية الفائقة في كتاب الله العزيز بكل ما يتعلق بشؤون الأسرة من أحكام ابتداء وانتهاء، وفصل ذلك تفصيلاً محكماً، فشرع سبحانه الزواج ورجب، لأن الزواج هو أساس بناء الأسرة قال تعالى ﴿وأنكحوا الأيمنى منكم والصالحين من عبادكم

وإمائكم﴾ ﴿

(سورة النور: ٣٢)

وقوله ﷺ : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءه فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)

(البخاري ١٤١١هـ كتاب النكاح ج٦ ص١٤٣ رقم الحديث ٥٠٦٥)

(ومسلم ١٤١٢هـ كتاب النكاح ج٢ ص١٠١٨ رقم الحديث ١٤٠٠)

فالزواج أمر شرعي حث عليه الشارع الحكيم، به تتكون الأسر وتنشأ المجتمعات فالدين الإسلامي يتميز بالواقعيه والعملية، ويلبي جميع متطلبات الإنسان الحياتيه كما أنه يهذب غرائزه وطباعه وفق المنهج الذي رسمته التربية الإسلامية .

وقد صور القرآن الكريم العلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة تصويراً بديعاً يشيع في جو الأسرة المحبة والمودة والرحمة لتسعد حياتهما فلا يعترها تصدع في أركانها أو خلل في بنائها . قال تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل

بينكم مودةً ورحمةً﴾ ﴿

(سورة الروم: ٢١)

يقول (الهاشمي ١٤١٥ هـ)

” إنها الصلة الربانية في أوثق وشائجها، يعقدها رب العزة بين نفسي الزوجين المسلمين، فإذا هما يلتقيان على الحب والتفاهم والتعاون والتناصح، فيوسسان الأسرة المسلمة التي تدج فيها الطفولة، وتفتح، أكمام العقول، فإذا الأسرة المسلمة لبنة صلبة في بناء المجتمع المسلم الراشد، وإذا أفرادها أعضاء منتجون بناءون متعاونون على البر والتقوى، متسابقون متنافسون في الصالحات من الأعمال“ (ص ١٤٤، ١٤٥)

فالزواج سنه من سنن الله تعالى الإجتماعية، ندب إليه الإسلام ورغب فيه، كما أنه سنه من سنن الانبياء والمرسلين قال تعالى ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذريةً وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب ﴾ (سورة الرعد : ٣٨)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فإنني أصلي الليل أبداً . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) . (البخاري ١٤١١ هـ كتاب النكاح ج٦ ص ١٤٢ رقم الحديث ٥٠٦٣)

(النيسابوري ١٤١٢ هـ كتاب النكاح ج٢ ص ١٠٢٠ رقم الحديث ١٤٠١)

وفي هذا الحديث الشريف يوجه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ويخبرهم بمنهجه في الحياة . دون تشديد أو تفريط .

الصفات الواجب توافرها في كل من الزوجين :-

إن اختيار الطريق يريح القاصد في سيره نحو الوصول إلى مقاصده ومطالبه، وفي حقيقة الأمر أن مقاصد الناس ومشاربهم خصوصاً في هذا العصر يختلف من شخص لآخر، فمن أهم الميادين التي يظهر فيها اختلاف الناس وتباينهم كما تظهر قوة الرجل

الشخصية نحو اختيار شريكة حياته .

وتظهر ايضاً شخصية الولي في زواجه لوليته وإليك بعض الصفات التي أرشد إليها النبي ﷺ في اختيار الزوج أو الزوجة :-

أ - صفات الزوج :

١ (أن يكون ذا خلق ودين، عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ :
إذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض
وفساد عريض) (الترمذى ١٤١٣هـ كتاب النكاح ج٣ ص ٣٩٤ رقم الحديث ١٠٨٤)
(ابن الاثير، ١٤٠٣هـ ج١١ ص ٤٦٥ رقم الحديث ٩٠١٦، وقال عنه حديث حسن)

وقال تعالى ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ سورة النور : ٣٢

٢ (الكفاءة والمراد بها كفاءة الدين والخلق، فلا تكافئ المرأة المؤمنة، الرجل
الكافر قال تعالى ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمَنَ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾
سورة البقرة : ٢٢١

يقول ابن قيم (١٤٠٧هـ) :

” لم يعتبر القرآن والسنة في الكفاءة أمراً وراء ذلك، فإنه حرم على المسلمة نكاح
الزاني الخبيث، ولم يعتبر نسباً ولا صناعة، ولا غنى ولا حرية “ (ج٥ ص ١٥٩)

٣ (القدرة : قال ﷺ : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ..)

(البخاري ١٤١١هـ كتاب النكاح ج٦ ص ١٤٣ رقم الحديث ٥٠٦٥)

(النيسابوري ١٤١٢هـ كتاب النكاح ج٢ ص ١٠١٨ رقم الحديث ١٤٠٠)

وفي هذا توجيه للولي أن لا يزوج ابنته إلا ممن توفرت فيهم هذه الصفات وهذا
دلالة على تشريف المرأة ومكانتها فلا يلزم الأب أن يزوج ابنته من كثر ماله أو اشتهر
نسبه أو منصبه بل يسعى إلى تزويج صاحب الدين والخلق لأنها قوام الحياة الزوجية
السعيدة .

ب - صفات الزوجة :

(١) أن تكون صالحه ذات دين، قال تعالى ﴿... فالصَّالِحَاتُ قَنَتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا

حفظَ اللهُ...﴾

سورة النساء : ٣٤

(٢) أن تكون حسنة الأخلاق، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
(أي النساء خير ؟ قال : التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا

ما لها بما يكره) (ابن الأثير ١٤٠٣هـ ج٦ ص٤٩٨ رقم الحديث ٤٧١٢ وقال عنه حديث حسن)

(٣) أن تكون ودوداً ولوداً : وهذه الصفة تعرف عن طريق اسرتها وقربياتها عن
معقل بن يسار قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أصبت امرأة ذات
حسب ومنصب إلا أنها لا تلد، أفأ أتزوجها ؟ فنهاه، ثم أتاه ثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة
فنهاه فقال : تزوجوا الولود الودود فإنني مكاثركم)

(أبو داود كتاب ١٤١٣هـ النكاح ج ٢ ص ٥٤٢ رقم الحديث ٢٠٥٠)

(ابن الأثير ١٤٠٣هـ ج ١١ ص ٤٢٨ رقم الحديث ٨٩٦٠، وقال عنه حديث حسن)

هذه أهم صفات الزوجة المسلمة التي ينبغي لكل من يريد أن يتزوج أن يراعيها
ويجعلها نصب عينيه خصوصاً في هذا العصر الذي ذهب فيه كثير من الشباب يلهثون
وراء ذات المال أو الجمال ولو كان ذلك على حساب الدين والخلق .

فقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصفات التي ترغب في النكاح من الزوجه ذات المال
أو الجمال أو المنصب، فقال صلى الله عليه وسلم : (تنكح المرأة لأربع : لمالها، ولحسبها، ولجمالها،
ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)

(البخاري ١٤١١هـ كتاب النكاح ج ٦ ص ١٤٩ رقم الحديث ٥٠٩٠)

(النيسابوري ١٤١٢هـ كتاب النكاح ج ٢ ص ١٠٨٦ رقم الحديث ١٤٦٦)

وفي هذا التوجيه النبوي الكريم أن المرأة ذات الدين هي عماد الأسرة وركنها
الركين، وهي المتاع الحقيقي في الدنيا، التي تسعى دائماً إلى سعادة الزوج بكل ما
تملك في حياتها لقوله صلى الله عليه وسلم (الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة)

(النيسابوري ، ١٤١٢هـ كتاب الرضاع ج ٢ ص ١٠٩١ رقم الحديث ١٤٦٧)

لأن المال يزول ويذهب، والجمال يذبل ويتغير، وما بني على التغير والتبدل فهو سرعان ما يزول، أما الدين الذى وقر في قلب صاحبة فلا يزول ولا يتغير. فالمتدين عن عقيدة واقتناع وتربية لن يكون فى البيت - زوجاً أو زوجة - إلا ريحانة مملوءة بالحب والسلام، وأن صاحب الخلق الكريم الأصيل لن يكون فى البيت - أما أو أبا - الادوحيه مثمرة تجني منها الأسرة أطيب الثمار، أبناء صالحين وعملاً اجتماعياً كريماً.

(السباعي ١٣٩٧هـ ص ١٢٧)

ولقد وضع الرسول الكريم ﷺ المنهج السوى للحياة الزوجية من أجل دوامها وجني ثمارها يانعة نافعة، وليس الزواج مسألة وقتية تنتهى بدون فوائد اجتماعية وقيماً يلي عرض لأركان النكاح وشروطه والتي من خلالها تتحدد الزوجه ويتم القبول أو الرفض بين الزوج وولي الزوجه :

أركان النكاح وشروطه :-

١ (الأركان :

أ - الزوجان الخاليان من الموانع - كالمعتده ولأخت من الرضاع فلا يصح النكاح لوجود المانع .

ب - الإيجاب : وهو اللفظ الصادر من الولي أو من يقوم مقامه بلفظ إنكاح أو تزويج كأن يقول أنكحتك فلانه أو زوجتكها .

ج - القبول : بلفظ قبلت هذا النكاح أو رضيت هذا النكاح .

٢ (الشروط :

أ - تعيين الزوجين في العقد بأن يكون كل منهما معروفاً معيناً باسمه .

ب - رضا الزوجين : بحيث لا يتم عقد النكاح إلا بعد رضا الزوج والزوجة، فلو أجبر أحدهما لم يصح . ويستثنى من ذلك كون أحدهما غير مكلف .

عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا تنكح الأيم^(١) حتى

(١) الأيم: الثيب

تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا : يا رسول الله وكيف إذن؟ قال : أن

(البخاري ١٤١١هـ كتاب النكاح ج٦ ص ١٦٤ رقم الحديث ٥١٣٦) تسكت

(النيسابوري ١٤١٢هـ كتاب النكاح ج٢ ص ١٠٣٦ رقم الحديث ١٤١٩)

(٣) الولي : فلا يصح الزواج إلا بحضوره وإذنه .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نكاح إلا بولي

(الترمذي ١٤١٣هـ كتاب النكاح ج٣ ص ٤٠٧ رقم الحديث ١١٠١)

(أبو داود ١٤١٣هـ كتاب النكاح ج٢ ص ٥٦٨ رقم الحديث ٢٠٨٥)

(ابن الأثير ١٤٠٣هـ ج١١ ص ٤٥٨ رقم الحديث ٩٠٠٢ وقال عنه حديث صحيح)

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أيما امرأة نكحت بغير

إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل....)

(أبو داود ١٤١٣هـ كتاب النكاح ج٢ ص ٥٦٨ رقم الحديث ٢٠٨٣، الترمذي ١٤١٣هـ كتاب

النكاح ج٣ ص ٤٠٧ رقم الحديث ١١٠٢) (ابن الأثير ١٤٠٣هـ ج١١ ص ٤٥٧ رقم الحديث ٩٠٠١،

وقال عنه حديث صحيح)

(٤) الأشهاد على العقد :

لقوله صلى الله عليه وسلم (لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل)

(العسقلاني د.ت، تلخيص الخبير ج٣ ص ١٧٩) (البهوتي ١٤٠٥هـ ص ٣٤٢ - ٣٤٥)

وبعد توفر الأركان والشروط ينبغي للزوج قبل الزواج أن يفعل ما يلي :-

أ - النظر إلى المخطوبة :

إذا رغب الإنسان في الزواج وعزم عليه فإن الدين الإسلامي يدعو للنظر إلى

مخطوبته نظرة شرعية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل)

(أبو داود ١٤١٣هـ كتاب النكاح ج٢ ص ٥٦٥ رقم الحديث ٢٠٨٢)

(ابن الأثير ١٤٠٣هـ ج١١ ص ٤٣٨، رقم الحديث ٨٩٧٢ وقال عنه حديث صحيح)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه رجل فأخبره أنه

تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنظرت إليها ؟ قال : لا، قال :

فأذهب فانظر إليها ؟ فإن في أعين الأنصار شيئاً)

(النيسابوري ١٤١٢هـ كتاب النكاح ج ٢ ص ١٠٤٠ رقم الحديث ١٤٢٤)

(ب) استأذن المرأة عند الزواج وذلك من أجل استدامة العشرة الزوجية وأن تقدم على الزواج دونما إجباراً أو اكراه .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن الرسول ﷺ : (لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا : يا رسول الله وكيف إذن قال : أن تسكت)

(البخاري ١٤١١هـ كتاب النكاح ج ٦ ص ١٦٤ رقم الحديث ٥١٣٦)

(النيسابوري ١٤١٢هـ كتاب النكاح ج ٢ ص ١٠٣٦ رقم الحديث ١٤١٩)

يقول ابن تيمية (د.ت)

فالمرأة لا ينبغي لأحد أن يزوجه إلا بإذنها، كما أمر النبي ﷺ، فإذا كرهت ذلك لم تجبر على النكاح، إلا الصغيرة البكر فإن أباهما يزوجه ولا إذن لها . وأما البالغ الثيب فلا يجوز تزويجها بغير إذنها لا للاب ولا لغيره باجماع المسلمين . (ج ٣٢ ص ٣٩، ٤٠)

حقوق الزوجين :

أولاً : حقوق الزوج :-

١ (القوامه : قال تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا

أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ . . . ﴾

سورة النساء : ٣٤

يقول رضا، (١٣٩٣هـ) :

” المراد بالقيام هنا هو الرئاسة التي يتصرف المرعوس بإرادته واختياره وليس معناها أن يكون المرعوس مقهوراً مسلوب الإرادة لا يعمل عملاً إلا ما يوجهه إليه رئيسة فأن كون الشخص قيماً على آخر هو عبارة عن ارشاده والمراقبة عليه في تنفيذ ما يرشده إليه أي ملاحظته في أعماله وتربيته، ومنها حفظ المنزل وعدم مفارقتها ولو لنحو زيارة أولي القربى إلا في الأوقات والأحوال التي يأذن بها الرجل ويرضى، أقول ومنها مسألة النفقة فان الأمر فيها للرجل فهو يقدر للمرأة تقديراً إجمالياً يوماً يوماً أو شهراً شهراً أو سنة سنة وهي تنفذ ما يقدره على الوجه الذي ترى أنه يرضيه ويناسب حاله من

(ج ٥ ص ٦٨)

٢ (الطاعة : قال تعالى ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَنَتٌ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

سورة النساء : ٣٤

فمن طبيعة المؤمنه الصالحه . ومن صفاتها الملازمة لها، بحكم إيمانها وصلاحتها، أن تكون قانتة مطيعة، والقنوت : الطاعة عن إرادة وتوجيه ورغبة ومحبة، لاعن قسر وإرغام وتقلت ومغالطة، ومن ثم قال : قانتات، ولم يقل طائعات لأن مدلول اللفظ الأول نفسي، وظلاله رعية ندية، وهذا هو الذي يليق بالسكن والمودة والستر والصيانة بين شطري النفس الواحدة، في المحضن الذي يرعى الناشئة ويطبعهم بجوه وانفاسه وظلاله وإيقاعته .

(قطب سيد ١٤٠٠ هـ ج ٢ ص ٦٥٢)

٣ (أن لا تدخل بيته من لا يرضاه لما جاء في خطبه النبي ﷺ يوم عرفه في حجة الوداع قوله : (ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه)

(النيسابوري ١٤١٢ هـ كتاب الحج ج ٢ ص ٨٨٦ ، رقم الحديث ١٢١٨)

٤ (حفظ مال الزوج وسره، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة قام خطيباً فقال في خطبته : (لا يجوز لأمر عطية إلا بإذن زوجها)

(النسائي د . ت كتاب الزكاة ج ٦ ص ٢٧٨) (ابن الاثير ٤٠٣ هـ ج ٦ ص ٤٧٦ رقم الحديث

٤٦٨١ ، وقال عنه حديث حسن)

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (كلكم راع ومسؤول عن رعيته : الأمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤوله عن رعيته والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته)

(البخاري ١٤١١ هـ كتاب الجمعة ج ١ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ رقم الحديث ٨٩٣)

(النيسابوري ١٤١٢ هـ كتاب الإمارة ج ٣ ص ١٤٥٩ رقم الحديث ١٨٢٩)

٥ (القرار في البيت وعدم الخروج منه إلا بإذنه قال تعالى ﴿ وَقُرْنِ فِي بَيْتِكُنَّ

سورة الأحزاب : ٣٣

...

ثانيا : حقوق الزوجة :

(١) الصداق : وهو المال الذى يدفع للمرأة بالنكاح قال تعالى ﴿... وَأَتُوا

النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً...﴾ سورة النساء : ٤

والخطاب فى هذه الآية للأزواج اي وأعطوا النساء اللواتى تعقدون عليهن المهور عطاء هبة يكون رمزا للمودة، التى ينبغى أن تكون بينكما، وآية من آيات المحبة ودليلا على وثيق الصلة والرابطة التى تجب أن تكتنفاكما وتحيط بسماء المنزل الذى تحلان فيه، وقد جرى عرف الناس بعدم الاكتفاء بهذا العطاء فتراهم يردفونه بأصناف الهدايا، مما يعبر عن حسن تقدير الرجل للمرأة التى يريد أن يجعلها شريكته فى الحياة.

(المراغي، د . ت ج ٢ ص ١٨٤)

(٢) النفقه والكسوة لها ولأولادها، قال تعالى ﴿... وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ

وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ سورة البقرة : ٢٣٣

وقال تعالى ﴿... لِيَنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفْسِقْ إِنَّمَا آتَاهُ اللَّهُ لِيَكْلِفَ اللَّهُ

نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ سورة الطلاق : ٧

(٣) تأمين السكن : قال تعالى ﴿... أَسْكُوهُنَّ مِن حَيْثُ سَكَنْتُم مِّن وُجْدِكُمْ...﴾

سورة الطلاق : ٦

(٤) العدل بين الزوجات إذا تعددن، قال تعالى ﴿... فَإِن خِفْتُمُ الْأَتَدُلُوا فَوَاحِدَةً

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى الْأَتَدُلُوا﴾ سورة النساء : ٣

يقول ابن كثير (١٤٠٧هـ) :

" اي إن خفتن من تعدد النساء أن لا تعدلوا بينهن كما فى قوله تعالى ﴿... وَلِنُ

تَسْطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ سورة النساء : ١٢٩

فمن خاف من ذلك فليقتصر على واحدة أو على الجوارى السراري فإنه لا يجب قسم بينهن، ولكن يستحب، فمن فعل فحسن ومن لا فلا حرج (ج ١ ص ٤٦١)
والعدل المطلوب في الإنفاق، والعدل في الرعاية والعدل في الكفاية بكل جوانبها مالية وجسدية ونفسية، فأما العاطفة، القلبية الشخصية التي لا تؤثر في مظاهر الحياة فالعدل فيها ليس في يد البشر وكل ما يطلب فيها ألا يظهر الميل فتكون الأخرى كالمعلقة

(قطب، سيد، ١٤١٣هـ السلام العالمي والإسلام ص ٩٩)

٥ (الاذن لها بالخروج من البيت عند الحاجة، كالخروج للمسجد وزيارة اقاربها لقوله ﷺ : (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله)

(البخاري ١٤١١هـ كتاب الجمعة ج ١ ص ٢٤٣، رقم الحديث ٩٠٠)

(النيسابوري ١٤١٢هـ كتاب الصلاة ج ١ ص ٣٢٧ رقم الحديث ٤٤٢)

ثالثا : الحقوق المشتركة بين الزوجين :

١ (حسن المعاشرة قال تعالى ﴿ .. وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ سورة النساء : ١٩

فأمر الله سبحانه وتعالى الأزواج إذا عقدوا على النساء أن يكون أدمة^(١) ما بينهم وصحبتهم على التمام والكمال، فإنه أهدأ للنفس، وأقر للعين، وأهنأ للعيش، وهذا واجب على الزوج ولا يلزمه ذلك في القضاء؛ إلا أن يجرى الناس في ذلك على سوء عاداتهم فيشرطونه ويربطونه بيمين .

(ابن العربي د . ت ج ١ ص ٣٦٣) (القرظي د . ت ج ٥ ص ٩٧)

وقال تعالى ﴿ وَلَهْنٌ مِّثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ سورة البقرة : ٢٢٧

وحسن العشرة بين الزوجين هو معنى ينبعث من قلب أحدهما إلى قلب صاحبه، مرفوعا بروح المحبة والمودة، وروح الإيمان بالمهمة المشتركة بينهما الملقاه على عاتقها في تذليل سبل الحياة وتربية الأبناء، وتدير المنزل بما يضمن على الجميع متعة المادة

(١) أدمة: القرابة والوسيلة والخلطة، ابن منظور ١٤١٠هـ آدم

والروح

(شلتوت د . ت ص ١٦٠)

٢ (القيام بشؤون البيت وتربية الأطفال

٣) الاستمتاع : قال تعالى ﴿ ... فَإِذَا تَطَهَّرْتَ فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿ نَسَاؤَكُمْ حَرْثَ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ... ﴾ سورة البقرة: ٢٢٢، ٢٢٣)

٤ (التناصح والتعاون على البر والتقوى لقوله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا

تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ سورة المائدة : ٢

فالدين الإسلامي وضع أسس وقواعد بناء الأسرة المسلمة وألزم كل من الزوج والزوجة حقوق يجب تأديتها على الوجه المطلوب من أجل استدامة العشرة بين الزوجين والمحافظة على كيان الأسرة، فإذا اختل حق من الحقوق فقد أذنت الأسرة لنفسها بالتصدع والانحلال .

والتربية الإسلامية تربي النفوس على حسن الأخلاق وتنمية العلاقات الفردية بين الزوجين لتضمن بقائها .

فعلى الزوج والزوجة أن يسلكا الطريق المستقيم والسبيل الواضح في علاقتهما وتربية ابنائهما تربية إسلامية صحيحة، بعيداً عن جو الأسره التي يكثر فيها الشقاق والخلاف بين الزوجين، لتسعد الأسرة بتربيته ابنائها في جو روحاني مفعم بالحب والسعادة وينشأ الأطفال على الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة، فالأسرة-الزوج والزوجة-التي تغرس في نفوس ابنائها وفلذات اكبادها منذ نعومة اظفارهم على المبادئ الإسلامية وتبعدهم عن مسالك الشر والرذيلة هي الأسرة التي تسعد في دينها وآخرها.

العلاقة الاجتماعية بين الزوجين :

إن المتأمل في الحياة الزوجية السعيدة القائمة على شرع الله تبارك وتعالى ليدرك سر سعادتهما، القلوب مؤلفه، والأفكار متحدته، حب في الله ورضا بما قسم، الزوجة تقدم كل ما يرغب ويجب الزوج فيها، تقوم بحقوقها وتؤدي واجباتها انطلاقاً من

مبدئها الإيمانى الذى فرضه الله عليها، لتسعد فى حياتها الزوجية، والزواج يقدم كل ما فيه سعادة زوجته من الحب والوفاء والقيام بحقوقه وواجباته دونما كلل أو ملل حرصاً منه على استمرار العلاقة الزوجية كما شرع الله تعالى . لحقيق الهدف السامى الذى من أجله شرع الزواج وأخذ عليه العهد والميثاق .

قال تعالى ﴿... وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً

سورة النساء : ٢١

﴿...﴾

يقول رضا (١٣٩٣ هـ) :

” أن المرأة لا تقدم على الزوجية وترضى بأن تترك جميع أنصارها وأحبائها لإجل زوجها إلا وهى واثقة بأن تكون صلتها به أقوى من كله صله وعيشتها معه أهنأ من كل عيشه، وهذا ميثاق فطرى من أغلظ الموثيق وأشدّها إحكاماً، وإنما يفقه هذا المعنى الإنسان الذى يحس إحساس الإنسان، فالتأمل تلك الحالة التى ينشئها الله تعالى بين الرجل وامرأته يجد أن المرأة أضعف من الرجل، وأنها تقبل عليه وتسلم نفسها إليه مع علمها بأنه قادر على هضم حقوقها، فعلى اى شيء تعتمد فى هذا الاقبال والتسليم؟ وما هو الضمان الذى تأخذه عليه والميثاق الذى توثقه به؟ ماذا يقع فى نفس المرأة إذا قيل لها إنك ستكونين زوجاً لفلان؟ إن أول شيء يخطر فى بالها عند سماع مثل هذا القول أو التفكير فيه وإن لم تستل عنه هو إنها ستكون عنده على حال أفضل من حالها عند أبيها وأمها وما ذلك إلا لشيء استقر فى فطرتها وراء الشهوة، ذلك الشيء هو عقل إلهى وشعور فطرى أودع فيها ميلاً إلى صلة مخصوصة لم تعهدا من قبل، وثقه بخصوصه لا تجدها فى أحد من الأهل، وحنواً مخصوصاً لا تجد له موضعاً إلا البعل، مجموع ذلك هو الميثاق الغليظ الذى أخذته من الرجل بمقتضى نظام الفطرة الذى يوثق به مالا يوثق بالكلام، الموثق بالعهود والإيمان، وبعد تعتقد المرأة أنها بالزواج قد اقبلت على سعادة ليس وراءها سعادة فى هذه الحياة وإن لم تر من رضيت به زوجاً ولم تسمع له من قبل كلام، فهذا ما علمنا الله

تعالى إياه وذكرنا به، وهو مركز في أعماق نفوسنا بقوله إن النساء قد
أخذن من الرجال بالزواج ميثاقاً غليظاً، فما هي قيمة من لا يفى بهذا
الميثاق؟ وما هي مكانته من الإنسانيه " (ج ٤ ص ٤٦٠، ٤٦١)

فالعلاقة بين الزوجين علاقة ميثاق عظم الله قدرة وأعلى من شأنه، مبنياً مكانة
المرأة في الدين الإسلامي .

فالزواج في الإسلام سكن نفساني وسبيل إلى التكاثر والتناسل، به تزول
اضطرابات وانحرافات كل من الشباب والفتيات، لا تبتاح النفس ولا يطمئن القلب إلا
به، كما أنه عبادة يتقرب العبد إلى الله به .

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من رزقه الله امرأة صالحه فقد أعانه
على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي)

(الحاكم ١٤١١هـ ج ٢ ص ١٧٥، حديث صحيح)

أنها التربية النبوية التي أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم التي تحفظ الزوج والزوجه من
الانحرافات الخلقية في المجتمعات الإسلامية .

وهكذا ربي النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على هذه الصفات الكريمة .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (خيركم خيركم لأهله، وأنا
خيركم لأهلي وإذا مات صاحبكم فدعوه)

(الترمذي ١٤١٣هـ كتاب المناقب ج ٥ ص ٧٠٩ رقم الحديث ٣٨٩٥)

(ابن الأثير ١٤٠٣هـ ج ١ ص ٤١٧ رقم الحديث ٢٢٠، وقال الترمذي حسن صحيح)

قال الشوكاني (د . ت)

" في ذلك تبيين على أعلى الناس رتبة في الخير وأحقهم بالانصاف به هو
من كان خير الناس لأهله فإن الأهل هم الأحقاء بالبشر وحسن الخلق والإحسان
وجلب النفع ودفع الضر فإذا كان الرجل كذلك فهو خير الناس في هذه الورطه
فيري الرجل إذا لقي أهله كان أسوأ الناس أخلاقاً وأشجعهم نفساً وأقلهم خيراً
وإذا لقي غير الأهل من الأجانب لأنت عريكته وانبسطة أخلاقه وجادت نفسه
وكثر خيره ولا شك أن من كان كذلك فهو محروم التوفيق زائع عن سواء

الطرق نسأل الله السلامة“ (ج ٦ ص ٢٠٧)

فالتربية الإسلامية تتسم بالوضوح والشمولية، تراعي كل جوانب الحياة العامة والخاصة ومن أهم ما عُنتت به العلاقة وتوثيق الصلات بين الزوجين، وحسن تربية الأولاد فالأولاد الذين ينشأون في ظل أسرة تسودها المحبة والمودة ينمون نمواً نفسياً، واجتماعياً، وفكرياً، وجسماً سليماً يظهر ذلك في حياتهم الشخصية، وعلى العكس لو كانت العلاقات بين الزوجين، مفككة ومنحلة، تسودها الاضطرابات والخلفات، فله ردوده الفعلية في حياة الأولاد في جميع جوانب حياتهم الشخصية .

فكلما كانت العلاقة بين الوالدين منسجمة أدى ذلك إلى جو يساعد نمو الطفل إلى شخصية متكاملة متزنه .
(حمزة ١٤٠٣ هـ ص ٢١٤)

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في بناء العلاقات الزوجية

(١) تنظيم الفطرة والغريزة البشرية

إن الزواج خير وسيلة للمحافظة على الأخلاق الفاضله والصفات النبيله، لأنه يحفظ الانسان من الوقوع فى الفواحش والآثام.١
يقول شلتوت (د.ت)

” وما الزواج في واقعه إلا ظاهرة من ظواهر التنظيم لفطرة أودعت في الإنسان، كما أودعت في غيره من أنواع الحيوانات، ولولا الزواج الذي هو تنظيم لتلك الفطرة المشتركة بين الإنسان والحيوان لتساوى مع غيره من أنواع الحيوان في سبيل تلبية هذه الفطرة عن طريق الفوضى والشيوع، وعندئذ لا يكون الإنسان ذلك المخلوق الذي سواه الله ونفخ فيه من روحه، ثم منحه العقل والتفكير، وفضله على كثير من خلق، ثم هيا له مبادئ الروابط السامية التي يرتفع بها عن حضيض الحيوانية البحتة وتدعوه إلى التعاون مع بني نوعه في عمارة النون وتدبير المصالح، وتبادل المنافع “

(ص ١٤٢)

فالزواج يلبي حاجة الإنسان الغريزية الجنسية فهو الوسيلة لحفظ النظر وصيانة

الفرج

٢) ميدان للتدريب على تحمل المسؤوليات

إن العلاقات بين الزوج تنشأ على مبدأ التفاهم والتعاون ويقضي بتنظيم الفطرة البشرية فإنه من جهة أخرى ميدان فسيح للتدرب والشعور بالمسؤولية، ويكون له درساً تدريبياً عملياً على تحمل أعباء الزواج والقيام بمسؤولياته. وفي جو هذه البيئة يتلقى عملياً الدرس النافع في تقوية الإدارة النفسية على تحمل المسؤوليات وبقدر ما تمتد هذه البيئة وتتسع دائرتها . وتتشعب فروعها وتكثر مطالبها، تمتد مسؤوليته، ويعظم تدريبه، ويتسع لديه نطاق التفكير والنظر والتدبر والهيمنة وبذلك يجد السبيل إلى ما يجب أن يشارك فيه من تحمل المسؤوليات الكبرى التي تتصل بأسرته الوطنية، ثم بأسرته الإنسانية العامة (ثلثون مرجع سابق ص ١٤٥)

فالزواج مؤسسة إسلامية اجتماعية يتعلم فيها الزوج والزوجة والابن والبنات تنسيق الأعمال فيما بينهم، وتنظيم الالتزامات والمسؤوليات فهو بذلك يؤسس الأسرة على ضوابط المسؤولية وليس مقصوراً على اللذة الجنسية أو المحبة النفسية.

٣) الترابط والاندماج الأسري والاجتماعي

إن في الزواج وما يصحبه من مودة وترابط بين الزوجين سبب لاستقرار الأسرة وثباتها ومن ثم استقرار المجتمع وسعادته ذلك أن العقد بين الزوجين يفضي إلى أشد التلاحم والترابط بينهما قال تعالى ﴿وَإِنْ أَرَأَيْتُمْ اسْتَيْدُوا زَوْجَكُمْ مَكَانَ زَوْجِكُمْ وَأْتِيَتْكُمْ إِحْدَاهُنَّ فَنطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بِهَذَا وَبِئْسَ مَا تَكُونُونَ﴾ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴿

سورة النساء ٢٠

فالمتبع لمعنى الميثاق في القرآن الكريم يجده أخذ على الأمم على عبادته سبحانه وتوحيده، وقد جاء في شأن الزواج ليدل على المكانة السامية التي وضعها الله تبارك وتعالى للزواج، ولذلك فالزواج هو الوسيلة الصحيحة لتكوين الأسرة وترابطها وتناصرها وتعاونها على البر والتقوى، ولا شك أن اختيار الزوجة الصالحة له أثر

واضح في صلاح الأبناء وحسن تربيتهم كما أن قيام الزوجة بواجباتها خير دليل على صدق مشاعره ورغبته في زوجته وبذلك يتحقق معنى الترابط والتلاحم بينهما. فالزواج يعمل على ربط الأسرة وامتداد العلاقات الاجتماعية، والناظر في التاريخ الإسلامي يلاحظ أن المصاهرة أسهمت في اتساع دائرة الروابط الاجتماعية والأنساب الإسلامية.

٤) المحافظة على بقاء الجنس البشري

بما أن الزواج الشرعي عبادة وتقرب إلى الله تعالى فإنه هو الوسيلة الصحيحة للتناسل وبقاء الجنس البشري إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما أنه أيضاً الوسيلة للمحافظة على الأنساب ولعل ما يملأ النفس يقيناً بهذا الجانب قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾

سورة الروم ٢١

فالزواج باعث من بواعث الاستقرار والطمأنينة مما يساعد الزوجات على حسن تربية جيل صالح يخدم دينه وأمته وإذا كان الإنسان محتاجاً في بقائه إلى أبنائه وأحفاده وكان الزواج هو الوسيلة الوحيدة لذلك فهو راحته القلبية وسكنه إلى زوجته التي تحن عليه وتشاركه في فرحه وفي حزنه، أشد حاجة إلى البنين والأحفاد الذين لا ينعم بهم إلا مع سكون القلب وطمأنينة النفس وراحة البال والضمير ولعل ذلك كله من الآثار التربوية للعلاقات الزوجية

المبدأ السادس العهد والميثاق في علاقة المسلم بغيره

(١) قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصْرَتِ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَاقَلُّوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَالْقَوْلَ إِلَيْكُمْ السَّلَامُ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾

سورة النساء ٩٠

(٢) وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَتَصَرَّوْا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

سورة الأنفال ٧٢

(٣) وقال تعالى ﴿بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

سورة التوبة ١

لا شك أن علاقات المسلمين بغيرهم تكسب أهمية قصوى مع أمم الأرض وشعوبها فكم أدى حسن الجوار وتوطيد العلاقة إلى الاستقرار والازدهار، وكم من بلاد دمرت ودماء سفكت وأعراض انتهكت، وكان مبعث ذلك سيادة شريعة الغاب، وأصبحت الدولة القوية تأكل الدولة الضعيفة .

ولقد جاء الإسلام لينظم العلاقات الدولية بين الدول المسلمة وغيرها .

فكانت جزيرة العرب تعيش فى فوضى وتتناهبها القلاقل والفتن، ولا تعرف للإستقرار والأمن مذاقاً الكبير يأكل الصغير والضعيف لا يأمن غدر القوى، وعندما نشأة الدولة الإسلامية الأولى على يد مؤسسها الأول محمد بن عبد الله ﷺ أرسى دعائمها وأسس هذه الدولة على علاقات مبنية على الاحترام والتقدير، ومن هنا جاءت العهود والمواثيق بين الدولة الإسلامية وغيرها من المجتمعات القبلية المتناحرة التى تكيد لها العداة أو من ترتبط معها بمصالح سياسية أو اقتصادية أو عسكرية .

فكانت الدولة الإسلامية متميزة بين سائر القبائل والشعوب فى وفائها، فما أعطت عهداً أو ميثاقاً إلا كانت رائدة فى الوفاء وحسن الاداء لا يعرف عنها فى

سجلها التاريخي غدر ولا خيانة حتى فى أصعب المواقف التى مرت بها مما جعل القبائل والطوائف أن تتقدم بطلب الأمان وعقد الميثاق لتتعم بالاستقرار، فأرسلت الوفود وأذعنت لسياسة مثلى تسجل صفحة بيضاء في جبين التاريخ. (العمر ١٤١٣هـ ص ١٨٦) وإن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجده يحدد معالم تلك السياسة ومبادئها وطريقها الذى تسير فيه، ومن أخص العهود والمواثيق في القرآن الكريم، مبدأ علاقة المسلم بغيره، سواء كان مسلم مع مسلم، كما مر في العهود السابقة أو علاقة المسلم بغير المسلم .

كما توضحها وتسطرها بين صفحاتها سورة التوبة وغيرها من السور .

يقول (قطب، سيد، ١٤٠٠هـ) :

” أما الإسلام - المنهج الربانى للبشر - فقد وضع أسس المعاملات الدولية فى القرن السابع الميلادى (الأول الهجرى) ووضعها من عند نفسه، دون أن تضطره إلى ذلك ملايسات القوى المتكافئة، فهو كان يضعها ليستخدمها هو، وليقيم المجتمع المسلم علاقاته مع المعسكرات الأخرى على أساسها، ليرفع للبشرية رايه العدالة، ويقيم لها معالم الطريق ولو كانت المعسكرات الأخرى لا تعامل المجتمع المسلم بتلك المبادئ من جانبها .. فلقد كان الإسلام ينشئ هذه المبادئ إنشاءً وللمرة الأولى . وهذه القواعد للمعاملات الدولية متفرقة في مواضعها ومناسباتها من سور القرآن والسنة النبوية المطهرة، وهى تؤلف فى مجموعها قانوناً كاملاً للتعامل الدولى، يضم حكماً لكل حالة من الحالات التى تعرض بين المعسكر الإسلامى والمعسكرات الأخرى “ . (ج ٢ ص ٧٢٨)

وهكذا أقامت الدعوة المحمدية قواعد العلاقات الدولية بين الناس على افتراض

أنهم إما مؤمنون، وإما معاهدون، وإما لا عهد لهم .

فأما المؤمنون فأخوتهم تامه، وأما المعاهدون فيعاملون بمقتضى عهدهم، وأما من

لا عهد له فأمره يختلف باختلاف أحواله . (عزام ١٩٦٩م ص ١٥٦)

ومن أجل تحقيق تلك العلاقات هل الاصل فيها السلم أو الحرب، وللإجابة على

هذا السؤال نضع هذا العنوان .

الأصل في علاقة المسلم بغير المسلم :

لقد تناول هذا المبحث الفقهاء والمفسرين بشيء من التفصيل منهم من يرى أن الأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم الحرب والقتال، ومنهم من يرى أن الأصل في ذلك السلم .

وتحت هذا الموضوع يجدر بالباحث أن يقف على بعض ما ذهبوا إليه، دون تطويل ممل أو تقصير مخل :

(١) يقول زيدان (١٤٠٢هـ)

”الأصل في علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول علاقة حرب، وأن للدولة الإسلامية الحق في إخضاع الدول غير الإسلامية لسلطانها السياسي وقانونها الإسلامي، ولو بالقتال، إذا رفضت هذا الخضوع باختيارها ...

ثم يذكر بعد ذلك : إن المسلم بين دار الإسلام، ودار الحرب لا يكون بمعاهدته، أو بإسلام دار الحرب أو استسلامها ولهذا سمى الفقهاء جميعاً الدول غير الإسلامية باسم دار الحرب . أو اعتبروا الأصل في علاقة دار الإسلام بها علاقة الحرب وأن المسلم لا يكون إلا بأمان، أي : عهد، أو ذمة، أو إسلام“ .

(ص ٥٤)

(٢) ويقول أبو زهرة (د . ت) :

”الأصل في العلاقات الدولية في الإسلام هو السلم، حتى يكون الاعتداء بالاعتداء على الدولة الإسلامية فعلاً أو بفتنة المسلمين عن دينهم، فالحرب حينئذ تكون ضرورة أوجبها قانون الدفاع عن النفس وعن العقيدة وعن الحرية الدينية“ . (ص ٤٨)

(٣) ويقول الزحيلي (١٤٠٣هـ) :

” يرى فقهاء المذاهب السنية والشيعة في عصر الإجتهد الفقهي في القرن الثاني الهجري أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو الحرب، بناءً على ما فهموه من آيات القرآن على ظاهرها وإطلاقها دون محاولة الجمع

والتوفيق ...

والخلاصه : أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو السلم، والحرب عارض الشر، وإخلاء طريق الدعوة ممن وقف أمامها، وتكون الدعوة إلى الإسلام بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان، وفتحنا قرروا أن الأصل في العلاقات هي الحرب دون أن يكون لذلك سند تشريعي إلا ما كان تصوراً منهم للواقع حيث كان الإسلام، لكل دعوة جديدة معارضة من قبل الناس ؛ لأن مبادئ الأخوة الإنسانية والمساواة بين الخلق، والتكافل الاجتماعي، ومبادئ الحرية والعدالة يخشاها الحكام، لتلا يعجل بسقوط عروشهم فحاربوا المسلمين ودام الصراع قروناً طويلة فاعتبر الفقهاء أن الحرب هي أصل العلاقات مع أعداء الإسلام حتى يأمنوا جانبهم إما باعتراف الإسلام، أو بالتعاقد مع المسلمين. (ص ١٣٠ - ١٣٦)

٤ (ثم يذكر هيكل (١٤١٤ هـ) تفصيلاً للعلاقات بين المسلمين وغيرهم

فيقول:

أ) الأصل في العلاقة بين الدولة الإسلامية وبين غيرها من الدول قبل تبليغها الدعوة على وجه التبليغ المبين هو السلم لا الحرب، وذلك لأن النبي ﷺ منع من قتال الكفار قبل تبليغهم الدعوة .

ب) الأصل في العلاقة بين الدولة الإسلامية وبين غيرها من الدول بعد تبليغها الدعوة ورفضها الدخول في طاعة المسلمين هو الحرب لا السلم، وذلك لقوله تعالى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... إِلَى قَوْلِهِ : ﴾ حتى

يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون ﴿ سورة التوبة: ٢٩

ج) الأصل في العلاقة بين الدولة الإسلامية وبين غيرها من الدول المعاهدة، هو السلم وذلك لقوله تعالى ﴿ وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ

النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾ سورة الانفال : ٧٢

د) الأصل في العلاقة بين الدولة الإسلامية وبين غيرها من الدول

المعتدية ولو كانت معاهدة هو الحرب لقوله تعالى ﴿فمن اعتدى عليكم

فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ سورة البقرة: ١٩٤ (ج ١ ص ٨٢٦، ٨٢٧)

وخلاصة هذه الأقوال : أن الذى تطيب إليه النفس هو ما ذهب إليه (هيكل) حيث بين ذلك وفصله مع أدلته . أما ما ذهب إليه (زيدان) من أن الأصل هو الحرب، إنما يعنى حالة ما بعد تبليغ الدعوة، فتكون أصل العلاقة الحرب بين المسلمين وغيرهم . وما ما ذهب إليه (ابو زهرة) من أن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلم فهو يعنى قبل أن تبلغهم الدعوة وتبين

أما (الزحيلي) فكان منصفاً فى هذه القضية مخالفاً لما قرره فقها المذاهب السنية والشيعية من أن أصل العلاقة بين المسلمين والكفار الحرب، وقد علل ذلك بتأثرهم بالحروب بين المسلمين والكفار فى عصرهم .

فيقول : فحالة دائمة لهذا الوضع لا ينتظر من الفقهاء إلا أن يقرروا بأن الأصل بين المسلمين ومخالفهم فى الدين هو الحرب، ما لم يطرأ ما يوجب السلم، فصدور الأحكام منهم على هذا النحو إنما هو لتأثرهم بما تستدعيه حالة المسلمين حينئذ من ضرورة الثبات أمام الأعداء الذين يحيطون بهم من كل جانب . (الزحيلي ١٤٠٣هـ ص ١٣٠، ١٣١)

وبعد هذه العجالة تتضح أصل علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول الأخرى.

شروط صحة المعاهدة :

إن العهود والمواثيق والمهادنة والمصالحة بين الدولة الإسلامية وغيرها لا تكون صحيحة إلا إذا التزمت بالشروط التالية :

١) ألا تتعارض مع القانون الأساسي للدولة الإسلامية فتخالف نصاً شرعياً أو قاعدة عامه فلا يجوز أن تحتوى على شروط ممنوعة فى الشرع مثل أن يشترطوا إظهارهم المنكر أو إسكانهم الحجاز أو دخولهم الحرم أو اقتطاع جزء من دار الإسلام. قال النبي ﷺ : " ما بال : أناس يشترطون شروطاً ليس فى كتاب الله ؟ من

اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فهو باطل وإن اشترط مائه شرط شرط الله أحق وأوثق " (البخاري ١٤١١هـ كتاب البيوع ج٣ ص٣٦ رقم الحديث ٢١٥٥ ،

النيسابوري ١٤١٢هـ كتاب العتق ج٢ ص١١٤٢ رقم الحديث ١٥٠٤)

ومن هنا لا يعترف الإسلام بشرعية معاهدة تستباح بها الشخصية الإسلامية وتفتح للأعداء باباً يمكنهم من الاغارة على جهات اسلامية أو يضعف من شأن المسلمين بتفريق صفوفهم وتمزيق وحدتهم . (وهبه ١٤٠٠هـ ص٨٥)

(٢) أن يتولى عقد المعاهدات مع الأعداء إمام المسلمين أو نائبه ؛ لأن الصلح يحتاج إلى سعة نظر وتقدير لمصالح المسلمين وتدبير القضايا الحربية .

(٣) أن تكون مدتها محددة بوقت معين (أبرد ١٤٠٤هـ ص٢٨٩)

(٤) أن تكون مبنية على التراضي من الجانبين ومن هنا لا يرى الإسلام قيمة لمعاهدة تنشأ على أساس من القهر والغلبة وأزيز " النفاثات " وهذا شرط تمليه طبيعية العقد إذا كان عقد التبادل في سلعه ما، بيعاً وشراءً، لا بد فيه من عنصر الرضا ﴿ إلا

أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾ سورة النساء : ٢٩

فكيف بالمعاهدة وهي للأمم عقد حياة أو موت ؟

(٥) أن تكون المعاهدة بينة الأهداف واضحة المعالم تحدد الالتزامات والحقوق تحديداً لا يدع مجالاً للتاويل والتخريج . (وهبه ١٤٠٠هـ ص٨٥)

(٦) أن يكون العهد صادقاً مقبولاً يعلمه أهل الرأي .

(٧) أن لا يكون على حساب الدين . (اللحيان : ١٣٩٨هـ ص١٣٢)

فتمت تم العهد والميثاق بين المسلمين وغيرهم وفق هذه الشروط فإن الدين الإسلامي يحذر من نقضه أو التلاعب فيه، فإذا حدث ذلك فإن العهود والمواثيق بين المسلمين وغيرهم مطروحة، والإسلام حرص على إتمام العهود والمواثيق إلى المدة المعلومة لكل من الدولتين وما ذلك إلى من أجل الوصول إلى حقيقه الأمن والاستقرار وحسن العلاقة والجوار وإذا كان هناك أي مؤشرات من الخطر على الإسلام

والمسلمين فإن الإسلام حث الولاة للقضاء على مثل هذه الخلافات وعدم التردد في نيل العهد إعلامهم بفسخه قبل قتالهم احتراماً للعهود والمواثيق قال تعالى ﴿ وَإِن تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾

سورة الانفال : ٥٨

يقول (قطب سيد، ١٤٠٠ هـ) :

” إن الإسلام يعاهد ليصون عهده ؛ فإذا خاف الخيانة من غير نيل العهد القائم جهره وعلانية، ولم يخن ولم يغدر، ولم يغش ولم يخدع، وصارح الآخرين بأنه نفض يده من عهدهم، فليس بينه وبينهم أمان وبذلك يرتفع الإسلام بالبشرية إلى آفاق من الشرف والاستقامة، وإلى آفاق من الأمن والطمأنينة .. إنه لا يبيت الآخرين بالهجوم الغادر الفاجر وهم آمنون مطمئنون إلى عهود ومواثيق لم تنقض ولم تنبد ولا يروع الذين لم يأخذوا حذرهم حتى وهو يخشى الخيانة من جانبهم فأما بعد نيل العهد فالحرب خدعة ؛ لأن كل خصم قد أخذ حذره فإذا جازت الخدعة عليه فهو غير معذور به إنما هو غافل، وكل وسائل الخدعة حينئذ مباحة لأنها ليست غادرة“ (ج ٣ ص ١٥٤٢)

إنها التربية الحقة التي رباهم القرآن عليها على الالتزام بالمبادئ الإسلامية التي رفعت من إنسانية الإنسان إلى المثل العليا التي لم تعهدها البشرية من قبل في الوفاء وعدم الغدر والخيانة.

المعاهدات في الإسلام ومشروعيتها :

إن المجتمع المسلم في بدء نشأته وتكوينه عقد معاهدات تتمثل في حسن الجوار وتكوين العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها .

فالمعاهدات أصل عام مشروع في الإسلام حتى مع المشركين وهي مطلوبة لتنظيم العلاقات السياسية بين المسلمين وغيرهم بناء على الأصل الذي دعا إليه القرآن الكريم من أن العلاقات الإنسانية قائمة على المودة والتعارف والتآلف، بل إن المعاهدات تقصد أصلاً إذا كان فيها نشر دعوة الإسلام أو الدخول في السلم بمعاهدة صلح

(الزحيلي ١٤٠٣هـ ص ٣٥٥)

والسيره النبوية خير شاهد على ما كان بين النبي ﷺ وقريش، أو غيرهم .
والدين الإسلامي حرص على حفظ النفس لأنها من ضروريات الدين وكره إراقة
الدماء فشرع المعاهدات بين المسلمين وغيرهم بحسب ما تقتضيه المصلحة التي يسعى
الدين الإسلامي إلى تحقيقها، وهي نشر الدين الإسلامي وعدم الوقوف في وجه مبلغية
أو صدهم عن تأدية رسالتهم . فالمعاهدات هي سر الأمن والاستقرار في ربوع الدول
والمجتمعات وفض الخلافات والمنازعات وقطع دابر الفتن، والتسوية السلميه بين الدولة
الإسلامية وغيرها للوصول إلى سلم يحفظ لكل دولة حقها ولكن ليس على حساب
الدين الإسلامي .

ولقد عنى القرآن الكريم بهذا المبدأ وأمر بالوفاء بالعهود والمواثيق وحذر من
الغدر والخيانة : قال تعالى ﴿إلا الذين عهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظهروا عليكم
أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾ سورة التوبة : ٤

وقال تعالى ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾
سورة الانفال : ٦١

يقول ابن كثير (١٤٠٧هـ) :

” يقول الله تعالى وإن استنصركم هؤلاء الاعراب الذين لم يهاجروا في قتال
ديني على عدولهم فانصروهم فإنه واجب عليكم نصرهم لأنهم إخوانكم في الدين إلا
أن يستنصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق أي مهادنة إلى مدة فلا
تخفروا ذمتكم ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم“ (ج ٢ ص ٣٤٢)

ومما يدل على مشروعية المعاهدة ايضاً قوله تعالى ﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق
فدية مسلمة إلى أهله وتخبر رقبه مؤمنة﴾ سورة النساء : ٩٢

والميثاق هو العهد المؤكد الذي قد ارتبط وانتظم . قال ابن عباس هذا هو الكافر
الذي له ولقومه العهد، فعلى قاتله الدية لأهله والكفارة لله سبحانه .

(ابن العربي د . ت ج ١ ص ٤٧٧)

فهذه النصوص تبين أن المعاهدات وقعت بين المسلمين وغيرهم ومما يؤكد هذه الآيات القرآنية فعل الرسول ﷺ فقد عقد عدة معاهدات مع اليهود وغيرهم لعدم قيام القتال بينهم .

يقول ابن كثير (١٤٠٥ هـ) :

” وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وأمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوثغ^(١) إلا نفسه وأهل بيته، وإن لليهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشظنة مثل ما لليهود بني عوف، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، ولا ينحجر^(٢) على ثار جرح، وإنه من فتك فبنفسه إلا من ظلم، وإن الله على أثر هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يَأْثَمْ امرؤٌ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن يثرب حرام حرفها^(٣) لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله،

(١) يوثغ: لا يربط ويهلك

(٢) ينحجر لما تحجر جرحه للبر انفجر أي اجتمع والتأم.

(٣) حرفها: الجرف موضع قريب من المدينة (البداية والنهاية، ج ٣ ص ٢٢٤)

وإن الله على من اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها وإن بينهم النصر على من دهم يشرب وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو آثم، وإن الله جار لمن بر واتقى .

(ج ٣ ص ٢٢٤)

وقد ذكر الباحث هذه المعاهدات في الفصل الثاني. وهناك كثير من المعاهدات التي عقدها رسول الله ﷺ لا يتسع المقام لذكرها خشية الإطالة ومن أهمها معاهدة صلح الحديبية : التي عقدها ﷺ في السنة السادسة من الهجرة هذا نصها :

” هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلاحاً على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه وإن بيننا عيبة مكفوفة وإنه لا أسلال ولا أغلال وإنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . فتوأثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتوأثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم، وأنتك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراسب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها .“

(ابن كثير، ١٤٠٥هـ ج ٤ ص ١٧٠)

ولقد سار الخلفاء على خطى الرسول ﷺ فعقدوا عدة معاهدات مع الأعداء أشهرها المعاهدة التي عقدها الخليفة عمر بن الخطاب مع أهل (إيلياء) بيت المقدس بعد استسلام المدينة في العام الخامس عشر للهجرة النبوية . (أبو عبيد، ١٤٠٤هـ ص ٢٨٩)

وهكذا كانت المعاهدات في الإسلام

المراحل التي تمر بها المعاهدة :

- لا شك أن المعاهدة تمر بمراحل قبل تمامها وأهم هذه المراحل ما يلي :
- ١ (التفاوض بين الطرفين وهو أول اجراء، نحو عقد المعاهدات وهذه المباحثات تدور حول موضوع المعاهدة، كما في صلح الحديبية .
 - ٢ (الاتفاق على نص المعاهدة، ويختلف النص طولاً وقصراً حسب الظروف التي تسير فيها المعاهدة، فمثلاً المعاهدات في عهد الرسول ﷺ كانت قصيرة لقله الالتزامات ثم بعد ذلك طولت المعاهدة لتشابك العلاقات بين الدول في جميع المجالات سياسياً واقتصادياً وغيرها .
 - ٣ (التوقيع : هذا يكون من رئيس أو إمام الدولة، وهذا وحده لا يكفي من الإمام أو نائبه بل بعد المشاورة وموافقة السلطة الشرعية في الدولة .
 - ٤ (تبادل التصديق وذلك بكتابة الوثيقة فيها الشروط والمدة والشهود ونحو ذلك، وكان يصور نسختين كما فعل الرسول ﷺ في صلح الحديبية لأن كل واحد من الفريقين محتاج إلى نسخة تكون بيده حتى اذا نازعه الفريق الآخر في شرط رجع إلى ما عنده " . (خالد ١٤٠١هـ ص ١٢٤ ص ١٢٥)

أقسام العهود :

- أورد ابن قيم الجوزية (١٤٠٧هـ) تقسيماً جيداً لأهل العهود فقال:
- ” وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام :
- ١ (قسماً أمره بقتالهم وهم الذين نقضوا، عهده، ولم يستقيموا له، فحاربهم وظهر عليهم .
 - ٢ (وقسماً : لهم عهد موقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه، فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم.
 - ٣ (وقسماً : لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه، أو كان لهم عهد مطلق، فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر، فإذا انسلخت قاتلهم، وهي الأشهر الأربعة المذكورة في قوله : ﴿ فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ﴾

وهي الحرم المذكورة في قوله: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ سورة التوبة: هـ
 فالحرم هاهنا: هي أشهر التسيير، أولها يوم الأذان وهو اليوم العاشر من ذي
 الحجة، وهو يوم الحج الأكبر الذي وقع فيه التأذين بذلك وآخرها العاشر من ربيع
 الآخر، وليست هي الأربعة المذكورة في قوله: ﴿إِنْ عُدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا
 فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ سورة التوبة: ٣٦

فإن تلك واحد فرد، وثلاثة سرد: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ولم
 يسير المشركين في هذه الأربعة، فإن هذا لا يمكن، لأنها غير متوالية، وهو إنما أجلهم
 أربعة أشهر، ثم أمره بعد انسلاخها أن يقاتلهم فقتل الناقض لعهد، وأجل من لا عهد
 له، أوله عهد مطلق أربعة أشهر، وأمره أن يتم للموفاي بعهد عهده إلى مدته، فأسلم
 هؤلاء كلهم، ولم يقيموا على كفرهم إلى مدتهم، وضرب على أهل الذمة الجزية .
 فاستقر أمر الكفار بعده نزول براءة على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد،
 وأهل ذمة، ثم ألت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام، فصار أهل الأرض معه ثلاثة
 أقسام:

(١) مسلم مؤمن به (٢) ومسلم له آمن (٣) وخائف محارب

(٣-١٥٩-١٦٠)

وهكذا نجد تربية ﷺ مع اصحاب العهود والمواثيق ماري عليه الصحابة رضى الله
 عنهم للسير على هذا المنهج فقد ربي النبي ﷺ صحابته على الوفاء بالعهود والمواثيق .
 فكان الصحابه خير من مقام بهذه التزويه خير قيام، فقد إلتزموا بمنهجه ﷺ، فعقدوا
 العهود والمواثيق، فضربوا أروع الأمثله في الوفاء والتضحية والفداء .

وخلاصة القول: إن المعاهدات بين المسلمين وغيرهم بحسب طبيعة العلاقات إما
 دائمة أو مؤقتة، ويحدد ذلك طرف المعاهدة .

فالمعاهدة الدائمة: هي عقد الذمة وهو العقد الذي يحصل بين السلطة المسلمة
 وأهل الكتاب ونحوهم مقابل دفع ضريبة شخصية للتمتع بالحمايه والاعفاء من بعض

الواجبات في دار الإسلام .

والمعاهدة المؤقتة : إن كانت مع عدد محصور فهو الامان، وإن كانت مع عدد غير محصور إلى غاية محددة فهي الهدنة أو المودعة والمعاهدة والمسالمة والمهادنة . وهي صلح يقع بين زعيمين في زمن معلوم بشروط مخصوصه والأصل فيها قوله تعالى

﴿فَاتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ﴾
سورة التوبة : ٤

وقوله ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾
سورة الانفال : ٦١

أي إن مالوا إلى المسالمة وهي طلب السلامة من الحرب فسالهم واقبل ذلك منهم .
(الزحيلي : ١٤٠٣هـ ص ٣٥٦، ٣٥٧)

وإن بلغ الدولة المسلمة أن قوماً ممن عاهدوا يريدون الخيانة ويخططون لها فلا يجوز للمسلمين أن ينقضوا العهد فجأة ودون سابق إنذار، ما لم يكن هناك من اليراهين الظاهرة على مباشرتهم لنقض عهودهم، وإنما لابد من نبذ العهد وإعلامهم بفسخه قبل حربهم ومناجزتهم احتراماً للعهود .

قال تعالى ﴿وَإِن تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ سورة الانفال : ٥٨

(العمر ١٤١٣هـ ص ١٨٨)

أولئك المتصفون بتلك الصفات من الغدر والخيانة هم شر الدواب عند الله يعاهدون ثم ينقضون عهدهم، وهم لا يتقون ولا يتورعون، قال تعالى ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الذين عهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون

سورة الانفال : ٥٥، ٥٦

وهكذا نرى ما لهذا المبدأ العظيم من أثر في بنية علاقة الدولة الإسلامية مع غيرها، والأطوار التي مرت بها تلك الآيات التي وضحت وفصلت العلاقة بين المسلم وغيره لينشأ وهو مطمئن مستقر آمن على حياته وممتلكاته، بعد أن استقى منهجه وتربيته من القرآن الكريم الذي رسم له الطريق في التعامل مع الآخرين وفق أسس

وضوابط محده .

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في علاقة المسلم بغيره:

(١) استتباب الأمن واستقرار البلاد

حصول الأمن والطمأنينة والاستقرار لكل من المسلم وغير المسلم فقد ربي القرآن الكريم الأمة على الالتزام بما عاهدوا عليه مهما كانت الظروف والأسباب. كما أن العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين يربي الأمة الإسلامية على الاستقامة والالتزام بالمعاهدات قال تعالى ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ سورة التوبة : ٧

(٢) صيانة الدماء وحفظ الأرواح

إقامة العلاقات بين المسلمين وغيرهم فيها صيانة للدماء وحفظ للأرواح، قال تعالى ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا . . وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ سورة النساء : ٩٢ وهكذا ربي القرآن الكريم الأمة على أهمية العلاقات في حفظ وصيانة الدماء بين المسلم وغير المسلم . ويربى في النفس الإنسانية احترام حقوق الجوار وحسن الصحبة .

(٣) التسامح والبر

إن في زيارة المسلم لجارة غير المسلم له بالغ الأثر في نفس غير المسلم، شريطة أن لا تكون تلك الزيارة على حساب الدين، فقد زار النبي ﷺ جارة، اليهودى وكان مريضاً مما كان له بالغ الأثر في نفسه أن دخل في الإسلام وهو على فراش الموت. فالإحسان في المعاملة مبدأ أساسي من مبادئ الإسلام، فالعلاقات بين المسلمين وأهل الذمة في المجتمع المسلم تقوم على الإحسان والتسامح والبر .

قال تعالى ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم

وتقتسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ سورة الممتحنة : ٨

٤) تربية اجتماعية فاضلة

من الآثار التربوية للعهد والميثاق بين المسلمين وغيرهم حصول الثقة بين الناس فى معاملاتهم الإنسانية، فلا بد للمسلم أن يكون محل ثقة كل الناس لان عقيدته تملئ عليه ذلك. فالعلاقات الإنسانية تربي الإنسان تربية إجتماعية على حسن الأخلاق والتحلي بالفضائل.

٥) تطهير النفوس من الضغائن والأحقاد وعلو الهمة

إن فى علاقة المسلم بغيره تطهير للنفوس من الضغائن والاحقاد، وتربيتهم على صفا القلب وخلوصه من شوائب الكدر . فعلاقة المسلمين بغيرهم يربيهم على علو الهمة فى تحقيق رسالتهم والدعوة إليها والتناصح على البر والتقوى .

٦) النصر والتأييد

إقامة العلاقات الدولية بين الدولة المسلمة وغيرها تربي النفوس على النصرة والمؤازرة ومد يد العون والمساعدة إلا على الذين بينهم وبين الدولة الإسلامية عهدو وميثاق قال تعالى ﴿وَإِذْ اسْتَنْصَرُواكَ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ سورة الأنفال: ٧٢

٧) العدل والمساواة

إن علاقة الدولة الإسلامية مع الدول غير المسلمة إذا قامت على الكتاب والسنة تسود بين افراد مجتمعهم روح العدالة والمساواة بين أفراد الدولتين .
بالعهد والميثاق بين المسلم وغيره يحفظ لكل منهما حقه فى دار السلم والحرب وهنا يبرز أثر العهد والميثاق فى تربية النفوس الصادقة .

الفصل السادس

المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد
والميثاق في الجانب الأخلاقي

مَهَيِّدٌ

المبدأ الأول: العهد والميثاق في حفظ الأمانة

المبدأ الثاني: العهد والميثاق في إقامة العدل

المبدأ الثالث: العهد والميثاق في قول الصدق

المبدأ الرابع: العهد والميثاق في وجوب الوفاء بالعهد

المبدأ الخامس: العهد والميثاق في القول الحسن

مَهَيِّدًا

بعد أن تحدثت في الفصل السابق عن أهم المبادئ التربوية في الجانب الاجتماعي التي تضمنتها آيات العهد والميثاق ومدى تأثيرها في البنية الاجتماعية ومالها أهمية عظيمة في بناء المجتمع وترابطة فإن في هذا الفصل أتحدث عن جانب آخر من جوانب التربية الإسلامية ألا وهو الجانب الأخلاقي، فلقد جاء القرآن والسنة النبوية المطهرة بالحث على حسن الخلق والتحلى بمكارم الأخلاق، والعمل على تربية الإنسان وتهذيب سلوكه على الالتزام بالمبادئ الإسلامية التي دعا الدين الإسلامي إلى التحلى بها من أمانة وصدق، وعدل، ووفاء، وقول حسن وأمر بمعروف ونهي عن منكر إلى غير ذلك من المبادئ الأخلاقية الحميدة .

يقول المصري (١٣٩٨هـ)

” والمقصود بالتربية الأخلاقية: تدريب الناشئين على العادات الاجتماعية التي تفي بحاجات الجماعة التي تتكون منها الحياة الاجتماعية في مجموعها، هذه العادات هي التي يفرضها المجتمع على سائر أعضائه ويلزم بها فتمكثه من البقاء، وتدخل عليه نوعاً من النظام يشبه النظام القاهر الذي تخضع له الكائنات الحية.

والمقصود بالتربية الأخلاقية كذلك رياضة الناشئين على المسلك الحسن المتزن، واستهواؤهم إليه وأخذهم بما يقوي إرادتهم وينمي شخصياتهم، ويؤدي إلى تكاملهم ويؤهلهم للاشتراك في حياة المجتمع الذي هم أفراده بأوسع معاني الاشتراك..“
(ص ٢١٤)

ويعبر بكر (١٤٠٣هـ) بقوله عن التربية الخلقية:

” إن المقصود بالتربية الأخلاقية هي التدريس المباشر للأخلاق بهدف التعرف على قيمة السلوك الخير، أو الخلق في ذاته من جهة وبالنسبة للأفراد والمجتمع من جهة أخرى وتحليل المبادئ التي تحدد في ضوئها هذه القيمة“
(ص ٢٢٨)

فالأخلاق الإسلامية الفاضلة هدف أسمى من أهداف التربية الإسلامية التي تربي الإنسان على الفضيلة ونبت الرذيلة وبنائه على خلق عظيم، وبناء مجتمع تسوده مجموعة

من القيم والمثل العليا، فهي تحرص على تنشئة إنسان يسلك في إطار مجموعة من القيم التي شملها هذا الدين، بحيث يكون سلوكه متسماً بالعدل والمساواة الاجتماعية والفردية

(سلطان ١٩٧٩م ص ١٠٤)

ومن خلال هذا الفصل يمكن إيضاح عدد من المبادئ التربوية الأخلاقية وهو إجابة عن السؤال الثالث والخاص بالمبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في الجانب الأخلاقي.

ومن المؤكد أن تركنا لباقي الجوانب الأخلاقية في غير ما ذكرنا هو من باب الالتزام بخطة البحث فقط في الحديث عمّا ورد ذكره منها في القرآن بلفظ العهد والميثاق ، وهذا التنبيه حتى لا يفهم أن في تركنا لها دعوى لإهمال الأمة في التمسك بها وإهمالها لها في تربية أبنائها وتنشئتهم عليها منذ الصغر.

المبدأ الأول : العهد والميثاق في حفظ الأمانة :

١- قال تعالى ﴿والذين هم لأمنتهم وعهدهم راعون﴾ سورة المؤمنون : ٨

٢= وقال تعالى ﴿والذين هم لأمنتهم وعهدهم راعون﴾ سورة المعارج : ٣٢

الأمانة : هي أساس القيم الأخلاقية . يختلف الناس في تمكين هذه الحقيقة في نفوسهم قال تعالى ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا

يؤده إليك...﴾ سورة آل عمران : ٧٥

فالأمانة خلق عظيم من الأخلاق الإسلامية يتحلى ويصف بها كل إنسان مؤمن . ومن عظمها أنها قرينة الإيمان لا ينفك أحدهما عن الآخر كما بين ذلك الرسول ﷺ حيث يقول : (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له) (ابن حنبل ١٤١٣ ج ٣ ص ١٣٥) وقبل عرض عناصر مبدأ الأمانة يحسن الباحث أن يبين تعريفها في اللغة وفي الإصطلاح :

فالأمانة : لغة :

يقول ابن زكريا (١٣٩٩هـ)

(١) أمن: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان :

أحدهما : الأمانة التي هي ضد الخيانة ومعناها سكون القلب .

والآخر : التصديق . (ج ١ ص ١٣٣)

(٢) ويقول ابن منظور (١٤١٠هـ)

والأمان والأمانة بمعنى . وقد أمنت فأنا آمن وأمنت غيري من الأمن والأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة، والإيمان ضد الكفر والأمانة والأمن نقيض الخيانة لأنه يؤمن إذاً، وقد آمنه، وأمنه، وأتئمنه وأتمنه، وهي نادرة، واجود اللغتين إقرار الهمزة، ومؤتمن القوم : الذين يثقون إليه ويتخذونه أمينا حافظا . (ج ١٣ ص ٢١ ص ٢٢)

وتعريفها اصطلاحاً : هو أنه يراد بها التكليف والحقوق المرعية التي أودعها الله للمكلفين، وواتئمنهم عليها، وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد، وأمرهم

بمراعاتها وأدائها والمحافظة عليها، من غير إخلال بشيء من حقوقها .

(الشرباصي، ١٤٠٧هـ - ج ٢ ص ١٦)

والأمانة من الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة يندرج تحت هذا الخلق الكريم جميع أعمال الإنسان الدينية والدنيوية، فكل ما يعمله المرء من حركات أو سكنات مادية أو معنوية سواء كانت تتعلق بالخالق جل وعلا أو تتعلق بالمخلوق فهي أمانة مناطة به يسأل عنها يوم القيامة

ولقد أمر القرآن بهذا المبدأ العظيم وهذا الخلق الرفيع لماله من عظيم المنزلة عند الله عز وجل قال تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ سورة الأحزاب : ٧٢

يقول ابن كثير (١٤٠٧هـ) : عند تفسير هذه الآية،

” قال : العوفي عن ابن عباس يعني بالأمانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال لآدم : إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها فهل أنت آخذ بما فيها ؟ قال يارب وما فيها ؟ قال : إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله تعالى ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

ثم يذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية قولاً آخر لابن عباس رضي الله عنهما فقال : الأمانة الفرائض عرضها الله على السموات والأرض والجبال إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا عليه من غير معصية ولكن تعظيماً لدين الله أن لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها“ . (ج ٣ ص ٥٣٠)

ويقول قطب سيد (١٤٠٠هـ) :

”إنها أمانة ضخمة حملها هذا المخلوق الصغير الحجم، القليل القوة، الضعيف الحول المحدود العمر، الذي تناوشه الشهوات والنزعات والميول والأطماع، وإنها لمخاطرة أن يأخذ على عاتقه هذه التبعة الثقيلة، ومن ثم ” كان ظلوماً ” لنفسه ” جهولاً ” لطاقته . هذا بالقياس إلى ضخامة مازج

بنفسه لحمله، فأما حين ينهض بالتبعه حين يصل إلى المعرفة الواصلة إلى بارئه، والاهتداء المباشر لناموسه، والطاعة الكاملة لإرادة ربه، المعرفة والاهتداء والطاعة التي تصل في طبيعتها وفي آثارها إلى مثل ما وصلت إليه من سهوله ويسر وكمال في السموات والأرض والجبال. الخلائق التي تعرف مباشرة، وتهتدي مباشرة، وتطيع مباشرة، ولا تحول بينهما وبين بارئها وناموسه وإرادته الحوائل، ولا تقعد بها المثبطات عن الانقياد والطاعة والأداء، حين يصل الإنسان إلى هذه الدرجة، وهو واع مدرك مريد، فإنه يصل حقاً إلى مقام كريم ومكان بين خلق الله فريد، إنها الإرادة والإدراك والمحاولة وحمل التبعة، هي ميزة هذا الإنسان على كثير من خلق الله، وهي مناط التكريم الذي أعلنه الله في الملائكة الأعلى، وهو يسجد الملائكة لآدم،

وأعلنه في قرآنه الباقي، وهو يقول ﴿ ولقد كرّمنا بنىء آدم .. ﴾

(سورة الإسراء : ٧٠)

فليعرف الإنسان مناط تكريمه عند الله، ولينهض بالأمانة التي اختارها والتي عرضت على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها .. ! ذلك كان ﴿ لعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾

(سورة الأحزاب : ٧٣)

فاختصاص الإنسان بحمل الأمانة وأخذه على عاتقه أن يعرف بنفسه ويهتدي بنفسه، ويعمل بنفسه، ويصل بنفسه، هذا كان ليحتمل عاقبة اختياره، وليكون جزاؤه من عمله، وليحق العذاب على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، وليمد الله يد العون للمؤمنين والمؤمنات، فيتوب عليهم مما يقعون فيه تحت ضغط ماركب فيهم نقص وضعف، وما يقف في طريقهم من حواجز وموانع، وما يشدهم من جواذب وأثقال، فذلك فضل الله وعونه، وهو أقرب إلى المغفرة والرحمة بعبادة ﴿ (جده ص ٢٨٨٥)

فهذه الأمانة التي حملها الانسان هي وتبعاتها عظيمة، والحق ان الأمانة عامة

وشاملة تشمل جميع أعمال العبد من حيث التحمل والأداء

ويذكر ابن العربي (د . ت) :

أقوال العلماء في معنى الأمانة بعد أن حصرها في عشرة أقوال^(١)

وأنها كلها متقاربة، ترجع إلى قسمين :

أحدهما : التوحيد فإنه أمانه عند العبد وخفي في القلب لا يعلمه إلا الله، ولذلك

قال النبي ﷺ : (إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم)

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب المغازي ج٥ ص ١٣٠ رقم الحديث ٤٣٥١)

ثانيهما : العمل، وهو في جميع أنواع الشريعة، وكلها أمانة تختص بتأكيد الإسم

فيها، والمعنى : ما كان خفياً لا يطلع عليه الناس - فأخفاه أحقه بالحفظ وأخفاه الزمه

بالرعاية وأولاه . (ج٣ ص ١٥٨٨، ص ١٥٨٩)

وقد أمر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم بتأدية الأمانة في أكثر من موضع وما

ذلك إلا لا أهميتها في تماسك البنية الإجتماعية، فإذا فقدت الثقة من الأفراد وانسلخ

المجتمع من الأمانة فقل على الدنيا السلام والله المستعان .

قال تعالى ﴿ إِنْ لَمْ يَأْمُرْكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾

سورة النساء : ٥٨

.. ﴿

ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها وهو أمر عام لجميع

الأمانات الواجبه على الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلاة والزكاة

والصيام والكفارات والندور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن

حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به من غير اطلاع بينة

على ذلك فأمر الله عز وجل بأدائها فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم

القيامة. (ابن كثير، ١٤٠٧هـ ج١ ص ٥٢٧)

كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : (لتؤدن الحقوق إلى

(١) أحكام القرآن : لابي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي : ج٣ ص ١٥٨٨ .

أهلها حتى يقتصر للشاة الجماء من القرناء)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ، كتاب البر والصله ج٤ ص١٩٩٧ رقم الحديث ٢٥٨٢)

والأمانات تبدأ من الأمانة الكبرى، والأمانة التي أناط الله بها فطرة الإنسان والتي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها " الإنسان " أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه فهذه أمانة الفطرة الإنسانية خاصة . حملها وعلية أن يؤديها أول ما تؤدي من الآمانات، ومن هذه الآمانة الكبرى، تنبثق سائر الأمانات التي يأمر الله أن يؤدي

ومن هذه الأمانات :

(أ) أمانة الشهادة لهذا الدين: الشهادة له في النفس أولاً بمجاهدة النفس حتى تكون ترجمة له، ترجمة حية في شعورها وسلوكها، حتى يرى الناس صورة الإيمان في هذه النفس، فيقولوا : ما أطيب هذا الإيمان واحسنه وأزكاه، وهو يصوغ نفوس أصحابه على هذا المثال من الخلق والكمال، فتكون هذه شهادة لهذا الدين في النفس يتأثر بها الآخرون .

(ب) والشهادة بدعوة الناس إليه : وبيان فضله ومزيتة، بعد تمثل هذا الفضل وهذه المزية في نفس الداعية، وهي إحدى الأمانات .

ومن هذه الأمانات، أمانة التعامل مع الناس، ورد أماناتهم إليهم : أمانة المعاملات، والودائع المادية، وأمانة النصيحة للراعي والرعية، وأمانة القيام على الأطفال الناشئة، وأمانة المحافظة على حرمت الجماعة وأحوالها وثغراتها، وسائر ما يجلوه المنهج الرباني من الواجبات والتكاليف في كل مجالي الحياة على وجه الإجمال فهذه من الأمانات التي يأمر الله أن تؤدي ويحملها النص على هذا الإجمال .

(قطب سيد، ١٤٠٠هـ ج٢ ص٦٨٨، ٦٨٩)

نماذج من أنواع الامانات :

(١) الأمانة في تولية أمر المسلمين ورعايتهم قال ﷺ: " ما من عبد استرعاه الله

رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة "

(البخاري، ١٤١١هـ، كتاب الأحكام ج٨ ص١٣٦ رقم الحديث ٧١٥٠)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب الإيمان ج١ ص ١٢٥ رقم الحديث ١٤٢)

٢ (الأمانة في التجارة :

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ

منكم ﴾ سورة النساء : ٢٩

يقول ابن كثير (١٤٠٧هـ) :

” ينهي الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل أي بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية كأنواع الربا والقمار وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل وإن ظهرت في غالب الحكم الشرعي مما يعلم الله أن متعاطيها يريد الحيلة على الربا“

(ج١ ص ٤٩٠ ص ٤٩١)

وقال ﷺ : (التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء)

(الترمذي، ١٤١٣هـ، كتاب البيوع، ج٣ ص ١٥٥ رقم الحديث ١٢٠٩،

ابن الأثير، ١٤٠٣هـ ج١ ص ٤٣١ رقم الحديث ٢٣٩، وقال الترمذي حديث حسن)

٣ (الامانة عند العمال أو العاملين :

قال تعالى ﴿ .. إِنْ خَيْرٌ مِنْ اسْتَجْرْتِ الْقَوِيَّ الْأَمِينَ ﴾ سورة القصص : ٢٦

وقال تعالى ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة يوسف : ٥٥

يقول ابن كثير (١٤٠٧هـ) عند تفسير هذه الآية :

” مدح نفسه ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره للحاجة، وذكر أنه ” حفيظ ”

أي خازن أمين عليم ذو علم وبصيرة بما يتولاه“

(ج٢ ص ٤٩٩)

وقال ﷺ : (إن الخازن المسلم الأمين الذي يعطي ما أمر به، كاملاً موفراً، طيبة به

نفسه، فيدفعه إلى الذي أمر وله به، أحد المتصدقين)

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الزكاة ج٢ ص ٤٦ رقم الحديث ١٤٣٨)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب الزكاة ج٢ ص ٧١٠ رقم الحديث ١٠٢٣)

٤ (أمانة الزوج والزوجة :

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إن من أشد الناس عند

الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه ثم ينشر سرها (

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب النكاح ج٢ ص ١٠٦ رقم الحديث ١٤٣٧)

وقوله ﷺ : (.. والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم)

(البخاري، ١٤١١هـ، كتاب الأحكام ج٨ ص ١٣٣ رقم الحديث ٧١٣٨)

فأمانة الأزواج والزوجات من أهم الأمانات ينبغي لكل من الزوج والزوجة حفظ أمانة الآخر . في جميع شؤون حياتهم .

٥ (أمانة الأباء والأبناء : إن الأبناء أمانة من الأمانات وواجب الأباء حفظها

والقيام بحسن تربيتها . روحياً وبدنياً وكل أب مسئول عن رعيته حفظ أم صنيع .

عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله سائل كل راع عما

أسترعاه أحفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته) (الفارسي ١٤٠٧هـ ج٧ ص ١٢)

فإذا عرف الأب ذلك فالواجب عليه تجاه ابنائه أن يتصف بكل صفات الأمانة

وان يتحلى بأفضل الصفات التي تجعل منه القدوة الحسنة لابنائه والمثل الأعلى لهم .

٦ (أمانة المعلم :

إن من أعظم المسئولين عن الأمانة المعلم نظراً لخطورته ودوره التربوي في

المؤسسة التعليمية، وتعدد المهام التي يقوم بها، فهو المربي، والمصلح والموجه والمرشد

كما هو صاحب رسالة لذلك كانت الأمانة الملقاه على عاتقه ليست كغيره من الخلق،

فإن التفريط فيها وعدم القيام بها خير قيام قد يؤدي إلى تدمير الشباب المسلم الذين

هم عماد الأمة وسر نهضتها وتقدمها فما بناء الأمة وشيد حضارتها إلا شبابها .

ومن أهم ما ينبغي للمعلم أن يقوم به أن يكون أميناً فيما يعلمه للتلاميذ داخل

الحجر الدراسية وخارجها فالأمانة التعليمية تتطلب من المعلم حسن القدوة والتصرف

وقافاً عند حدود الله لا يتجاوزها، فينبغي له إذا سئل وهو لا يعلم أن يقول لا أعلم،

وقد سئل معلم البشرية محمد بن عبد الله ﷺ عن الساعة فقال : (ما المسؤول عنها

بأعلم من السائل) (النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب الإيمان ج١ ص ٣٦ رقم الحديث ١)

وهناك أساليب تربوية يجدر بالمعلم أن يسلكها عندما يُسأل وهي :

١ - أن يذهب بالطالب إلى المكتبة المدرسية والبحث عن الجواب الصحيح

للمسألة وهو في ذلك يفيد الطالب من تعويده الاعتماد على النفس في البحث والإطلاع

٢ - أو يؤجل الإجابة إلى لقاء آخر ليتسنى للمعلم من الإجابة على السؤال بعد وجود الإجابة الصحيحة من خلال البحث وهذا ما تتطلبه الأمانة العلمية .

٣- كما ينبغي للمعلم إن يحفظ اسرار المتعلمين، فمن أجل حل كثير من مشاكل المتعلمين لابد للمعلم إن يكسب ثقة المتعلم وذلك من خلال اسداء النصيح والمساعدة وحل مشكلاتهم المدرسية وفي هذا يجد كثير من المتعلمين يبين ما يعانية وتعانية الأسرة، فالمعلم بدوره يقدم كل ما يقضى على هذه المشاكل، فالواجب على المعلم أن يحفظ اسرار المتعلمين ولا يسوح لإحد بها وفي ذلك نجاح لعمله الذي يقوم به وتأدية للامانة التي انيطت به . فما هو إلا سالك طريق محمد بن عبد الله ﷺ المعلم الأول .

فقد اتصف بهذه الفضيلة وعرف بها قبل بعثته فكان يدعى " بالأمين " في الجاهلية فكان هذا خلقه ومنهجه كيف لا ؟ وقد زكاه الله من فوق سبع سموات فقال: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ سورة القلم : ٤

كما هي أيضا من صفات المؤمنين الصالحين والمرين العاملين .

قال تعالى ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ إلى قوله تعالى ﴿والذين هم لأمتهم وعهدهم راعون﴾

سورة المؤمنون : ١-٨

فالامانة اساس الإيمان الذي لا يتم إلا به، عن أنس ؓ قال : قال رسول الله

ﷺ: (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له) (ابن جنبل ١٤١٣هـ ج٣ ص ١٣٥)

وفي هذا التوجيه النبوي الكريم تربية للنفس الإنسانية على أداء الأمانة وكما أمر

الله بتأدية وحفظ الأمانة كما سبق حذر ونهي عن الخيانة لأنها من أقبح وأخس الرذائل الأخلاقية ؛ لأنها مخالفة للحق بنقض العهد في السر . (الأصفهاني د . ت ص ١٦٢)

قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ سورة الانفال: ٢٧

فالأمانة شأن عظيم في استقامة أحوال المسلمين ما ثبتوا عليها وتخلقوا بها وهي

دليل نزاهة النفس وإعتدال أعمالها . وقد حذر النبي ﷺ من إضاعتها والتهاون بها وأشار إلى أن في إضاعتها إنحلال أمر المسلمين (ابن عاشور: ١٩٨٤م ج٥ ص ٢٢٣)

عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين :

رأيت أحدهما وأنا انتظر الآخر، حدثنا أن الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة " وحدثنا عن رفعها فقال " ينام الرجل النومة فتقبض من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل الجمل كجمرد حرجته على رجلك فنفظ فتراه منتبرا وليس فيه شيء ويصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيقال : إن في بني فلان رجلا أمينا ويقال للرجل :

ما أعقله وما أظرفه وما أجلده ، وما في قلبه مثقال حبه خردل من إيمان

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الرقاق ج٧ ص ٢٤١ رقم الحديث ٦٤٩٧)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب الإيمان ج١ ص ١٢٦ رقم الحديث ١٤٣)

إن التخلي عن تكاليف الأمة الإسلامية في الأرض خيانة لله والرسول ﷺ فالقضية الأولى في هذا الدين قضية [لا إله إلا الله محمد رسول الله] قضية افراد الله سبحانه بالألوهية، والأخذ في هذا بما بلغه محمد ﷺ وحده .

والبشرية في تاريخها كله لم تكن تجحد الله البتة، ولكنها إنما كانت تشرك معه آلهة أخرى ومن هنا كان التخلي عنها خيانة لله والرسول، لذا يحذر الله منها العصابة المسلمة التي آمنت به وأعلنت هذا الإيمان فأصبح متعينا عليها أن تجاهد لتحقيق مدلوله الواقعي، والنهوض بتكاليف هذا الجهاد في الأنفس والأموال والأولاد.

كذلك يحذرنا خيانة الأمانة التي حملتها يوم بايعت رسول الله ﷺ على الإسلام فالإسلام ليس كلمة تقال باللسان، وليس مجرد عبارات وأدعيات، وإنما هو منهج حياة كاملة شاملة تعترضه العقبات والمشاق، إنه منهج لبناء واقع الحياة على قاعدة أن لا إله إلا الله، وذلك برد الناس إلى العبودية لربهم الحق، ورد المجتمع إلى حاكميته وشريعته، ورد الطغاة المعتدين على ألوهية الله وسلطانه من الطغيان والاعتداء، وتأمين الحق والعدل للناس جميعاً، وإقامة القسط بينهم بالميزان الثابت، وتعمير الأرض والنهوض بتكاليف الخلافة فيها عن الله بمنهج الله .

وكلها أمانات من لم ينهض بها فقد خانها، وخاس بعهدة الذي عاهد الله عليه ونقض بيعته التي بايع بها رسوله ﷺ وكل أولئك في حاجة إلى التضحية والصبر والاحتمال، وإلى الاستعلاء على فتنة الأموال والأولاد وإلى التطلع إلى ما عند الله من الأجر العظيم، والمدخر لعبادة الأماناء على أماناته. (قطب سيد، ١٤٠٠هـ، ج ٣ ص ١٤٩٧، ١٤٩٨) وفقدان الأمانة من الإنسان المسلم تبعده عن طريق الهداية والإستقامة على الإيمان وتقربه من صفات المنافقين المتصفين بأبشع الصفات الدنيئة التي حذر منها الرسول ﷺ: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان "

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الأدب ج ٧ ص ١٢٤ رقم الحديث ٦٠٩٥)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ، كتاب الإيمان ج ١ ص ٧٨ رقم الحديث ٥٩)

وخلاصة القول في الأمانة المطالب بها الإنسان عظيمة كيف لا وقد تبرأت من حملها السموات والأرض والجبال . فهو مطالب بأداء الأمانة نحو خالقه جل وعلا بتوحيده وإخلاص العبادة له، ومطالب بها نحو نفسه يحفظها مما يوبقها، ويحملها على ما ينفعها في الدنيا والآخرة، ومطالب بأدائها في أسرته بإحسان تربيتها وتوجيهها، والقيام على أمورها، وفي هذا يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

سورة التحريم : ٦

ومطالب بها في مجتمعه باتقان العمل الذي يعود بالنفع على المجتمع وتقديم النصح لافراده والتواصي بالحق والصبر على الأذى فيه، ومع سائر الناس بالتناصح والتعاون على البر والتقوى .

(عرجون : ١٣٩٢هـ ص ٢٦٩)

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في الأمانة:

(١) الأمن والطمأنينة والسعادة

تربي الأمانة في النفس البشرية الطمأنينة والأمن، على كل مستلزمات الحياة. كما أنها مفتاح للسعادة وسبيل للتقدم الحضاري وأساس الفلاح والنجاح بإذن الله تعالى، فتقل السرقات ويأمن الإنسان على عرضه وحياته وممتلكاته.

٢) شيوع البركة

حفظ الأمانات سبب في شيوع البركة في العمر أو المال أو الأهل أو الولد . فإذا قام الإنسان بحفظ الأمانة سواء قوليه أو فعلية لله أو لعباد الله كان له بركة في عمره وماله وأهله وولده، وإن كان مضيعاً لها مفرطاً في تأديتها سواء لله تبارك وتعالى وعلى رأسها الحكم بغير ما أنزل الله أو ترك الشعائر التعبدية أو العبادة لغيره سبحانه فقد أذنت لنفسها بنزوع البركة في جميع شؤون حياتها . قال تعالى ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا

واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ سورة الأعراف : ٩٦

٣) كسب الثقة بين الناس والتمكين في الأرض

إن حفظ الأمانات وتأدية الحقوق إذا سادت وانتشرت بين الناس صغيرهم وكبيرهم فإنها تعم الثقة بين الناس في معاملتهم وحفظ حقوقهم قال تعالى ﴿ فإن أمن بعضهم بعضاً فليؤد الذي أوتى من أمره وليتق الله به . . ﴾ سورة البقرة : ٢٨٣

إن الأمانة إذا وجدت عند الإنسان وكان قائم عليها فإنها سبب من أسباب التمكين في الأرض، ولقد صورت سورة يوسف ذلك في قوله تبارك وتعالى ﴿ وقال الملك اتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين وقال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوا منها حيث يشاء . . . ﴾ سورة يوسف : ٥٤ - ٥٦

٤) الفلاح في الدنيا والآخرة

حفظ الأمانات وايصال الحقوق إلى ذويها، سبب من أسباب الاكرام بالجنه والفلاح في الدار الآخرة .

المبدأ الثاني: العهد والميثاق في إقامة العدل :

قال تعالى ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذالكم وصكم به لعلكم تذكرون ﴾

سورة الأنعام : ١٥٢

العدل من المبادئ والأخلاق الإسلامية النبيلة والصفات الحميدة التي حث عليها الدين الإسلامي وأمر بها لأنه عليه المعتمد في نجاح المعاملات والعلاقات بين الناس بعضهم ببعض وبين الراعي والرعية أيضاً فبالعدل يحصل كل فرد من أفراد المجتمع على كامل حقوقه الإنسانية فإذا لم يقم العدل في البلاد كثر الظلم وانتشرت الفوضى، وعمت الاضطرابات والخلافات وأذنت البلاد لنفسها بالهلاك .

فالعدل : لغه : ما قام في النفوس وهو ضد الجور، والعدل أيضاً الحكم بالحق وهو يقضى بالحق وبالعدل .

(ابن منظور، ١٤١٠هـ ج ص)

والعدل اصطلاحاً . وهو التزام الحق قولاً وفعلاً، أو إعطاء كل ذي حق حقه دون زيادة أو نقص والمساواة بين أصحاب الحقوق، وعدم الرضا بالظلم على أي إنسان .

(مبيض، ١٤١١هـ ص ٢٩٧)

ويقول الشرباصي، (١٤٠٧هـ) :

” بأنه القصد في الأمور، وهو الإنصاف والمساواة بين الناس، وهو الحكم بالاستواء، وهو تحرى المساواة والمماثلة بين الخصمين، بأن لا يرجح أحدهما على الآخر بشئ قط، بل يكونان سواء، حتى يصل كل ذي حق حقه .“ (ج ١ ص ٢٢)

أهمية العدل والإنصاف :

كان الناس من قديم الزمان ينشدون الحياة الآمنة التي لا جور فيها ولا ظلم حتى يأمن الإنسان من ظلم أخيه ويطمئن إلى حقه وممتلكاته .

فظهرت من حين لآخر دويلات مختلفة استطاعت أن تحقق للإنسانيه كل ما تصبوا إليه من الحياة الرغيدة الآمنة أمانيه في إقامة العدل والإنصاف بين شعوبها لم

تستطيع أن تحقق ذلك على الرغم من أنها حققت تقدماً ملحوظاً في بعض جوانب الحياة، إلا العدل لم تستطع أن تقيم له وزناً، ولا تنزل كثير من بلاد العالم تعاني من الظلم والجور، والعدوان مما يجعل الحياة مرة المذاق، وعرة المسلك .

وبين هذا الشقاء الذي تكبدت به كثير من الأمم نجد أن القرآن يضع منهجاً وطريقاً للبشرية ناصعاً في إقامة العدل الذي جاء به الدين الإسلامي وأرسى دعائمها في أرقى صورة يطمئن الإنسان على حقه وعلى ممتلكاته .

ولقد عني القرآن الكريم بهذا الخلق العظيم ونوه بشأنه، وعبر عنه بالفاظ دلالة على أهميته، فورد بلفظ [القسط] وورد بلفظ [الميزان]

وما ذلك إلا لأنه قاعدة عظيمة من قواعد التشريع الإسلامي حيث ينظم للأمة كافة علاقاتها الاجتماعية ومعاملاتها الإنسانية، ولم يقتصر العدل على جانب من الجوانب بل شمل الجوانب المادية التي يسهل ضبطها وتحديدها وشمل أيضاً الحياة الفكرية والروحية والسياسية والاجتماعية .

ومن هنا يظهر لنا أن الشريعة الإسلامية حين قررت أحكامها ونظمها المنظمة لعلاقات الناس المادية والأدبية والسياسية، راعت فيها أن مكارم الأخلاق توجبها أو تحسنها، وتحرم أضرارها، أو تقبحها، فهي نظم بوصفها أحكاماً منظمة وهي عند تطبيق الأفراد قد تكون أيضاً ظواهر سلوكية لا أخلاق كريمة متمكنة في نفوسهم، وعند تدريب المؤمنين عليها تهدف التربية الإسلامية إلى جعلها فيهم أخلاقاً مكتسبة.

(الميداني ١٤١٣هـ - ج ١ ص ٦٢٩)

والعدل في الإسلام تنبع جداوله من العدل الإلهي، الذي قامت به السموات والأرض وبدايه ذلك في عقيدة التوحيد التي يقوم مضمونها على العدل الذي هو صفة من صفات الله تعالى وآية من آيات رحمته سبحانه تدعوا المؤمن إلى الصبر على ابتلائه والجهاد في سبيله لاطمئنانه ووثوقه بفلاحه وفوزه في الدارين جزاء عمله .

فالعدل فريضة من أكرم فرائض الإسلام - أمر الله به أمراً مطلقاً لأنه من المبادئ

التي تركز عليها دعائم الحياة البشرية قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

(سورة النحل: ٩٠)

فالعَدل والإحسان ثمرة التقوى والإيمان، لأنهما استقامة وأمانة ونزاهة لا تشرف إلا القلب التقى الذي أحياه الإيمان وهده فالتزم العَدل، ولم يتحيز لأحِب الناس إليه خوفاً من غضب الله، وتحرى الإحسان في كل أعماله وأقواله طمعاً في رضاه

(صدقى د. ت ص ٩)

وقد شدد الله تعالى الأمر بالعَدل وعدم التحيز أو الميل :

١) فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوْ

الوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ

سورة النساء: ١٣٥

كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

يقول ابن كثير (١٤٠٧هـ) :

” يأمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط أي بالعَدل فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالاً ولا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرّفهم عنه صارف وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين ... ولا يملككم الهوى والعصية وبغض الناس إليكم على ترك العَدل في أموركم وشؤونكم بل الزموا العَدل على آية حال كان كما قال تعالى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ومن هذا قول عبد الله بن رواحه لما بعثه النبي ﷺ يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزرعهم فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم فقال : والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلي ولأنتم أبغض إلي من أعدادكم من القردة والخنازير وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على أن لا أعْدل فيكم . فقالوا بهذا قامت السموات والأرض .“

(ج ١ ص ٥٧٨)

ويقول قطب سيد، (١٤٠١هـ) معلقاً على الآية :

” إنها أمانة القيام بالقسط ... والقسط على إطلاقه في كل حال وفي

كل مجال، القسط الذي يمنع البغى والظلم في الأرض والذي يكفل العدل بين الناس ، والذي يعطي كل ذي حق حقه من المسلمين وغير المسلمين ففي هذا الحق يتساوى عند الله المؤمنون وغير المؤمنين ويتساوى الأقارب والأباعد، ويتساوى الأصدقاء والأعداء — ويتساوى الأغنياء والفقراء ... وهنا يحاول المنهج تجنيد النفس في وجه ذاتها وفي وجه عواطفها تجاه ذاتها أولاً (ولو على انفسكم) وتجاه الوالدين والأقربين ثانياً وهي محاولة شاقة، أشق كثيراً من نطقها باللسان، ومن إدراك معناها ومدلولها بالعقل . إن مزاولتها عملياً شيء آخر غير إدراكها عقلياً، ولكن المنهج يجند النفس المؤمنة لهذه التجربة الشاقة لأنها لا بد أن توجد، في الأرض، ثم هو يجند النفس كذلك في وجه مشاعرها الفطرية أو الاجتماعية، حين يكون المشهود له أو عليه فقيراً تشفق النفس من شهادة الحق ضده، وتود أن تشهد له معاونه لضعفه، أو من يكون فقره مدعاة للشهادة ضده بحكم الرواسب النفسية الاجتماعية كما هو الحال في المجتمعات الجاهلية وحين يكون المشهود له أو عليه غنياً، تقتضى الأوضاع الاجتماعية بماملته، أو قد يثير غناه وتبطره النفس ضده فتحاول أن تشهد ضده، وهي مشاعر فطرية أو مقتضيات اجتماعية لها ثقلها حين يواجهها الناس في عالم الواقع“

(ج ٢ ص ٧٧٥)

وهكذا كان المنهج التربوي الحكيم الذي نشأ عليه، وتربى في ظلاله الرعيل الأول من هذه الأمة وتخرج من مدرسة المعلم الأول محمد بن عبد الله ﷺ والذي بلغ في تحقيق العدالة الذروة السامقة منه .

(٢) وقال تعالى ﴿ يا ايها الذين ءامنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم

على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى وأتقوا الله إن الله خير بما تعلمون ﴾ سورة المائدة : ٨

يقول القاسمي (١٣٩٨ هـ) :

” أي مقتضى إيمانكم الاستقامة فكونوا مبالغين في الاستقامة باذلين جهدكم فيها لله، وهي إنما تتم بالنظر في حقوق الله وحقوق خلقه فكونوا

[شهداء بالقسط] أي بالعدل، لا تتركوه محبة أحد ولا لعداوة أحد ﴿ ولا يجرمنكم ﴾ أي لا يحملنكم " شنان " أي شدة عداوة " قوم على ألا تعدلوا " في حقهم، قال المهامي أي فإننا لا نأمركم به من حيث ما فيه من توفية حقوق الأعداء، بل من حيث ما فيه من توفية حقوق أنفسكم في الاستقامة " اعدلوا هو " أي العدل أقرب للتقوى " أي لحفظ الأنفس أن تتجاوز حد استقامتها .

واتقوا الله أي أن تبطلوا حقوقه أحقوق عباده ولو بطريق توهمون فيه العدل " إن الله خبير بما تعلمون من الأعمال فيجازيكم بذلك " (ج ٦ ص ١١٦)

ويعلق قطب سيد (١٤٠٠ هـ) على هذه الآية بقوله :

" لقد نهى الله الذين آمنوا من قبل أن يحملهم الشنان لمن صدوهم عن المسجد الحرام، على الاعتداء وكانت هذه قمة في ضبط النفس والسماحة يرفعهم الله إليها بمنهجة التربوي الرباني القويم، فهامهم أولاء ينهون أن يحملهم الشنان على أن يميلوا عن العدل، وهي أعلى مرتقى وأصعب على النفس واشق، فهي مرحلة وراء عدم الاعتداء والوقوف عنده، تتجاوز إلى إقامة العدل مع الشعور بالكره والبغض .. إلى أن قال إن النفس البشرية لا ترتقى هذا المرتقى إلا حين تتعامل في هذا الأمر مباشرة مع الله، حين تقوم لله متجردة عن كل ما عداه، وحين تستشعر تقواه، وتحس أن عينه على خفايا الضمير وذات الصدور " (ج ٢ ص ٨٥٢)

(٣) وقال تعالى ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز

سورة آل عمران : ١٨

الحكيم

يقول ابن تيمية (د . ت) :

شارحا لقوله ﴿ القسط ﴾ " أن الاستقامة والاعتدال متلازمان فمن كان قوله وعمله بالقسط كان مستقيماً، ومن كان قوله وعمله مستقيماً كان قائماً بالقسط، ولهذا أمرنا الله سبحانه أن نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم : من النبيين، والصدقين، والشهداء،

والصالحين، وصراتهم العدل والميزان، ليقوم الناس بالقسط، والصراف
المستقيم هو العمل بطاعته وترك معاصيه، فالمعاصي كلها ظلم مناقض
للعدل مخالف للقيام بالقسط والعدل 4 (ج ١٤٩ ص ١٧٩)

وتدبير الله عز وجل لهذا الكون والحياة متلبس دائماً بالقسط وهو العدل فلا
يتحقق العدل المطلق في حياة الناس ولا تستقيم أمورهم استقامة أمور الكون التي يؤدي
كل كائن معها دوره في تناسق مطلق مع دور كل كائن آخر .
لا يتحقق هذا إلا بتحكيم منهج الله الذي اختاره لحياة الناس، وبينه في كتابه،
وإلا فلا قسط ولا عدل، ولا استقامة ولا تناسق، ولا تلاؤم بين دورة الكون ودورة
الانسان وهو الظلم إذن والتصادم والتشتت والضياع، وانه حينما حكم في حياة الناس
منهج آخر من صنع البشر غير المنهج الرباني لازمه جهل البشر وقصورهم، كما لازمه
الظلم والتناقض في صورة من الصور ظلم الفرد للجماعة أو العكس أو غير ذلك
وعدل الله وحده هو المبرأ من الميل لأي من هذا وهو إله جميع العباد، وهو الذي لا
يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

(قطب سيد ٤٠٠هـ ج ١ ص ٣٧٩)

والآيات التي وردت في الحث على العدل وإقامة كثيرة وهذه بعض الآيات التي
أمر الله فيها بإقامة العدل مما دل دلالة واضحة على عناية القرآن الكريم بهذا الخلق
الكريم والذي يربى الأمة على التمسك به والأخذ من معينه الصافي الذي لا يشبع منه
العلماء لما حواه من اسرار وإعجاز وبلاغة وبيان .

وهذه بعض الأحاديث التي تدل على أهمية إقامة العدل .

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (كل سلامي من الناس عليه
صدقه كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة)

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الصلح ج ٣ ص ٢٢ حديث رقم ٢٧٠٧)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب الزكاة ج ٢ ص ٦٩٩ رقم الحديث ١٠٠٩)

(٢) وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع
والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثره علينا وعلى أن لا ننازع الأمر

أهله وعلى أن تقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)
وزاد النسائي (وعلى أن نقول العدل أين كنا)

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الاحكام ج٨ ص١٥٤ رقم الحديث ٧١٩٩، ٧٢٠٠)

(النسائي د . ت كتاب البيعة ج٧ ص١٣٩)

(٣) وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله قال : " إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار "

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الأحكام ج٨ ص١٤٣ رقم الحديث ٧١٦٩)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب الأفضية ج٣ ص١٣٣٧ رقم الحديث ١٧١٣)

وهناك كثير من الأحاديث التي تدل على هذا الخلق الكريم، ولقد طبق الصحابة رضي الله عنهم هذا التوجيهات النبوية بدقة بالغه كما مر معنا من قصه عبداً لله بن رواحه مع أهل خيبر، وكتب السير خير شاهد ما كان عليه الصحابة من العدل والقسط بين الرعية حتى أحبهم الناس وأحاطهم الأمن وغشيتهم الأمان .

وكما أمر الله تعالى بالعدل والقسط . فإنه نهى عن الظلم وتوعد الظالمين

بالعذاب الشديد قال تعالى ﴿... لا ينال عهدى الظالمين﴾ سورة البقرة : ١٢٤

وقال تعالى ﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ سورة إبراهيم : ٢٢

والآيات في هذا الموضوع كثيرة توعد الله الظالمين فيها بالعذاب الغليظ .

وما ذلك إلا لشناعة الظلم وبيان خطورته على الأفراد والمجتمعات .

وأما من السنة النبوية المطهرة : فكما روى ابو ذر في حديثه الطويل أن رسول

الله ﷺ قال : فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : (يا عبادي إنى حرمت الظلم

على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا ..)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب البر والصله ج٤ ص١٩٩٤ رقم الحديث ٢٥٧٧، ابن الأثير، ١٤٠٣هـ

ج١١ ص٣ رقم الحديث ٨٤٦٦)

وعن أبى موسى ؓ قال قال رسول الله ﷺ : (إن الله ليملي للظالم، حتى إذا

أخذه لم يفلقه قال ثم قرأ ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذها أليم شديد ﴾

سورة هود: ١٠٢

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب التفسير ج٥ ص ٢٥٥ رقم الحديث ٤٦٨٦)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب البر والصلة ج٤ ص ١٩٩٧ رقم الحديث ٢٥٨٣)

وغير ذلك من الأحاديث التي بين رسول الله ﷺ شناعة الظالمين وما لهم من النكال في الآخرة وبهذا رفع رسول الله ﷺ رايه العدل وأقام دعائم الأمن وقوض أركان الظلم وحمى الدولة الإسلامية الأولى من الاستبداد وانظلم وبين لها قواعد العدل التي تطبق على كل فرد من أفراد المجتمع غنياً أو فقيراً شريفاً أو ضيعاً فالحق أحق أن يتبع .

يقول ابن تيمية (١٤١٢هـ) :

” إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروى : الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافره ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة“
(ص ٧)

ولهذا ينبغي تربية الأمة على مبدأ العدل والمساواة بين أفرادها سواء مع المسلمين بعضهم مع بعض أو مع غيرهم فالعدل مبدأ اسلامي يتطلب تحقيقه واقعاً عملياً في جميع شؤونها الاقوال منها والأفعال .

المجالات التي يدخل فيها العدل :

(١) عدل الإنسان مع نفسه :

وذلك بفعل الطاعات واجتناب ما يعرضها لعذاب الله والالتزام بالمنهج الرباني الذي بين ووضح معالمه الرسول الكريم ﷺ قال تعالى ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾
سورة الطلاق: ١

وقال أيضا ﴿ إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون ﴾ لا يفترونهم وهم فيه مبلسون * وما

سورة الزخرف : ٧٤-٧٦

ظلمتهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾

(٢) العدل في الأسرة :

فلكل فرد من أفراد الأسرة حق يجب أن يحفظ ويصان

(أ) وإذا كان رب الأسرة متزوج بأكثر من واحدة وجب عليه العدل بينهن في الأمور التي قررتها الشريعة الإسلامية من : النفقة، والسكن والكسوة وسائر الأمور المادية .

قال تعالى ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث وربيع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو

سورة النساء : ٣

ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ﴿

فإن لم يستطع العدل بينهن، يحرم عليه أن يتزوج بأكثر من واحدة وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من كان له امرأتان يميل لإحدهما على الأخرى، جاء يوم القيامة أحد شقية مائل) (النسائي د . ت كتاب عشرة النساء ج٢ ص ٦٣) ولا يلزم العدل في الأمور النفسية كالحبة فإن ذلك غير مستطاع .

(ب) العدل بين الأولاد فإن تفضيل بعضهم على بعض في المعاملة، والعطاء، يغرس في نفوسهم الحقد والحسد والبغضاء، عن عامر قال : سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول : أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحه لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أعطيت إبني من عمرة بنت رواحه عطية، فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله، قال : " أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ " قال : لا . قال " فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم " .

قال : فرجع فرد عطيته "

(البخاري، ١٤١١ هـ كتاب الهبة وفضلها ج٣ ص ١٨٢ رقم الحديث ٢٥٨٧)

(٣) العدل مع اليتامى :

سورة النساء : ١٢٧

قال تعالى ﴿ .. وأن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾

(٤) العدل مع أهل الكتاب :

قال تعالى ﴿ وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب * فلذلك فادع واستقم كما

أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ﴾ سورة الشورى : ١٤ ، ١٥

فهذه الآية دلت على تحقيق مبدأ العدل بين الناس، فقد أمر الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم بأن

يعلن أن الله أمره بإقامة العدل بين الناس .

(٥) العدل مع الأعداء :

ولقد حقق الإسلام هذا اللون من العدل الذي لم يتحقق في غيره، ليدل على أن الإسلام، ذو أخلاق حميدة وصفات نبيلة مع الصديق والعدو ولذلك يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا، اْعْدِلُوا هُوَ

سورة المائدة : ٨

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

(٦) العدل في القول والشهادة :

سورة الأنعام : ١٥٢

قال تعالى ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾

سورة البقرة : ١٤٠

وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾

(٧) العدل في دقة الوزن وتمام الكيل :

قال تعالى ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفِ نَفْسًا وَلَا وِسْعَهَا ﴾ . . . سورة الأنعام : ١٥٢

(٨) العدل بين المتخاصمين :

قال تعالى ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ أَحَدُهُمَا عَلَىٰ الْآخَرَىٰ فَاقْتُلُوا الَّذِي بَغَىٰ عَلَىٰ الْآخَرَىٰ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ . . . سورة الحجرات : ٩

المقسطين ﴾

(٩) العدل في الحكم :

قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حُكِمَ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا

سورة النساء : ٥٨

بِالْعَدْلِ ﴾

وقال أيضا ﴿ وَإِنْ حُكِمَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ الْخَيْرَ ﴾ سورة المائدة : ٤٢

(١٠) عدل المعلم :

لا شك أن المعلم المسلم صاحب رسالة عظيمة وأمانة جسيمة مطالب بحفظ

ورعاية تلاميذه الذين يتلقون العلوم والمعارف منه فهو بالنسبة لهم مصدر من مصادر العلم والمعرفة، ينهلون من علمه، وينقلون عنه، ويظهرون احترامهم وتقديرهم له، لذا يجب على المعلم نحو تلاميذه إن يعاملهم بالعدل والإحسان دون تفضيل بعضهم على بعض أو تمييزه عن اخوانه، إلا بما يمكن أن يفضل به علماً أو ذكاءً .

فمن واجب المعلم أن يراعى في عدله بين تلاميذه ما يلي :

أولاً : العدل في تعليمهم :

إن من خصائص المعلم الجيد العدل في معاملة التلاميذ والبعد عن الهوى في الحكم عليهم والتعامل معهم، لأن ذلك يحقق قدراً جيداً من الصحة النفسية لدعم استمرارية التعلم، فكلما خلت معاملة المعلم من تفضيل تلميذ عن آخر بغير حق كان فرصة هذا التلميذ مواتية لكي ينمو نمواً سليماً .
(عبد العال ١٤٠٥ ص ١٢٩)

ولذلك روى عن مجاهد قوله : " المعلم إذا لم يعدل بين الصبية كتب من الظالمين "

(ابن مفلح ١٣٩١هـ - ١٤٠٥هـ ص ٣٠٢)

ومن هنا كان على المعلم وجوب العدل بين التلاميذ وعدم التساهل فيه، وأن يربي فيهم هذا الخلق الكريم .

يقول الشرباصي (١٤٠٧هـ) نقلاً عن الرازي:

" إن من العدل المطلوب عدل العلماء مع العوام، بأن لا يحملوهم على التعصب الباطل، بل يرشدونهم إلى الأعمال التي تنفعهم في دنياهم وآخرهم .

وهذا العدل المعنوي الذي يشير إليه يتطلب من العلماء أن يتعرفوا إلى الحاجات العقلية والنفسية والدينية التي يحتاج إليها هؤلاء العوام ليستقيم أمرهم ويعتدل حالهم فلا يقدموا إليهم إلا ما يزيدهم توفيقاً ورشداً في أمور دينهم ودنياهم . " (ص ٣٠، ٣١)

ثانياً : العدل والموضوعية :

لم تقف التربية الإسلامية في توجيه المعلم بالعدل وبالقسط بين التلاميذ في التعليم فحسب بل تجاوزت ذلك وأرشدته إلى العدل في توزيع الأسئلة على التلاميذ فلا يسأل بعضهم دون بعض فالمعلم العادل هو الذي يطرح الاسئلة لجميع التلاميذ

وهذا يعطى كثير من التلاميذ المشاركة الفعالة داخل حجرة الدراسة مما يثير روح التنافس الشريف . ومن العدل أيضا في هذا الجانب العدل في إظهار النتيجة فالمعلم الجيد الأمين هو الذي لا يحابي أحداً من طلابه أو يؤثره على زملائه بدون حق .

(عبد العال : ١٤٠٥هـ ص ١٣٠)

وعكسه المعلم الظالم الذي يفضل بعض الطلاب على بعض بدون حق ويمنحهم بعض الدرجات فوق ما يستحقون لأي سبب من الأسباب فبين المعلم والتلميذ وبين الأمر والطاعة يجب أن يكون هناك حكم ثالث يخضع له كل من المعلم والمتعلم على السواء، وهذا الحكم الثالث، هو الحق، والعدالة التي نطالب بها في كل الأحوال .

(الأبراشي : ١٣٩٦هـ ص ٢١٦)

فالعدل يحمل الإنسان على اعتدال أخلاقه ومعاملته وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط، فيحمله على خلق الجود، والسخاء الذي هو توسط بين الذل والقحة، وعلى خلق الشجاعة، الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس . (ابن قيم الجوزية ١٣٩٣هـ ج ٢ ص ٣٠٨)

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في العدل :

(١) تربية الإنسان عن أن العدل من لوازم الإيمان

إن العدل بين الناس والأنصاف في إيصال الحقوق إلى أصحابها خير دليل على الإيمان لأنه أحد فروع خلق حب الحق وإيثاره وأثرا تطبيقياً من آثاره ولذلك نجد أن الذين يحبون الحق ويؤثرونه قوما متصفين بهذا الخلق الكريم، ونرى أهل الإيمان الصادقين هم أهل العدل، إذ جعلهم حبهم للحق يؤمنون به، فإيمانهم به يدفعهم إلى إقامة العدل ولذلك لما أمر الله بالعدل وبالقسط خاطب بأمره الذين آمنوا، إشعاراً بأن العدل من لوازم الإيمان فلا يتم إيمان العبد إلا به . (الميداني ١٤١٣هـ ج ١ ص ٦٢٧)

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ... ﴾ سورة النساء : ١٣٥

(٢) الأمن والطمأنينة

إن في إقامة هذا الخلق الكريم الأمن والطمأنينة لكافة أفراد المجتمع . يقول

” إنه العدل العام الذي يطبق على الكبير والصغير، الأمير والسوقة والمسلم وغير المسلم ولا يفلت من قبضته أحد وهذا مفرق الطريق بين العدل في المجتمع الإسلامي وغيره من المجتمعات، ومما وعاة التاريخ، وأنصت له بإجلال محافل العدل في العالم كله عبر القرون، وقفه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بجانب خصمه اليهودي الذي سرق درعه أمام القاضي شريح، الذي لم يمنعه إكباره وإجلاله لأمير المؤمنين أن يطلب منه البيعة على سرقة اليهودي درعه، ولما لم يجد أمير المؤمنين أن يطلب منه البيعة حكم القاضي لليهودي على أمير المؤمنين، والتاريخ الإسلامي حافل بأمثال هذه الأخبار الدالة على سيادة الحق والعدل في المجتمع الإسلامي، ومن هنا كان المسلم الحق عادلاً في أقواله وأفعاله لأن الحق قديم في تراثه والعدل عريق في مجتمعه، والإنصاف مقدس في معتقده“
(ص ٢٦٧)

فالحياة لا تستقيم بدون العدل فمتى أقيم العدل في الأمة وتمسكت به عمت الخيرات والأمن والأمان في ربوعها، ومتى فقدته عمت الاضطرابات والخلافات بين الأفراد، فالعدل ضرورة من الضروريات التي لا تسقيم حياة الأمة إلا به .

(٣) علو المنزلة

صاحب هذا الخلق العظيم يتبوا منزلة رفيعة لقربه من الرحمن جل وعلا عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما وُلوا)
(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب الإمارة ج٢ ص ١٤٥٨ رقم الحديث ١٨٢٨)
فالعدل بين الناس سبب في حصول الأجر والثواب، والاستظلال بظل الرحمن يوم القيامة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (سبعة يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا يظلل إلا ظله أمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجلا قلبه معلق بالمساجد) (البخاري، ١٤١١هـ كتاب الزكاة ج٢ ص ١٤٢ رقم الحديث ١٤٢٣)
(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب الزكاة ج٢ ص ١٧٥ رقم الحديث ١٠٣١)

٤) قبول الدعاء

إن إقامة العدل والانصاف بين الناس من أسباب قبول الدعاء لقوله ﷺ: (ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم ...)
(ابن الأثير، ١٤٠٣هـ - ١٠٠٠هـ ص ٤٩٧ رقم الحديث ٨٠٢٨ له طرق وشواهد يقوي بعضها بعضا)

٥) حصول الثقة والاحترام

في الانصاف والموضوعية بين التلاميذ، يربى في نفوسهم الثقة والاحترام والتقدير
لمعلمهم العادل .

المبدأ الثالث: العهد والميثاق في قول الصدق

قال تعالى ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من

سورة الأحزاب : ٢٣

ينتظروا ما بدلوا تبديلاً ﴾

أن مزايا هذا الدين عظيمة وفوائده كثيرة، لأنه منهج رباني كامل صالح لكل زمان ومكان، فيه سعادة البشرية في دينها ودنياها.

وكان من فوائده هذا الدين الذي رسمه للبشرية وهداها إلى معالم الطريق، أن جاء بكريم الأخلاق وعظيم الفضائل وكان من أهمها الصدق :

فالصدق هو : التزام الحقيقة قولاً وعملاً . وهو خلق كريم ينسجم مع الفطرة السليمة والشريعة القويمة، يقوم على الحقيقة ويتجنب الأوهام، من أخذ به فاز ونجا، ومن تنكب طريقه خاب وخسر، به تقوى روابط المجتمع وترقى الأمم، وبغيره تضعف أواصر التعاون وتنعدم الثقة بين الناس، وينفطر عقد الأمة، وتتحط في دركات التخلف والضعف . (مبيض ١٤١١هـ، ص ٦٢)

لذا أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالالتزام بهذا المبدأ العظيم فقال عز من قائل

سورة التوبة، ١١٩

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾

يقول الطبري (د . ت) :

” يقول تعالى ذكره للمؤمنين معرفهم سبيل النجاة من عقابه وإخلاص من أليم عذابه : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله اتقوا الله وراقبوه بأداء فرائضه وتجنب حدوده، وكونوا في الدنيا من أهل ولاية الله وضاعته تكونوا في الآخرة مع الصادقين في الجنة يعني من صدق الله الإيمان به فحقق قوله بفعله، ولم يكن أهل النفاق فيه الذين يكذب قلوبهم فعلهم، وإنما معنى الكلام وكونوا مع الصادقين في الآخرة باتقاء الله في الدنيا “

(ج ١١ ص ٦١)

كما قال جل ثناؤه ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴿٦٩﴾ سورة النساء : ٦٩

فعلى الصدق والكلمة الطيبة تعتمد كثير من المعاملات بين أفراد المجتمع فإن لم تكن معبرة تعبيراً صادقاً عما في نفس قائلها كانت وسيلة غير مفيدة لمعرفة إرادات الناس وحاجاتهم، وحقيقة أخبارهم، ولولا الثقة والكلمة الصادقة لتفككت معظم الروابط بين الناس مما جعل حديثها وكلامها مطابقاً لحقيقة واقعها أمراً من الضرورة بمكان، وذلك لاستمرار العلاقات والمعاملات بينهم . (الميادني ١٤١٣هـ - ج ١ ص ٥٣٢)

فالصدق من أبرز صفات عباد الله المخلصين الذين اتصفوا به في كل وقت وفي كل حين وبه تميزوا عن أهل النفاق الذين يبطنون ما لا يظهرون .

ولقد عني القرآن الكريم بهذا المبدأ العظيم وبهذه الصفة والسجية الحسنة .

قال تعالى ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله . . . ﴾ إلى

قوله تعالى ﴿ أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المقنون ﴾ (سورة البقرة : ١٧٧)

وقال تعالى ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المقنون ﴾ سورة الزمر : ٣٣

وقال تعالى ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . . . ﴾ سورة الأحزاب : ٢٣

وقال تعالى ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً ﴾ سورة الأحزاب : ٨

وهناك كثير من الآيات تحدثت عن الصدق بينت ما أعدت الله لصادقين في دار الآخرة . وفي هذا يتبين عناية القرآن بهذا الخلق الكريم وأن من الصفات الخلقية التي يجب على المسلم أن يتحلى بها في جميع أقواله وأفعاله، وينبذ كل ما يخالفه من الكذب والنفاق والشهادات الباطلة . قال تعالى ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير

علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ سورة الأنعام : ١٤٤

منزلة هذا الخلق :

(١) قال تعالى ﴿ قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ سورة آل عمران : ٩٥

” يعني بذلك جل ثناؤه : قل يا محمد صدق الله فيما أخبرنا به من قوله ﴿ كل

انطعام كان حلالاً لبني إسرائيل ﴿﴾ سورة آل عمران : ٩٣

وإن الله لم يحرم على إسرائيل، ولا على ولده العروق، ولا لحوم الإبل وألبانها .
 وأن ذلك إنما كان شيئاً حرمه إسرائيل على نفسه وولده بغير تحريم الله إياه عليهم في
 التوراه، وفي كل ما أخبر به عباده من خير دونكم أنتم يا معشر اليهود الكذبه في
 إضافتكم تحريم ذلك إلى الله عليكم في التوراه، المفترية على الله الباطل في دعواكم
 عليه غير الحق، فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، يقول : فإن كنتم
 أيها اليهود محقين في دعواكم أنكم على الدين الذي ارتضاه الله لأنبيائه ورسله،
 فاتبعوا ملة إبراهيم خليل الله، فإنكم تعلمون أنه الحق الذي ارتضاه الله من خلقه دينا،
 وابتعث به أنبياءه، وذلك الحنيفية، يعنى الاستقامة على الإسلام وشرائعه، دون
 اليهودية والنصرانية والمشركة، وقوله : ﴿﴾ وما كان من المشركين ﴿﴾ يقول : لم يكن يشرك
 في عبادته أحد من خلقه، فكذلك أنتم أيضاً أيها اليهود، فلا يتخذ بعضكم بعضاً
 أرباباً، من دون الله، تطيعونهم كطاعة إبراهيم لربه، وأنتم يا معشر عبدة الأوثان، فلا
 تتخذوا الأوثان والأصنام أرباباً، ولا تعبدوا شيئاً من دون الله، فإن إبراهيم خليل
 الرحمن كان دينه إخلاص العبادة لربه وحده، من غير إشراك أحد معه فيه، فكذلك
 أنتم أيضاً، فأخلصوا له العبادة ولا تشركوا معه في العبادة أحداً، فإن جميعكم مقرون
 بأن إبراهيم كان على حق وهدى مستقيماً، فاتبعوا ما قد أجمع جميعكم على تصويبه
 من ملته الحنيفية، ودعوا ما اختلفتم فيه من سائر الملل غيرها أيها الأحزاب، فإنها بدع
 ابتدعتها إلى ما قد أجمعتم عليه أنه حق، فإن الذي أجمعتم عليه أنه صواب وحق من
 ملة إبراهيم هو الحق الذي ارتضيته وابتعثت به أنبيائي ورسلي وسائر ذلك هو الباطل
 الذي لا أقبله من أحد من خلقي جاءني به يوم القيامة، وإنما قال جل ثناؤه ﴿﴾ وما كان
 من المشركين ﴿﴾ يعنى به : وما كان من عددهم وأوليائهم، وذلك أن المشركين بعضهم
 من بعض في التظاهر على كفرهم، ونصرة بعضهم بعضاً، فبرأ الله إبراهيم خليله أن
 يكون منهم، أو نصرائهم وأهل ولايتهم، وإنما عنى جل ثناؤه بالمشركين : اليهود

والنصارى، وسائر الأديان غير الحنيفية قال : لم يكن إبراهيم من أهل هذه الأديان
المشركة، ولكنه كان حنيفاً مسلماً (الطبري د . ت ج ٤ ص ١ ، ص ٥)

(٢) وقال تعالى ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيمة لا ريب فيه ومن أصدق من الله

حديثاً ﴿

سورة النساء : ٨٧

يقول القاسمي (١٣٩٨ هـ)

” إنكار لأن يكون أحد أصدق منه تعالى في حديثه وخيره ووعدته
وووعيده، وبيان لاستحالته، لأنه نقض وقبيح، إذ من كذب، لم يكذب إلا
لأنه محتاج إلى أن يجز منفعه بكذبه أو يدفع مضرة، أو هو جاهل بقبحه، أو
هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في أخباره، ولا ييالي بايهما نطق،
فظهر استحالة الكذب عليه جل شأنه، والغير وإن دلت الدلائل على
صدقة، فكذبه ممكن إذا لم ينظر إليها“ (ج ٥ ص ٣٤٥)

(٣) وقال تعالى ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنت تجري من تحتها الأنهر

خلدين فيها أبداً وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قليلاً ﴿

سورة النساء : ١٢٢

يقول الطبري (د . ت) :

” ومن أصدق أيها الناس من الله قيبلاً، أي لا أحد أصدق منه قيبلاً
فكيف تتركون العمل بما وعدكم على العمل به ربكم ﴿ جنات تجري من
تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ﴿ وتكفرون به وتحالفون أمره وأنتم تعلمون أنه
لا أحد أصدق منه قيبلاً، وتعملون بما يأمركم به الشيطان رجاءً لإدراك ما
يعدكم من عاداته الكاذبة وأمانيه الباطلة وقد علمتم أن عاداته غرور ولا
صحة لها ولا حقيقة، وتتخذونه ولياً من دون الله، وتتركون أن تطيعوا الله
فيما يأمركم به وينهاكم عنه فتكونوا له أولياء“ (ج ٥ ص ٢٨٧)

فالصدق من صفات الله تبارك وتعالى، وليس هناك أصدق منه تعالى ولما كان
كذلك فلقد أعد الله للصادقين منازل في الجنة مع النبيين والصديق والشهداء
والصالحين .

قال تعالى ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

سورة النساء : ٦٩

والصلحين وحسن أولئك رفيقاً ﴿

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن أهل الجنة ليرآؤون أهل الغرف من فوقهم كما تراؤون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالو : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال : بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين)

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب بدء الخلق ج٤ ص ١٠٥ رقم الحديث ٣٢٥٦)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ / كتاب الجنة، ج٤ ص ٢١٧٨ رقم الحديث ٢٨٣٤)

٤) وقال تعالى ﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين

سورة المائدة : ١١٩

فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴿

يقول القرطبي (د . ت) :

” أي صدقهم في الدنيا، ويحتمل أن يكون صدقهم في العمل لله، ويحتمل أن يكون تركهم الكذب عليه وعلى رسله، وإنما ينفعهم الصدق في ذلك اليوم وإن كان نافعاً في كل الأيام لوقوع الجزاء فيه، وقيل : المراد صدقهم في الآخرة وذلك في الشهادة لأنبيائهم بالبلاغ، وفيما شهدوا به على أنفسهم من أعمالهم، ويكون وجه النفع فيه أن يكفوا المؤاخذة بتركهم كتم الشهادة فيغفر لهم بإقرارهم لأنبيائهم وعلى أنفسهم والله علم .

وقوله : لهم جنات تجري من تحتها ” أي من تحت غرفها وأشجارها، ثم بين تعالى ثوابهم، وأنه راض عنهم رضا لا يغضب بعده أبدا ” ورضوا عنه ” أي عن الجزاء الذي أتابهم به ” ذلك الفوز العظيم ” أي الظفر الذي

عظم خيره وكثر، وارتفعت منزلة صاحبه وشرف“ (ج٦ ص ٣٧٩ - ٣٨١)

وكما مدح الله الصادقين وأثنى عليهم فقد توعد الكاذبين الذين يقولون على

الله بلا علم

قال تعالى ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهداً أم

﴿ قال تعالى ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾﴾

سورة الزمر : ٣٢

وذلك ذم من الله للمفترين عليه المكذبين بتنزيله ووحيه الجاحدين لو حدانيتها، فالواجب أن يكون عقيب ذلك مدح من كان بخلاف صفة هؤلاء المذمومين المكذبين، وهم الذين دعوهم إلى توحيد الله، ووصفوه بالصفة التي اتصف بها، وتصديقهم بتنزيل الله ووحيه ناسب أن يعقب هذه الآية قوله تعالى ﴿﴾ والذي جاء بالصدق وصدق به ﴿﴾ وهذه الآية لم تخص أشخاص بأعيانهم ولا على أهل زمان دون غيرهم وإنما وصفهم بصفة ثم مدحهم بها وهي المحيي بالصدق والتصديق به فكل من كان كذلك وصفه فهو داخل في جملة هذه الآية . (محمود : ١٤١٤هـ) (ص ١٣٢)

كما عنيت السنة النبوية المطهرة بهذا المبدأ العظيم وحثت عليه وحذرت من تنكبه والقول على الله بلا علم وهذه جملة من الأحاديث تبين منزلة الصدق ومغبة الكذب وعاقبة الكاذبين

(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وأن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن لرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) (البخاري، ١٤١١هـ كتاب الأدب ج ٧ ص ١٢٤ رقم الحديث ٦٠٩٤)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب البر والصله ج ٤ ص ٢٠١٢ رقم الحديث ٢٦٠٧)

(٢) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : (أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانه، وصدق حديث وحسن خليقه وعفة في طعمه) (المنذرى ١٤٠٧هـ، ج ٣ ص ٥٨٩ وقال رواه أحمد والطبري والبيهقي بأسانيد حسنة)

(٣) وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما : (حفظت من رسول الله ﷺ : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة)

(الترمذي، ١٤١٣هـ كتاب صفة القيامة ج ٤ ص ٦٦٨ رقم الحديث ٢٥٢٠،

النسائي د . ت ، كتاب الأشربة ج ٨ ص ٣٢٧)

(ابن الأثير، ٤٠٣هـ ج ٦ ص ٤٤٣ رقم الحديث ٤٦٤٢، وقال حديث صحيح)

٤) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قلنا يا نبي الله من خير الناس ؟ قال : ذو القلب المخموم، واللسان الصادق، قال : يا نبي الله، قد عرفنا اللسان الصادق فما القلب المخموم ؟ قال التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي، ولا حسد قال : قلنا يا رسول الله، فمن على أثره ؟ قال : الذي يشنا الدنيا، ويحب الآخرة، قلنا ما نعرف هذا فينا إلا رافع مولى رسول الله ﷺ، فمن على أثره ؟ قال : مؤمن في خلق حسن قلنا : أما هذه ففينا (المنذري ١٤٠٧هـ ج ٣ ص ٥٩٠ رواه ابن ماجه بإسناد صحيح) وهناك أحاديث كثيرة تبين منزلة هذا الخلق العظيم وفضل وعظيم الأجر للمتصفين به، فقد كان من صفات الأنبياء والمرسلين ومن سار على منهجهم من الصالحين ومن تتبع آيات القرآن الكريم يجد هذه الخصلة الكريمة والصفة العظيمة اتصف بها الأنبياء والمرسلين، وهذه بعض الآيات للإشارة إلى هذه السمة التي اتصفوا بها .

قال تعالى ﴿ واذكر في الكذب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ﴾ سورة مريم : ٤١

وقال تعالى ﴿ واذكر في الكذب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ﴾ (سورة مريم: ٥٤)

وبما أن الصدق كان في مقدمة الصفات التي اتصف بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه . فقد اتصف بهذا الخلق الكريم قبل بعثته وبعدها، حتى كان يلقب " بالصادق الأمين " فكان المثل الأعلى والقدوة الحسنة فربى صاحبته الكرام عليها حتى ضربوا أروع الأمثلة في صدقهم . وهذه بعض الأحاديث التي تشير إلى هذا الخلق العظيم الذي تمثل في شخصه ﷺ.

١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين،

ورمطك منهم المخلصين ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه

فقالوا : من هذا ؟ فاجتمعوا إليه، فقال : " أرأيتم إن أخبرتكم، أن خيلاً تخرج من

سفع هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟

قالوا : ما جربنا عليك كذباً . قال : " فإنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد " .

قال أبو لهب : تبا لك، ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام . فنزلت ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾

وقد تب . (البخاري، ١٤١١هـ كتاب التفسير ج٦ ص١١٤ رقم الحديث ٤٩٧١)

٢) وعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : كان أول ما بدىء به رسول الله ﷺ

الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حجب إليه

الخلاء فكان يلحق بغار حراء فيتحنث فيه، حتى فاجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه

الملك فقال : اقرأ . فقال رسول الله ﷺ : " ما أنا بقارئ ... إلى أن قال له : ﴿ اقرأ

باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان

ما لم يعلم ﴾ (سورة العلق : ١ - ٥)

فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقالت : " زملوني

زملوني " فزملوه . حتى ذهب عنه الروع . قال لخديجة : " أي خديجة مالي لقد

خشيت على نفسي ؟ " فأخبرها الخبر . قالت خديجة : كلا أبشر، فوالله لا يخزيك

الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم،

وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق ... " .

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب التفسير ج٦ ص١٠٥، رقم الحديث ٤٩٥٣)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب الإيمان ج١ ص١٣٩ رقم الحديث ١٦٠)

فالتربية الاسلامية معنية بغرس فضيلة الصدق في نفوس الناشئة حتى يشبوا

عليها من صغرهم يألفوها يعتادوا عليها في جميع أحوالهم .

أنواع الصدق :-

إن فضيلة الصدق المتمثلة في نفس صاحبها يكون لها تأثير في سلوكه ومعاملته،

سواء كان مع الله تبارك وتعالى، أو مع عباده جل ثناؤه، وهذه الفضيلة التي يتصف

بها الإنسان لها عدة أنواع نذكر منها على سبيل الإيجاز ما يلي :-

• الصدق الأول : صدق اللسان، وذلك لا يكون إلا في الإخبار، أو فيما

يتضمن الإخبار وينبه عليه، والخبر إما أن يتعلق بالماضي أو بالمستقبل، وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه . وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق، وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها . فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق .

الصدق الثاني : في النية والإرادة ! ويرجع ذلك إلى الإخلاص، وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى، فإن مزاجه شوب من حظو النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يسمى كاذبا، ولكن كذبه في إرادته ونيته . وقد قال بعضهم : الصدق صحة التوحيد في القصد، وكذلك قول الله تعالى : ﴿والله

يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ سورة المنافقون : ١

وقد قالوا إنك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان، بل من حيث ضمير القلب، وكأن التكذيب يتطرق إلى الخير . وهذا القول يتضمن إخباراً بقرينه الحال إذ صاحبه يظهر من نفسه أن يعتقد ما يقول، فكذب في دلالاته بقرينه الحال على ما في قلبه، فإنه كذب في ذلك، ولم يكذب فيما يلفظ به، فيرجع أحد معاني الصدق إلى خلوص النية وهو الإخلاص، فكل صادق لابد وأن يكون مخلصا .

•الصدق الثالث : صدق العزم، فإن الإنسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه : إن رزقي الله مالا تصدقت بجميعة - أو بشطره، أو إن لقيت عدوا في سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال وإن قتلت . فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه، وهي عزيمة جازمة صادقة، وقد يكون في عزيمة نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة، فكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة والصادق والصديق هو الذي تصادف عزمته في الخيرات كلها قوة تامة، ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد : بل تسخو نفسه أبدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات .

الصدق الرابع : في الوفاء بالعزم، فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال إذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة، فإذا حقت الحقائق، وحصل التمكّن، وهاجت

الشهوات، انحلّت العزيمة وغلبت الشهوات، ولم يتفق الوفاء بالعزم، وهذا يضاد الصدق فيه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ سورة الأحزاب: ٢٣

• **الصدق الخامس:** في الأعمال، وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنة لا يتصف هو به، لا بأن يترك الأعمال، ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر.

الصدق السادس: وهو أعلى الدرجات وأعزها، الصدق في مقامات الدين، كالصدق في الخوف والرجاء، والتعظيم والزهد، والرضا والتوكل، والحب وسائر هذه الأمور. فإن هذه الأمور لها مباد ينطلق الاسم بظهورها، ثم لها غايات وحقائق، والصادق المحقق من حقيقتها، وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقاً فيه، كما يقال: فلان صدق القتال. ويقال: هذا هو الخوف الصادق، وهذه هي الشهوة الصادقة. وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ إلى قوله: ﴿أولئك هم الصادقون﴾ سورة الحجرات: ١٥

وقال تعالى ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر﴾ إلى قوله تعالى ﴿أولئك الذين صدقوا﴾ سورة البقرة: ١٧٧

(الغزالي ١٤١٢هـ - ٤٤٠ ص - ٥٦٦ ص)

فالصدق في جميع أنواعه ومستوياته هو السبب الوحيد للتخلص من الكربات وهامهم أولاد يعقوب في حالة عصبية يتشاورون بينهم أي الطريق يسلكون من المأزق الذي هم فيه، يذكرهم كبيرهم بخلق رفيع لئلا ينحرفون مع حل قد بنجيتهم ظاهراً، ولكنه ينافي مقامات الوفاء والأخلاق، ولئن كانوا وقعوا في الكذب في قصة يوسف فلا يجوز الأمر هنا، لأن موثقاً قد تم بينهم وبين أبيهم والله شاهد عليه ﴿قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله﴾ سورة يوسف: ٨٠

إذا ما الحل وأين المخرج؟

يجيبهم : عليكم بالصدق فهو منجاة : ﴿ فقولوا يا بآنا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما

سورة يوسف : ٨١

علمنا وما كنا للغيب حفظين ﴿

(العمر ١٤١٣هـ - ١٨٤ص)

وهكذا يكون أثر الميثاق في تربية النفوس على الأخلاق الحسنة والصفات الجميلة، ويرد النهي عن جميع الصفات التي تنافي الدين الإسلامي والأخلاق الحسنة من الكفر والكذب، والغش والخيانة، وقول الزور والتعالى والتطاول على عباد الله فقد توعد الله من يتصف بهذه الأخلاق السيئة بشديد العقاب قال تعالى ﴿ أفريت الذي كفر بآتنا وقال لأوتين ما لا أولدا ﴿ أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً ﴿ كلا سنكتب ما يقول ونمد له من

سورة مريم : ٧٧ - ٧٩

العذاب مدا ﴿

وقال ﷺ : (إن كذبا على ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمداً

فليتبوأ مقعده من النار) (البخاري، ١٤١١هـ، كتاب الخناز ج ٢ ص ١٠١ رقم الحديث ١٢٩١)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ في المقدمة، ج ١ ص ١٠ رقم الحديث ٤)

وقد رسم الرسول الكريم ﷺ للمعلمين منهجا قويمًا وطريقًا مستقيما في التحلي بصفه الصدق ليكسب ثقة المتعلم به وبعلمه ويكسبه احترامه وتقديره عن عبدا لله بن عامر ؓ على أنه قال : " دعنتي أمي يوما ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت : ها تعال أعطيك، فقال رسول الله ﷺ : " وما أردت أن تعطيه ؟ قالت : أم عطية، ثمرة، فقال لها رسول الله ﷺ : " أما أنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبه "

(ابو داود ١٤١٣هـ، كتاب الأدب ج ٥ ص ٢٦٥ رقم الحديث ٤٩٩١)

(ابن الأثير، ١٤٠٣هـ ج ١٠ ص ٦٠١ رقم الحديث ٨١٩٢، وقال عنه حديث صحيح)

وهكذا كان توجيهه ﷺ وحسن تعليمه وتربيته للناس .

وصدق المعلم يتمثل في الأمانة الملقاه على عاتقه من تعليم النشء ونقل المعلومات والمعارف الصادقة فلا بد أن يكون المثل الأعلى والقذوة الحسنة لطلابيه كما يجب عليه أن لا يستهين بهم سواء كانوا صغارا أو كبارا، فلوزرع كل معلم هذا المبدأ العظيم في نفوس الناشئة لاستطاعت المدرسة أن تخرج لنا جيلا صالحا صدوقا في معاملاته قادر

على تحقيق رغبات أمته وما تسعى إلى تحقيقه ومن تطلع إلى القول الكاذب والفرية على الله أو على خلقه فإنه يواجه مع طلابه بما يلي .

(١) فقد الثقة من القلوب .

(٢) ذهاب علمك وانحسار القبول .

(٣) أن لا تُصدق ولو صدقت .

(أبو زيد : ١٤٠٩ هـ ص ٤٤)

فعلى المعلم التحلي بهذه الصفة الحميد والخصلة النبيلة فهو حامل رسالة لا بد أن يكون صادقا ليتلقى القبول من طلابه، ويصبح تعليمه ذا أثر في نفوسهم .

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في الصدق:

إن للصدق آثار تربوية حميده يمكن إجمالها بما يلي :

(١) تربية الإنسان على التحلي بالأخلاق الحسنة ونبذ الصفات المذمومة

إن الالتزام بالصدق في الأقوال وفي الأفعال يربى الإنسان على ترك كل خصلة وصفة مذمومة نهى عنها الشارع الحكيم، من الكذب، وقول الزور، والشهادة بالباطل، لأن هذه الصفات المذمومة تنافي الصدق، قال تعالى ﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا

سورة الفرقان ٧٢

مروا باللغو مروا كراما﴾

فالإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، ولا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر .

(ابن قيم الجوزية ١٣٩٣ هـ ج ٢ ص ٢٩٦)

فالصدق دليل على صحة الإيمان

(٢) طمأنينة القلب وراحة البال

الصدق طمأنينة للقلب وراحة للبال وهذا لا يتأتى إلا عن طريق الصدق الذي يصدر من صاحبه، ويترك كل ما عدى ذلك . قال ﷺ (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة)

(الترمذي ١٤١٣ هـ كتاب صفة القيامة ج ٤ ص ٦٦٨ رقم الحديث ٢٥٢٠)

(ابن الأثير، ١٤٠٣ هـ ج ٦ ص ٤٤٣ رقم الحديث ٤٦٤٢، صحيح)

٣) من أسباب الهداية إلى طريق البر والنجاة من العذاب الأليم في الآخرة

الصدق سبب من أسباب الهداية إلى طريق البر والخير والصلاح

قال ﷺ: (عليكم بالصدق إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً)

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الأدب ج ٧ ص ١١٢٤ رقم الحديث ٦٠٩٤)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب البر والصله ج ٤ ص ٢٠١٣ رقم الحديث ٢٦٠٧)

كما ينحى صاحبه يوم القيامة من العذاب الأليم .

قال تعالى ﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها

أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾ سورة المائدة : ١١٩

وهذا دليل الصدق في الدنيا وهذا جزاؤه في الآخرة .

٤) الإخلاص والشجاعة والإقدام

الصدق في الأعمال يؤدي إلى اخلاصها لله تعالى والإبتعاد عن الريا والعجب .

فالصدق في الوفاء بالعزم يربي الإنسان على الشجاعة والإقدام والتضحية للجهاد

في سبيل الله بكل ما يملك قال تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا

وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ سورة الحجرات : ١٥

يقول قطب سيد (١٤٠٠هـ) :

” فالإيمان تصديق القلب بالله وبرسوله، التصديق الذي لا يرد عليه شك ولا أرتياب، التصديق المضمن الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور، والذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله، فالقلب متى تذوق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، لا بد من دفع لتحقيق حقيقته في خارج القلب في واقع الحياة في دنيا الناس، يريد أن يوحد بين ما يستشعره في باطنه من حقيقته الإيمان، وما يحيط به في ظاهره من مجريات الأمور وواقع الحياة، ولا يطبق الصبر على المفارقة بين الصورة الإيمانية التي في حسه، والصورة الواقعية من حوله، لأن هذه المفارقة تؤذيه وتصدمه في كل لحظة

ومن هنا هذا الانطلاق إلى الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، فهو انطلاق ذاتي من نفس المؤمن، يريد به أن يحقق الصورة الوضيئة التي في قلبه، ليراها ممثلة في واقع الحياة والناس، والخصومة بين المؤمن وبين الحياة الجاهلية من حوله خصومة ذاتية ناشئة من عدم استطاعته حياة مزدوجة بين التصور الإيماني، وواقعه العملي، وعدم استطاعته كذلك التنازل عن تصوره الإيماني الكامل الجميل المستقيم في سبيل واقعه العملي الناقص الشائن المنحرف، فلا بد من حرب بينه وبين الجاهلية من حوله، حتى تنشأ هذه الجاهلية إلى التصور الإيماني والحياة الإيمانية .

أولئك هم الصادقون " الصادقون في عقيدتهم الصادقون حين يقولون، إنهم مؤمنون فإذا لم تتحقق تلك المشاعر في القلب، ولم تتحقق آثارها في واقع الحياة، فالإيمان لا يتحقق، والصدق في العقيدة وفي ادعائها لا يكون".

(ج ٦ ص ٣٣٤٩، ٣٣٥٠)

وهكذا يكون الصدق في الوفاء والعزم والإقدام .

فالكذب يقابل الصدق كما أن النفاق يقابل الإيمان قال تعالى ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك

هم المتقون ﴿ سورة الزمر : ٣٢، ٣٣

ففي هذه الآية الكريمة أطلق على الإيمان لفظ الصدق، فالإيمان أساسه ودعامته فضيلته الصدق .

فالكذب صفة مذمومة نهى الشارع الحكيم عنها، وقد عد النبي ﷺ الكذب من صفات المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار، فقال : " آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا أئتمن خان " زاد مسلم " وإن صام، وصلّى وزعم

(أنه مسلم) (البخاري، ١٤١١هـ كتاب الأدب ج ٧ ص ١٢٤ رقم الحديث ٦٠٩٥)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب الإيمان ج ١ ص ٧٨ رقم الحديث ٥٩)

٥) حلول البركة

إن الصدق في البيع والشراء من أسباب حلول البركة، والكذب سبب من أسباب

محق البركة : عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، البيعان بالخيار ما لم يتفرقا . فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما : محقت بركة بيعهما "

(البخاري، ١٤١١هـ، كتاب البيوع ج٣ ص٢٤ الحديث ٢١١٠)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ كتاب البيوع ج٣ ص١١٦٤ رقم الحديث ١٥٣٢)

٦) الحلاوة والملاحة والهيبة

إن الصدق يكسب صاحبه ثلاث خصال : الحلاوة، والملاحة، والهيبة .

(ابن قيم الجوزية ١٣٩٣هـ ج٢ ص٢٧٧)

هذه بعض الآثار التربوية المترتبة على فضيلة الصدق، فضلا عما يحصل للصادق في الحياة الدنيا من تفريج الهموم والكربات وانسراح الصدر بقول الصدق وفي الآخرة من الفوز والسعادة الأبدية ليجزي الله الصادقين بصدقهم .

المبدأ الرابع: العهد والميثاق في وجوب الوفاء بالعهد.

(١) قال تعالى ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفَ بِعَهْدِكُمْ

وَأَبِي فَاَرْهَبُونَ﴾ سورة البقرة: ٤٠

(٢) وقال تعالى ﴿... وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا...﴾ سورة البقرة: ١٧٧

(٣) وقال تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ سورة آل عمران: ٧٦

(٤) وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ سورة الرعد: ٢٠

(٥) وقال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ

عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ سورة النحل: ٩١

(٦) وقال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ سورة الإسراء: ٣٤

(٧) وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسِرَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ سورة الفتح: ١٠

تعريف الوفاء:

الوفاء في اللغة: ضد الغدر يقال وفى بعهده وفاءً، وأوفى بمعنى . ووفى الشيء يعني بالكسر وفيما على فعول أي تم وكثر . والجمع أوفياء مثل صديق وأصدقاء وقد جمعها الشاعر فقال:

أما ابن طوق فقد أوفى بدمته كما وفي بقلاص النجم حاديها

(الرازي، ١٤٠٦هـ ص ٧٣٠، الفيومي ١٩٨٧م ص ٢٥٦)

وفي الاصطلاح: ملازمة طريق المواساة ومحافظة عهد الخلقاء .

(المرجاني ١٤٠٣هـ ص ٢٥٣)

وقال الإمام الغزالي (١٤١٢هـ):

”الوفاء: الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه، وبعد الموت مع أولاده

(ج ٢ ص ٢٧٠)

وأصدقائه“

يقول الأصفهاني (د. ت) :

” والوفاء يختص بالإنسان فمن فقد فيه فقد انسلخ من الإنسانية كالصدق وقد جعل الله تعالى العهد من الإيمان وصيره قواماً لأمر الناس مضطرون إلى التعاون ولا يتم تعاونهم إلا بمراعاة العهد والوفاء، ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفع التعايش، ولذلك عظم الله تعالى أمره فقال تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون ﴾“
سورة البقرة : ٤٠ (ص ٢٩٢)

فالأخلاق الإسلامية أقوى منعة وأشد حصانة من الأخلاق الوضعية لأن الهيمنة عليه أشد وأقوى ولأن عليه رقباً عتيداً من الدين نفسه ثم من الضمير الحي الذي أيقظه الدين ورباه، والعقل السليم الذي صقله الدين بأمر الله وهداه، ولا نعلم رذيلة إلا وقد نهى الإسلام عنها وبغضها للناس ورفضها العقل السليم وبجها .

وبهذا فإن الأخلاق الإسلامية متميزة، لأن التقوى محورها، والوفاء عمودها الفقري، وهي التي تكفل لمن إتصف بها بالسعادة التي تظلل الأفراد والجماعات، والسعادة المحققة لا الاوهام الملققة المائلة ولا الأطياف الزائلة .

السعادة التي تجعل الحياة الدنيا جنة صغيرة طريقاً إلى الجنة التي ينعمون فيها بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر في الآخرة . (مصري ١٤٠٧هـ ص ٥٦)
فالوفاء من الأخلاق الإسلامية الاجتماعية العظيمة التي نوه القرآن الكريم بشأنها وذكرها في سور شتى من القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية .

والحق أن الوفاء يكون في المعنويات ويكون في المحسوسات :
والمتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن الوفاء لفظ عام يدخل فيه ما كان حسيماً وما كان معنوياً :

أ (الوفاء في المعنويات :

أما الوفاء المعنوي فيشمل الوفاء بالعهد والميثاق سواء مع الله تبارك وتعالى في الإيمان به وعدم الإشراك به أو مع عباد الله من بر الوالدين والعطف على ذوي الأرحام والإحسان إلى كل صاحب حوجه ومع غير المسلمين والحق أن العهد يلزم كل

مسلم أن يفى بعهده وبعقده قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ . سورة المائدة : ١
يقول ابن عطية (١٤١٣هـ) :

” أمر الله تعالى المؤمنين عامة بالوفاء بالعقود وهي الربوط في القول
كان ذلك في تعاهد على بر أو في عقده نكاح أو بيع أو غيره ولفظ المؤمنين
يعم مؤمني أهل الكتاب إذ بينهم وبين الله تعالى عقد في أداء الأمانة فيما في
كتابهم من أمر محمد ﷺ، ولفظ العقود يعم عقود الجاهلية المبينة على بر،
مثل دفع الظلم ونحوه .

وأما في سائر تعاقدهم على الظلم والغارات فقد هدمه الإسلام فإنما
معنى الآية أمر جميع المؤمنين بالوفاء على عقد جار على رسم الشريعة،
وفسر الناس لفظ العقود بالعهود وذكر بعضهم من العقود أشياء على جهة
المثال، فمن ذلك قول قتادة ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ معناه بعهد الجاهلية ولا تحدثوا
عقداً في الإسلام، قال القاضي أبو محمد وفقه هذا أن عقد الجاهلية كان
يخص المتعاقدين إذ كان الجمهور على ظلم وضلال، والإسلام قد ربط
الجميع وجعل المؤمنين أخوة فالذي يريد أن يختص به المتعاقدان قد ربطهما
إليه الشرع مع غيرهم من المسلمين، اللهم إلا أن يكون التعاهد على رفع
نازلة من نوازل الظلمات فيلزم في الإسلام التعاهد على دفع ذلك والوفاء
بذلك العهد، وإما عهد خاص لما عسى أن يقع فيختص المتعاهدون بالنظر
فيه والمنفعة كما كان في الجاهلية فلا يكون ذلك في الإسلام. (ج ٢ ص ١٤٣)

فالواجب على كل من أعطى عهداً أن يلتزم به ويجب الوفاء به لأنه من الإيمان
كما لو حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها فليأتى التي هي خير كما أرشد إلى
ذلك النبي ﷺ بقوله : (إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك،
وإت الذي هو خير فليأت)

(البخاري، ١٤١١هـ كتاب الإيمان والنذور ج ٧ ص ٢٧٥ رقم الحديث ٢٦٢٢)

(النيسابوري، ١٤١٢هـ، كتاب الإيمان ج ٣ ص ١٢٧٣ رقم الحديث ١٦٥٢)

وهكذا كانت توجيهاته ﷺ بل لم يكتف بهذا التوجيه الكريم للأمة وتعليمه لهم
هذا الأسلوب النظري ولكنه طبق ذلك عملياً بينهم لما له من أهمية عظيمة .

ب (الوفاء في المحسوسات :

أما هذا النوع من النوع الوفاء فيشمل الوفاء في الكيل والوزن وما شابه ذلك والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد الأمر واضحاً في الوفاء لكل مكيل وموزون .

قال تعالى ﴿وأوفوا الكيل إذا كنتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ سورة الإسراء : ٣٥
قال القاسمي (١٣٩٨) :

” أي أتموه إذا كنتم لغيركم لا تبخسوه ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ أي بالميزان السوى، بلا إعوجاج ولا خديعة ﴿ذلك خير﴾ أي لكم في معاشكم لانتظام أموركم بالعدل وإيفاء الحقوق أربابها . ﴿وأحسن تأويلاً﴾ أي عاقبة ومآلاً، إذ ليس معه مظلمه يطالب بها يوم القيامة .“
(ج ١٠ ص ٢٢٧)

وقال تعالى ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا﴾ سورة الانعام : ١٥٢
فمن عهدود الله وموآثيقة قول الحق والعدل ولو كان ذا قربى ومن عهد الله توفية الكيل والميزان بالقسط ومن عهد الله ألا يقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، ومن عهد الله حرمة النفس إلا بالحق، وقبل ذلك كله من عهد الله ألا يشركوا به شيئاً فهذا هو العهد الأكبر .
(قطب سيد، ١٤٠٠هـ ج ٣ ص ١٢٣٣)

فالوفاء سواء في المعنويات أو المحسوسات من الأخلاق الاجتماعية العظيمة التي عني بها القرآن الكريم عناية فائقة، لأنه فضيلة من فضائل الإسلام ومبادئه العظيمة، وهدى من هدى الرسول الكريم ﷺ، وهو نوع من أنواع الصدق والإخلاص، والأمانة، ومظهر الشهامة والمروعة، وهو من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة والخلال الحميدة وعنون الهمم العالية يكسب صاحبه ثقة الناس به ويعظمه في عيونهم، وتصديق فيه خطرات الظنون به توثق عرى المحبة والإئتلاف وبه يكون التعاون الذي هو ضروري لسعادة الناس وسبب نجاح الصناع في صناعتهم، والتجار في تجارتهم .

(خالد ١٤٠١هـ ص ٣١)

فألوفاء يربي النفوس على الثقة والأمانة والصدق والإخلاص، فمن عرف بذلك كان مقبولاً عند الناس فيضع له القبول، لا ترد له كلمة، ولا يرفض له طلب .
فالواجب على الأمة الإسلامية أن تلتزم بهذا المبدأ العظيم، وتربي أبنائها عليه، لأن الوفاء صفة من صفات الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى ﴿إبراهيم الذي وفى﴾ سورة النجم: ٣٧ كما أن الوفاء صفة من صفات عباده المؤمنين قال تعالى ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ الذين يوفون بعهد الله ولا ينتقضون الميثاق ﴿سورة الرعد: ٢٠، ١٩﴾ وقال تعالى ﴿... والموفون بعهدهم إذا عاهدوا...﴾ سورة البقرة: ١٧٧
فألوفاء صفة من صفات المؤمنين الأخيار الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب يقومون بالوفاء والالتزام بكل ما أمر الله به من الطاعة والامثال، وبما عاهدوا عليه .

يقول الرازي (د . ت) :

” هم الذين إذا واعدوا أنجزوا وإذا حلفوا ونذروا وفوا، وإذا قالوا صدقوا، وإذا اتتمنوا أدوا“
(ج ٥ ص ٤٤)

ولقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الأمر بالوفاء بالعهد ليحث المؤمنين على التنافس والتسابق لتحقيقه دونما ملل أو كلل وهذا مقتضى الإيمان بالله تعالى .

قال تعالى ﴿... وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم...﴾ سورة البقرة: ٤٠

وقال تعالى ﴿وبعهد الله أوفوا ذلكم وصكم به...﴾ سورة الأنعام: ١٥٢

وقال تعالى ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً﴾ سورة الإسراء: ٣٤

وهذه الأوامر القرآنية في الحث على الوفاء بالعهد العامة يسأل الله عز وجل عن الوفاء بها ويجازي من نكث وأخل بها . لأن المسؤولية من المبادئ التي قرر الإسلام حصرها على الشخص الذي التزم بأوامر الله ونواهيه وقبوله في حال المخالفة لعقوبتها سواء كان ذلك الأمر لله تبارك وتعالى، أو للبشر، ويكون ذلك الشخص بحالة يكون فيها صالحاً للمؤاخظة على أعماله وتبعاتها المختلفة .
(عيسى ١٤٠٩ هـ ص ١٢٣)

ومما يدل على ذلك ما ورد في كتابه العزيز . قال تعالى ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين

عما كانوا يعملون ﴾ سورة الحجر : ٩٢ ، ٩٣

وقوله تعالى ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ﴾ سورة الأعراف : ٦

والسؤال يكون عن العهود العامة أو الخاصة .

أما الآيات التي وردت في العهود الخاصة فمنها قوله تعالى ﴿ وإذا أخذ الله ميثق النبيين

لماء أتيتكم من كتب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه . . ﴾ سورة آل عمران : ٨١

وقوله تبارك وتعالى ﴿ وإذا أخذ الله ميثق الذين أتوا الكتب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه

وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون ﴾ سورة آل عمران : ١٨٧

الحث على الوفاء بالعهود والمواثيق :

لقد أمر الله عباده بالوفاء بالعهد والميثاق الذي هو من صفة الأنبياء والمرسلين

عليهم الصلاة والسلام، والذي هو صفة كريمة من صفات الله عز وجل وصف بها

نفسه قال تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون

ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم

به، وذلك هو الفوز العظيم ﴾ سورة التوبة : ١١١

قال ابن كثير (١٤٠٧هـ) :

” يخبر تعالى أنه عاوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله

بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على

عبيده المطيعين له، ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم الله فأغلى ثمنهم“ (ج٢ ص٤٠٦)

وقال تعالى ﴿ . . . ومن أوفى بما عهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ﴾ سورة الفتح : ١٠

قال الألوسي (١٤٠٥هـ) :

” ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً وهو الجنة وما يكون فيها مما

لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر“ (ج٢٦ ص٩٧)

وقال الرازي (د . ت) :

” والعظيم في الأجر لا يقال إلا إذا اجتمع فيه الطول البالغ والعرض الواسع والسماك الغليظ فيقال للجبل الذي هو مرتفع ولا إتساع لعرضه جبل عال أو مرتفع أو شاهق فإذا إنضم إليه الاتساع في الجوانب يقال عظيم . والأجر كذلك، لأن ماكل الجنة تكون من أرفع الأجناس وتكون في غاية الكثرة وتكون ممتدة إلى الأبد لا انقطاع لها فحصل فيه ما يناسب أن يقال عظيم، والعظيم في حق الله تعالى إشارة إلى كماله في صفاته كما أنه الحسم إشارة إلى كماله في جهاته“ (ج ٢٨ ص ٨٧)

فواجب الأمة الإسلامية أن يسارعوا ويتنافسوا في فعل الخيرات وفي مقدمتها الوفاء بالعهد فالآيات القرآنية تؤكد أن الوفاء بالعهد والالتزام به من أهم العوامل المساعدة في البنية الاجتماعية والأخلاقية لتنظيم حياة المجتمع وتنظيم التعامل فيما بينهم، المبني على الصدق والأمانة واحترام العهد والميثاق والله تبارك وتعالى عندما خلق الخلق وأوجدهم من العدم جعلهم مكرمين على سائر المخلوقات قال تعالى ﴿ولقد كرمنا بنىء آدم وحملنهم في البر والبحر ورزقنهم من الطيبات وفضلنهم على كثير ممن خلقنا

سورة الأسراء : ٧٠

تفضيلاً

فما كرم الإنسان على هذه المخلوقات إلا على ما أعطاه الله تبارك وتعالى من العقل الراجح وخلقته في أحسن الهيئات وأكملها وعلى هذا فإن الإنسان مطالب بالوفاء بما التزم به من عهد وميثاق ذلك أن العهد الذي يبرمه الإنسان هو عهد معقود باسم الله، وإنه جزء من الميثاق الذي يلتزم به تجاه ربه . (قطب محمد، ١٤٠٧هـ ص ٨٢)
وإن الناظر في السنة النبوية المطهرة يجد العناية الواضحة لهذا الخلق الكريم الذي نهجه الرسول الكريم ﷺ في معاملاته مع الصديق والعدو وربى عليه صحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين، ومما يدل على عناية السنة بهذا الخلق هذه الأحاديث النبوية :
(١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل "

(البخاري، ١٤١١هـ، كتاب الجزية والموادعة ج ٤ ص ٨٣ رقم الحديث ٣١٧٩)

٢) وعن عبد الله بن عمر رضی الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: " إن الغادر ينصب الله له لواء يوم القيامة، فيقال: ألا هذه غدرة فلان "

(النيسابوري، ١٤١٢هـ، كتاب الجهاد ج٣ ص ١٣٦٠ رقم الحديث ١٧٣٥)

٣) وثبت عنه ﷺ: " أنه قال: " من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقده ولا يشدها حتى يمضي أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء "

(الترمذي، ١٤١٣هـ كتاب السير ج٣ ص ٧١ رقم الحديث ١٥٨٠)

(ابن الأثير، ١٤٠٣هـ ج٢ ص ٦٤٧ رقم الحديث ١١٣٤، وقال الترمذي حسن صحيح)

والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة جداً ومن هنا فإن الوفاء بالعهد والميثاق واجب بصريح الايات القرآنية والأحاديث النبوية .

فالوفاء بالعهود والعقود من أهم الفرائض التي فرضها الله تعالى لنظام المعيشة والعمران، وإنما الصلاة والزكاة من وسائله، والزكاة فرع منه في وجه آخر، فإن الله تعالى فرض علينا الصلاة وهو غني عن العالمين، لتؤدب بها نفوسنا، فنعيش في الدنيا عيشة راضية، ونستحق بذلك عيشة الآخرة المرضية، إذ المصلى أجدر الناس بالقيام بحقوق عباد الله الذين هم عيال الله، بما يستولى على قلبه فيها من الشعور بسلطان الله تعالى وقدرته، وفضله وإحسانه، وعموم هذا السلطان والإحسان له وللناس كافة والإخلاف من الذنوب الهادمة للنظام، المفسدة للعمران، المفنية للأمم، وما فقدت أمة الوفاء الذي هو ركن الأمانة وقوام الصدق إلا وحل بها العقاب الإلهي، ولا يعجل الله الانتقام من الأمم لذنب من الذنوب يفشو فيها، كذنب الإخلال بالعهد والإخلاف بالوعد .

(الشرباصي ١٤٠٧هـ ج٢ ص ٢٠٦)

يقول فلسفي (١٣٨٨هـ) :

" إن الطفل يدرك بفطرته الطبيعية لزوم الوفاء بالعهد في الوقت الذي لا يدرك المسائل العلمية والعقلية وعند ما يعده أبوه بان يجلب له عند عودته إلى البيت شيئاً من وسائل اللعب فإنه يتوقع بصورة طبيعية أن يفني أبوه بوعده ويطمئن إلى هذا التوقع الفطري وعندما يسمع الجرس يرن ويدخل الأب يتقدم ليتناول لعبته، وينظر إلى أبيه، فإن لم يكن الأب قد وفى بوعده يتأذى الطفل، ويحس بأن حادثه على خلاف ما يتوقع قد وقعت، إن هذا

(ص ١٣)

العمل يعتبر سيئاً عند بقية الأطفال أيضا

ويمكن تربية الابناء على الوفاء بالعهد والميثاق من خلال التطبيق الفعلي لهذا المبدأ العظيم سواء في محيط الأسرة كما ذكر " فلسفي، ١٣٨٨هـ " أو في محيط المدرسه بأن يلتزم المعلم ويوفي بكل ما وعد للتلاميذ فإن أخل بذلك أهترت ثقته أمام تلاميذه وربما يظنوف ظن السوء به، كما يمكن أيضا تربيتهم على الوفاء بالعهد والميثاق من خلال تدريب القوة الارادية عند الإنسان، ذلك أن الالتزام بالوفاء بالعهد والمواثيق يقوى الإرادة من ناحيتين :

الناحية الأولى : إن الالتزام يقتضي ضبط النفس وربط الإرادة وتركيزها على العمل الذي عقد العزم على تنفيذه .

الناحية الثانية : إن الإنسان كلما التزم بعهده التي قطعها على نفسه ونفذ عملياً ما وعد بتنفيذه أدى ذلك إلى الشعور بقوة ذاتية ثم إلى قوة إرادته لأن وجود هذا الشعور أساس لوجود قوة الإرادة وبقدر ما يزداد هذا الشعور قوة تزداد الإرادة بالدرجة نفسها قوة أيضا، وخاصة إذا تربت مسؤولية على عدم تنفيذ العهود والإيمان والنذر من ذنب أو غرامة أو دفع كفارات في حالة العدول عما تعهد به أو نذره إذا لم ينفذ ما وعد بتنفيذه فيكون ذلك الشعور بالمسؤولية دافعاً ثالثاً إلى الالتزام بما التزم به وتعهد، وخاصة إذا ارتبط بالشعور الديني أو الاعتقادي (يالجن ١٤٠٦هـ ص ٤٨١)

فعلى الآباء والأمهات والمربين أن يرتقوا بتعليم أبنائهم وقلادات أكبادهم إلى المشل العليا والصفات الحسنى والأخلاق الفاضلة .

فمن أجل أن ينتشر الأمن والثقة بين أفراد المجتمع تلتزم جميع عناصره بهذا المبدأ العظيم " الوفاء بالعهد يجب أن تبذر بذور هذه الخصلة الحميدة في نفوس الأطفال من أول مراحل طفولتهم المبكرة إلى حين إدراكهم لمعنى العهد يجب أن يتلقوا هذا الدرس القيم نظريا وعمليا حتى يستقر في نفوسهم بصورة ملكة ثابتة مستقرة .

ويجب أن يربى الأطفال بصورة يجدون معها الوفاء بالعهد من واجباتهم القطعية والضرورية فلا ينقضون عهدهم وحسب، بل لا يسمحون لهذه الفكرة الفاسدة أن تمر

في خواطرهم، وهذه التربية لا تحصل إلا في المحيط الطاهر والسليم الذي أعد للطفل، والمحيط الذي لا يعرف نقض العهد والخداع .

إن الطفل يتخذ من كل كلام يسمعه أو عمل يشاهده صالحاً أو فاسداً قدوة له يجري عليها في حياته، وفي محيط الأسرة يخضع كل شيء لسلوك الوالدين ففي الأسرة التي يلتزم الأبوان فيها بعهودهما ولا يخلفان مواعيدهما، ولا يخدعان الطفل، ينشأ الطفل على هذه الفضائل الحميدة، أما الأبوان اللذان يرتكبان الأفعال الفاسدة، فإن طفلهما يتأثر بأفعالهما وينشأ على تلك الأساليب المنحرفة . (فلسفي ١٣٨٨هـ ص ٢٥)

فالأدب الجم والتربية السليمة يفرضان على صاحبهما الوفاء بالعهد والميثاق واحترام المواعيد .

ويرى حجة الإسلام الغزالي : أن الوفاء يلزمه عدة أشياء منها :

١) يقتضي وفاؤك لأخيك في الله تعالى أن تراعى جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم فإن ذلك أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه .

٢) من الوفاء أن لا يتغير حال الإنسان في التواضع مع أخيه وأن ارتفع شأنه، أو عظم جاهه، فالترفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم .

والشاعر يقول :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

٣) من لوازم الوفاء أن يجزع الإنسان لفراق أخيه .

٤) من لوازم الوفاء أن لا يسمع الإنسان وشاية في أخيه .

٥) من لوازم الوفاء ألا يصادق الإنسان عدو أخيه .

(الشرباصي، ١٤٠٧هـ ج ٢ ص ٢٠٧)

وإذا كان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد بينا فضيلة الوفاء بالعهد

والميثاق فإنهما بينا عاقبة وشناعة الناقضين للعهد والميثاق ومغبة الخيانه والعذر

قال تعالى ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم

الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم﴾ سورة آل عمران : ٧٧

يقول الطبري (د . ت) :

” إن الذين يستبدلون بتركهم عهد الله الذي عهد إليهم، ووصيته التي أوصاهم بها في الكتب، التي أنزلها الله إلى أنبيائه باتباع محمد وتصديقه، والإقرار به، وما جاء به من عند الله وبأيمانهم الكاذبة التي يستحلون بها ما حرم الله عليهم من أموال الناس التي أوثمن عليها ثمننا، يعنى عوضا وبدلاً خسيسا من عرض الدنيا وحطامها ” أولئك لاخلاق لهم في الآخرة.

يقول : فإن الذين يفعلون ذلك لاحظ لهم في خيرات الآخرة، ولا نصيب لهم من نعيم الجنة وما أعد الله لأهلها فيها دون غيرها . ” ولا يكلمهم الله ” أي ولا يكلمهم الله بما يسرهم ولا ينظر إليهم ” ولا يزيكهم ” أي ولا يظهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم ” ولهم عذاب أليم ” يعنى ولهم عذاب موجه “. (ج ٣ ص ٣٢٠، ٣٢١)

وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَنْتَقِضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ

في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ سورة الرعد : ٢٥

فالأمة الإسلامية في أمس الحاجة في هذا العصر إلى هذا الخلق الكريم حينما نجد أنه أنحلت كثير من العلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية يرجع السبب في ذلك إلى انتشار الكذب والغدر والخيانة وتفشيها بين أفراد المجتمع .

فالواجب تربية النفوس على هذا الخلق النبيل الذي هو أساس الروابط الاجتماعية والعلاقات الإنسانية .

فواجب الأسرة أن تغرس فضيلة الوفاء بالعهد في نفوس أبنائها لأنها المعقل الأول الذي يتلقى فيه الطفل بعض المفاهيم والسلوكيات التي ربما يتأثر بها، فعلى الأسرة تهيئة الظروف المناسبة في محيط الأسرة ليتمكن الطفل من اكتساب الأخلاق الفاضلة التي يتعلمها من الأسرة الصالحة وفق تعاليم المبادئ الإسلامية الخالدة، كما على المربين أن يلتزموا بالوفاء بالقول وبالفعل أمام تلاميذهم وليحذروا مخالفة ذلك، فإن المربي هو القدوة الصالحة للتلاميذ فلا يخالف قوله فعله، فيحدث ما لا تحمد عقباه، من عوامل سيئة ربما تنزل أفكار التلاميذ، فواجبه أن يكون قدوة صالحة ينهل

التلاميذ من علمه الوافر وأخلاقه الحسنة .

الآثار التربوية لآيات العهد والميثاق في الوفاء بالعهد

١ (تربية الإنسان على أن الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين:

قال تعالى ﴿ وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم

مؤمنين ﴾

سورة الحديد : ٨

فالإيمان بالله وبالرسول .. أثر تنبثق منه آثار كبرى فإذا آمن الإنسان حقق لنفسه السعادة في الدارين، والمجتمع الذي ينتشر فيه الإيمان وتسوده المحبة والألفة مجتمع آمن مستقر يرفل جميع أفرادها بالطمأنينة ويعمه السلام، ولا يلتزم بالوفاء بالعهد والمواثيق إلا من اتصف بالإيمان، فمن صفاتهم الوفاء بالعهد والميثاق، قال تعالى ﴿ قد أفلح

المؤمنون .. ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ والذين هم لأمتهم وعهدهم راعون ﴾ سورة المؤمنون : ١ - ٨

٢ (الصدق والتقوى :

إن الوفاء بالعهد والميثاق دليل على صدق وتقوى من تمسك به وهذا يربي الإنسان على الالتزام بالصدق والتقوى في جميع أفعاله وأقواله قال تعالى ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله .. ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ أولئك الذين صدقوا

ووالئك هم المتقون ﴾

سورة البقرة : ١٧٧

قال الرازي (د . ت) :

” قال الواحدي رحمه الله تعالى في تفسير آخر هذه الآية : أنه قال هذه الواوآت في الأوصاف في هذه الآية للجمع فمن شرائط البر وتمام شرط البر أن تجتمع فيه هذه الأوصاف ومن قام به أو بواحد منها لم يستحق الوصف بالبر فلا ينبغي أن يظن الإنسان أن الموفي بعهد من جملة من قام بالبر وكذا الصابر في البأساء، بل لا يكون قائما بالبر إلا عند استجماع هذه الخصال ولذلك قال بعضهم هذه الصفة خاصة للأنبياء عليهم السلام لأن غيرهم لا يجتمع فيه هذه الأوصاف كلها وقال آخرون هذه عامة في جميع

المؤمنين“

(جـ ص ٤٥)

فالصدق والتقوى أثر من آثار الوفاء بعهد الله وميثاقه وثمره من ثماره كما أن هذه الصفات تتوق إليها النفوس المؤمنة وتسعى إلى تحصيلها بالقلوب الصافية من الكذب والخداع والنفاق، لما لها من عاقبة حميدة في الدنيا والآخرة .

٣) تركية أصحاب العقول السليمة :

لقد وصف الله تبارك وتعالى أصحاب العقول السليمة بصفات استحقوا بها من هذه الأوصاف وأولها الوفاء بالعهد

قال تعالى ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوالباب ﴾ الذين

يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴿

(سورة الرعد : ١٩ - ٢٠)

قال الألوسي (١٤٠٥هـ)

” إنما يتذكر أولوالباب أي العقول الخالصة المبرأة من متابعة الإلـف ومعارضة الوهم فاللب أنحص من العقل وهو الذي ذهب إليه الراغب وقيل: هما مترادفان والقصد بما ذكر رفع ما يتوهم من أن للكفار عقلاً مع أنهم غير متذكـرين ولو نزلنا منزلة المجانين لحسن ذلك“

(جـ ١٣ ص ١٣٩)

٤) حصول الأمان والثقة بين الناس وصيانة الدماء والأعراض :

وهذا الأثر عام، ولم يقتصر على المسلمين فحسب وإنما شمل الكافرين الذين لم يدخلوا في الدين الإسلامي ولكن لهم عهد مع المسلمين فالآيات دلت على وجوب الوفاء بالعهد قال تعالى ﴿ وإن سئـنـصـروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثق

والله بما تعملون بصير ﴿

سورة الأنفال : ٧٢

وفي هذا - يأمن كل فرد من الأفراد المسلم والكافر على نفسه وأهله ومجتمعه ويحصل الثقة بين الناس، وفي هذه الآية الكريمة نلمس الأثر الإيجابي وتربية النفوس على الأخلاق الحسنة والسلوك القويم، وهذا ما لمسه أعد الله الكافرين في زمن النبي ﷺ من حسن أخلاق المسلمين والتزامهم بالوفاء بالعهد والمواثيق .

٥) : تربية الفرد على أن الوفاء بالعهد يكفر السيئات ويرفع الدرجات

الوفاء بالعهد والميثاق سبب في تكفير السيئات ورفع الدرجات ودخول الجنات فمن وفي بعهده والتزم بميثاقه كان على الله عهداً أن يرفع درجته ويمحو سيئاته ويدخله الجنة. قال تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بعهدي أوف بعهدكم ﴾ سورة البقرة : ٤٠
يقول الطبري (د . ت) :

” عهد الله ووصيته التي أخذ على بنى إسرائيل في التوراه أن يبينوا للناس أمر محمد ﷺ أنه رسول، وأنهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة أنه نبي الله، وأن يؤمنوا به، وبما جاء به من عند الله ” أوف بعهدكم ” عهده إياهم : أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة “
(ج ١ ص ٢٥٠)

وفي سورة الرعد لما ذكر صفات أصحاب العقول السليمة ذكر أن من صفاتهم أنهم يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ثم بين عاقبة المؤمنين بعهدهم فقال تعالى ﴿ أولئك لهم عقبى الدار * جننت عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والمملكة يدخلون عليهم من كل باب * سلم عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ سورة الرعد : ٢٢ - ٢٤

٦) الفلاح في الآخرة والسعادة في الدنيا :

قال تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون . . . ﴾ إلى قوله

﴿ والذين هم لاماتهم وعهدهم راعون . . . ﴾ سورة المؤمنون ١ - ٨

قال المراغي (د . ت) :

” حكم الله سبحانه بالفلاح لمن كان جامعاً لخصال سبع من خصال

الخير .

أ) الإيمان ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾

ب) الخشوع في الصلاة ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾

ج) الإعراض عن اللغو ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾

د (تطهيرهم لأنفسهم بأداء الزكاة ﴿﴾ والذين هم للزكاة فاعلون ﴿﴾

هـ (حفظ الفرج ﴿﴾ والذين هم لفروجهم حافظون ﴿﴾ إلا على أزواجهم أو

ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين ﴿﴾

و (رعاية الأمانة والعهد ﴿﴾ والذين هم لأمتهم وعهدهم راعون ﴿﴾

أي والذين إذا ائتمنوا لم يخونوا بل يؤدون الأمانة لأهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بما عاهدوا عليه، إذ الخيانة وخلف العهد من صفات المنافقين.

ز (المحافظة على الصلوات ﴿﴾ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴿﴾ (ج ١٨ ص ٥٥، ٦)

وهناك كثير من الآثار المترتبة على الوفاء بالعهد والميثاق . كحصول الاجر العظيم في الآخرة والتكريم الإلهي للمؤمنين بالعهد وعقبى الدار لهم، والحياة الطيبة الهينة الآمنة المطمئنة والفوز العظيم على رؤس الاشهاد وذلك جزاء كل من وفى بعهدہ والتزم بميثاقه فالوفاء بالعهد والميثاق خلق اسلامي ومطلب اجتماعي جدير بكل مسلم أن يفى به، نسأل الله أن نكون من الموفين بالعهد الصادقين في الوعود . الآمنين في اليوم الموعود.

المبدأ الخامس: العهد والميثاق في القول الحسن

قال تعالى ﴿وَإِذ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ. وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾

سورة البقرة : ٨٣

والكلام الحسن هو مخاطبة الناس بأطيب الكلام وأعد به بعيداً عن الفحش والتفحش . وحسن الكلام يرجع إلى صفاء النفوس وخلوها من الشحناء والبغضاء والدسائس والأحقاد، وهو مبدأ تربوي عظيم الأثر في نفوس الأفراد، لأن صاحب هذا المبدأ يحمله إلى التماس العفو والصفح عن الآخرين ويتحمل آذاهم ويتجاوز عن زلاتهم ويحسن إليهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . ومما أدب الله به رسوله ﷺ أن يدفع بالتي هي أحسن، أي يدفع أية إساءة توجه له وأية معاملة يقابل بها، وأية كلمة يواجه بها، وأي خلق، وأية خصلة تسوؤه من غيره بالتي هي أحسن، أي بالخصلة التي هي أحسن، وبالكلمة وبالطريقة وبالمعاملة التي هي أحسن، وهذا الأدب الموجه للرسول ﷺ موجه أيضاً لكل المؤمنين (الميداني ١٤١٣هـ - ١٣٠٥ ص ٤٧٥)

قال تعالى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (سورة المؤمنون : ٩٦)

وهكذا كانت التربية الإلهية لمحمد ﷺ. والقول الحسن والكلام الطيب دلالة على حسن الخلق وكمال الإيمان وهو من صفات عباد الرحمن قال تعالى ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلماً﴾ إلى قوله تعالى ﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾ سورة الفرقان : ٦٣ - ٧٢

فمن صفات عباد الرحمن التي اتصفوا بها أنهم إذا مروا باللغو مروا كراماً

يقول قطب سيد (١٤٠٠هـ) :

” لا يشغلون أنفسهم به ولا يلوثونها بسماعه، إنما يكرمونها عن ملاسته ورؤيته بله المشاركة فيه، فلمؤمن ما يشغله عن اللغو والهذر، وليس لديه من الفراغ والبطالة

ما يدفعه إلى الشغل باللغو الفارغ، وهو من عقيدته ومن دعوته ومن تكاليفها في نفسه
وفي الحياة كلها في شغل شاغل“
(ج ٥ ص ٢٥٨٠)

فالكلام الحسن مصدر عظيم للنجاح وسبب في تكوين مجتمع راق، لهذا عنى به
المربون والمصلحون، ودعوا إلى حسن مخاطبة الغير ومراعاة اللهجة اللينة، فاختيار
الكلام الحسن اللين يجعل الإنسان محبوباً في بيئته، وسبباً للترقى في مجال عمله
وللحصول على أصدقاء كثيرين يقدمون له كثيراً من المعونة في مجال هذه الحياة .

(طيارة د . ت ص ٢٢٢)

ولقد أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام أن يخاطبا فرعون
بالقول اللين قال تعالى ﴿ اذهبآ إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾

سورة طه : ٤٣ ، ٤٤

لأن الكلام برفق ولين له وقع في النفس وتأثير في القلب ويكون خيراً وسيلة
لإنجاح الدعوة ومن ثم الاستجابة والاتباع . فكم من أناس رقت قلوبهم وخضعت
رقابهم لله تعالى وكان السبب في ذلك القول الحسن والرفق واللين في الدعوة حتى
لانت قلوب الجبابرة والعصاة .

وقد أمر الله نبينا محمد صلوات ربي وسلامه عليه بالدعوة إلى الله بالحكمة
والموعظة الحسنة قال تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي

سورة النحل : ١٢٥

أحسن ﴾

يقول قطب سيد (٤٠٠ هـ) :

” على هذه الأسس يرسي القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها،
ويعين رسائلها وطرائقها، ويرسم المنهج للرسول الكريم، وللدعاة من بعده،
بدينه القويم فلننظر في دستور الدعوة الذي شرعه الله في هذا القرآن إن
الدعوة دعوة إلى سبيل الله، لا لشخص الداعي ولا لقومه فليس للداعي من
دعوته إلا أنه يؤدي واحبه لله، لا فضل له يتحدث به، لا على الدعوة ولا
على من يهتدون به، وأجره بعد ذلك على الله . والدعوة بالحكمة، والنظر
في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا

يتقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنوع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيره فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه .
وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية، فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدى القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ .
والجدل بالتي هي أحسن : بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقييح، حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول الحق . فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها، والجدل بالحسنى، هو الذي يطمئن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونه، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها في سبيل الله لا في سبيل ذاته ونصرة رايه وهزيمة الرأي الآخر، وهذا هو منهج الدعوة ودستورها ما دام الأمر في دائرة الدعوة باللسان والجدل بالحجة .“ (ج ٤ ص ٢٢٠١، ٢٢٠٢)

فاللسان من أعظم الجوارح خطراً على الإنسان لأنه رحب الميدان ليس له مرد ولا لجاله منتهي وحد، له في الخير مجال رحب، وله في الشر ذيل سحب، فمن أطلق عذبة اللسان، وأهمله مرخي العنان، سلك به الشيطان كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة .
(الغزالي ١٤١٢هـ ج ٣ ص ١٦٣)

يقول ﷺ: " رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال : ألا خيرك بملاك ذلك كله ؟ " قلت بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال : " كف

عليك هذا " قلت يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : " ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم ؟ " (الترمذي، ١٤١٣هـ، كتاب الإيمان ج ٥ ص ١٢، ١٣ رقم الحديث ٢٦١٩،

ابن الأثير، ١٤٠٣هـ ج ٩ ص ٥٣٤ رقم الحديث ٧٢٧٤، وقال عنه حديث صحيح)

يقول العيد (د . ت) :

" في قوله كف عليك هذا ... إلى آخره حظه أولاً على جهاد الكفر، ثم نقله إلى الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس وقمعها عن الكلام قمعاً يؤذيها ويرديها فإنه جعل أكثر دخول الناس النار بسبب ألسنتهم " . (ص ٧٥)

وهكذا كان التوجيه النبوي الحكيم والتربية الإسلامية الحقة التي وضع رسول الله ﷺ معالمها وحدد طرقها ومسلكها .

ثم قال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم : " من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة " (البخاري، ١٤١١هـ كتاب الرقاق ج ٧ ص ١٢٣٥ رقم الحديث ٦٤٧٤) فالقول الحسن والكلام الطيب مبدأ عظيم الأثر في النفوس أمر الله به وحث عليه في عدد من سور القرآن مع اختلاف اللفاظ ولكنها من حيث دلالتها فهي واحدة أو من حيث أسلوب عرض القول الحسن فنجد أن القرآن يأمر به صراحة كما يامر بإماراته وهذا هو الأسلوب القرآني في تربية الأمة .

قال تعالى ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ

عدواً مبيناً ﴾ سورة الاسراء : ٥٣

يقول ابن كثير (١٤٠٧هـ) :

" يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزع الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال ووقع الغش والمخاصمة والمقاتلة فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم " (ج ٣ ص ٤٩)

فأولى الناس بالخطاب القائمين على تربية الأبناء لأنهم قادرين على غرس الكلمة

الطيبة والخلق الكريم في نفوس الناشئة، وفي هذا تتجلى مهمة الربى في التمسك بالأخلاق الحسنة والكلمة الطيبة فهو القدوة الصالحة الذي يؤثر تأثيراً بالغاً في نفوس الناشئة من خلال تعامله مع طلابه : من الرفق واللين، والعمو والصفح، وتحمل الأذى، والسباب والشتائم، وله في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فكان ﷺ المرئى الأول لهذه الأمة حتى انار بصائرهما وهداها إلى أفضل طريق، يقول الله تعالى في حقه ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم ﴾

سورة آل عمران : ١٥٩

والمعنى : بسبب الرحمة التي أنزلها الله عليك يا محمد عاملت قومك بالرفق ولو كنت فظاً شرساً الأخلاق في القول والعمل لتفرقوا عنك ونفروا منك وفي هذا إرشاد للمؤمنين يبين لهم أن المعاملة الكريمة والقول الحسن من الضروريات عند الأنبياء وقادة الأمم لتجتمع القلوب حولهم فيكونوا مسموعى الكلمة في قومهم وهذا هو الأدب القرآني في معاشره الناس لاقرار المودة فيما نشاهده لا غنى عنه لكل جماعة تبتغي السلام والسعادة في هذه الحياة .
وإن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد بعض الأوامر الدالة على مخاطبة الناس بالقول الحسن والصفح الجميل .

(١) قال تعالى ﴿ ... وقولوا للناس حسناً ... ﴾ سورة البقرة : ٨٣

(١) وقوله تعالى ﴿ ... ادفع بالتي هي أحسن السيئة ﴾ سورة المؤمنون : ٩٦

(٣) وقوله تعالى ﴿ ادفع بالتي هي احسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾

سورة فصلت : ٣٤

وغيرها من الآيات المؤثر في النفوس ولا يستطيع أن يدفع الإنسان الإساءة بالإحسان إلا من كان ذو إرادة قوية صبوراً يتحمل الأذى ذو حظ عظيم من هذا الخلق الكريم .

وبالمقابل فقد أمر الله تبارك وتعالى بخفض الصوت وعدم رفعه وما ذلك إلا

أمارات وعلامات للكلام الحسن قال تعالى ﴿واغضض من صوتك﴾ سورة لقمان : ١٩
كما نهى الله تبارك وتعالى المؤمنين من رفع أصواتهم عند رسول الله ﷺ وبين
الأجر والثواب لمن غض صوته . قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت

النبى﴾ سورة الحجرات : ٣،٢

وهذه الآيات صريحة في الدلالة على أن اللسان هو الأداة المستعملة في رفع
الصوت وحفظه فاللسان كما أنه أخطر الجوارح على الإنسان فهو أيضا ذو مكانة
عظيمة، وأعظم النعم التي أنعم الله بها على العبد .

فإذ سخره الإنسان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكره والوعظ والارشاد وبيان
الحلال والحرام والدعوة إلى الله تبارك وتعالى وقراءة القرآن والتهليل والتكبير والشكر،
والاستغفار، ونصرة المظلوم، وقول الحق ونحو ذلك كان من أعظم النعم وأفضلها
على الإنسان .

أما إذا سخره في غير ذلك من الكذب، والغيبة والنميمة، وقول الزور، والسخرية
والاستهزاء، فإنه نقمة عظيمة على صاحبه .

يقول (الأمام النووي ١٤٠٩ هـ) :

” علم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلاماً تظهر
المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد
ينجر الكلام المباح إلى حرام، أو مكروه، بل هذا كثير أو غالب في العادة والسلامة لا
يعد لها شيء“ (ص ٤٧٧)

وهذه بعض الآيات المختارة في وصف هذه الجارحة .

قال الشاعر:

يصاب الفتى من عشرة بلسانه وليس يصاب المرء من عشرة الرجل
فعرته بالقول تذهب رأسه وعرته بالرجل تبرأ على مهل

وقال الآخر :

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلد غنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه
كانت تهاب لقاءه الشجعانُ
وقال ثالث:

عود لسانك قول الخير تنج به
من زلة اللفظ أو من زله القدم
واحذر لسانك من نخل تنادمه
إن النديم لمشتق من النوم
(الهاشمي ١٤٠٣هـ ج ٢ ص ٧١٨)

وخلاصة القول في ذلك يجب على المسلم أن يلتزم بالقول الحسن في جميع الأقوال مع الصغير والكبير مع العالم والمتعلم ومع المسلم والكافر، فالكلام الطيب هو الذي يؤثر في النفوس ويكسبها الحب والمودة الإخاء، كما ينبغي له أن يكون يقضاً يعرف متى يتكلم ومتى يسكت .

الآثار التربوية لأيات العهد والميثاق في القول الحسن :

(١) تربية الإنسان على أن اللسان من أعظم الجوارح

إن اللسان أعظم جارحة في الإنسان فيه يتكلم بأفضل وأعظم كلمة وهي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)

كما أنه أخطر الجوارح إذ استخدمها في فحش القول والبهتان والكذب قال تعالى ﴿ إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ﴾ سورة النور : ١٥

وقال تعالى ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لاجرم أن لهم النار وأنهم مفرطون ﴾ سورة النحل : ٦٢

(٢) كسب الأصدقاء وسماع الأقوال

بالقول الحسن والكلام الطيب يكتسب الإنسان كثير من الأصدقاء الذين تربطهم روابط المحبة والمودة والإخاء . كما أنه خير وسيلة لمن أراد أن يدعو إلى الله تبارك وتعالى، فإنه سرعان ما يستجاب له ويسمع قوله . ويكسبه الخير والفضل من الله تعالى.

٣) التعبير عما في الضمير

باللسان يستطيع الإنسان أن يعبر عما في صدره من القول.

يقول ابن كثير (١٤٠٧ هـ) عند تفسير قوله تعالى ﴿ولسانا وشفقتين﴾ سورة البلد: ٩

: أي ينطق به فيعبر عما ضميره (ج٦ ص)

٤) القضاء على الخلافات الإنسانية

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا بأطيب الكلام وأعذبه ولا يكن

بالقسوة والغلظة ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لنفضوا من حولك﴾

سورة آل عمران: ١٥٩

فبالقول الحسن والكلمة الطيبة تغسل جميع الخلافات الإنسانية يقول بعض

الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح (الغزالي ١٤١٢ هـ ج٣ ص ١٨٠)

٥) الدرجات العليا في الجنة

الكلمة الطيبة والصدق في الحديث دلالة على صدق الإيمان

كما أن مما يرفع الله به الدرجات ويحقق رضاه تبارك وتعالى الكلمة الطيبة

والقول الحسن قال ﷺ: (إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أتبلغ ما

بلغت فيكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه)

(الترمذي، ١٤١٣ هـ كتاب الزهد ج ٤ ص ٥٥٩ رقم الحديث ٢٣١٩ وقال حسن صحيح)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا

يلقى لها بالاً يرفع الله بها درجات)

(البيهقي، ١٤١١ هـ كتاب الرقاق ج ٧ ص ٢٣٦ رقم الحديث ٦٤٧٨)

٦) ترقيق المشاعر وتلين القلوب

خير ما يكسر قلوب العصاة ويرفق مشاعرهم الكلام الحسن فهو أوقع في النفس،

مما يجعلهم يعودون إلى رشدهم.

وفي ختام هذا المبدأ حري بكل مربي أن يحسن في كلامه وفي مخاطبته للآخرين

ويغرس هذا المبدأ العظيم في قلوب الناشئة ويتجنب كل كلام سيء لأن فيه ضرر

خطير ولكن بالقول الحسن والصدق في الحديث يكسب ثقة الناس وحب الآخرين .
قال تعالى ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء *
تؤتي أكلا كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ سورة إبراهيم : ٢٥

الفصل السابع

مجالات تطبيق مبادئ

آيات العهد والميثاق

أولاً: الأسرة

ثانياً: المدرسة

ثالثاً: المسجد

رابعاً: المجتمع

خامساً: وسائل الإعلام

أولاً : مهمة الأسرة التربوية

مُهَيِّدٌ

الأسرة هي لبنة من لبنات المجتمع التي يتكون منها المجتمع قال تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾

سورة الروم : ٢١

ولا شك أن الأسرة تقوم بوظائف ومهام كثيرة من أهمها شأنها وأعظمها قدراً تربية أبنائها وتنشئتهم تنشئة إسلامية صحيحة بعيداً عن الغلوا في الدين أو الجفا عنه وإنما على منهج العقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة - على ما كان عليه الرسول الله ﷺ وأصحابه - والتمسك بالقيم والأخلاق الإسلامية التي وردت في الكتاب أو السنة النبوية المطهرة وبالرغم من وجود المؤسسات التعليمية المتخصصة في الوقت الحاضر ، إلا أن الأسرة تظل مهمتها التربوية فعالة في حياة أبنائها .

والأسرة هي التي تتكون من الزوج والزوجة وأبنائها وأنها تلك التي تعيش في مكان واحد والتي يسود بين أفرادها تفاعل متبادل وعلاقات خاصة ، وأنها تتمشى مع المعايير الثقافية السائدة في المجتمع مهما اختلف حجمها أو تعددت أجيالها .

(الغامدي ١٤٠٩هـ ص ٧)

فعلى الأسرة مسؤولية عظيمة تجاه أبنائها وفلذات أكبادها في تربيتهم التربية الإسلامية الحقه وصونهم عن الوقوع في مسالك الانحراف، والنزول واعتبر الدين الإسلامي أن أي انحراف أو سلوك سيء يصاب به الأبناء فإن سببه الوالدين ، أو من يقوم مقامهما في التربية والتوجيه .

يقول الغزالي (١٤١٢هـ) : مشيراً إلى أهمية التربية الإسلامية:

” اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدّها ، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه ، سعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وإن عوده الشر

أهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له “

(ج ٣ ص ١١٠)

وهذه حقائق مسلم بها في كل بيت مسلم يحرص على تأدية رسالته نحو أبنائه ،
فالأسرة هي التي تهتم بتنشئة أبنائها تنشئة اجتماعية حيث تبنى فيه الشخصية المتزنه ،
وتربى فيه الخلق الرفيع والمعاملة الحسنة كما تهتم بتنمية الجوانب الشخصية فيه سواء
كانت مادية من غذاء ، وكساء وسكن ، أو معنوية ، من غرس العقيدة الصحيحة في
نفسه ، وتعليمه الشعائر التعبدية .

وعلى هذا فالأسرة مسؤولة أمام الله تبارك وتعالى ثم أمام المجتمع عن أي سلوك
أو انحراف تكون الأسرة قد فرطت في تربية أبنائها .

فعلى الأبوين تقع مسؤولية تربية الأبناء ووقايتهم من الخسران والشر والنار ، التي
تنتظر كل إنسان لا يؤمن بالله أو يتبع غير سبيل المؤمنين .

وهذه المسؤولية تزداد أهمية في الوقت الحاضر لأن بعض عناصر الحياة
الاجتماعية خارج الأسرة والمسجد ، ليست في كل الأحيان موافقه لهدف التربية
الإسلامية، كالمذياع والتلفزيون والبث المباشر، وبعض المجالات الخليعة والقصص
الماجنة التي تتسرب إلى أيدي الأطفال ، فإذا لم يبق الأبوان يقظين حذرين ، لم
يستطيعا إنقاذ أبنائهما من اجتيال الشياطين شياطين الإنس والجن .

(النحلوى ١٤٠٣ هـ ص ١٣٦)

ولذا فإن على الأسرة تجاه أبنائها أن تقوم بمهمتها التربوية في جوانب متعددة من

أهمها:

١) مهمة الأسرة في التربية العقديّة والتعبدية :

إن الأسرة لها مهمة كبرى ورسالة عظيمة في حياة الأبناء ، وتربيتهم وتنشئتهم
على العقيدة الصحيحة التي من أجلها خلق الإنسان قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس

سورة الذاريات : ٥٦

إلا ليعبدون ﴿

فالأسرة مسؤولة عن أبنائها منذ ولادتهم ، وذلك أن الطفل يولد صافي السريرة

سليم الفطرة يولد على عقيدة الإيمان بالله قال تعالى ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها لا

سورة الروم : ٣٠

تبديلاً لخلق الله ذلك الدين القيم . . . ﴿

وقوله ﷺ: ” ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني ، يومي هذا ، كل مال نخلته عبداً حلال ، وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم

(النيسابوري ، ١٤١٢هـ كتاب الخنة ج٤ ص ٨٢١٩٧ رقم الحديث ٢٨٦٥)

فإن على الأسرة أن تحافظ على هذه الفطرة وتعهدها من حين لآخر ، وتتولاها بالتربية والتوجيه ، وتنمى فيها جميع الجوانب الإنسانية وخاصة العقيدة الإسلامية الصحيحة وتمكينها في نفسه وذلك بتزويده بالطرق والأساليب المثلى التي يتم بموجبها تكوين العلاقات الاجتماعية ، كما تقوم بتوجيهه وتعيده القيام بأنماط السلوك المقبول ، ولا شك أن الأطفال في الأسرة يتأثرون بالمناخ السائد في الأسرة ، أو بمن يخالطونهم فالواجب أن يشيع في جو الأسرة الإيمان الخالص والمحبة والمودة والعطف ، والشعور المتبادل بين أفرادها وهذا له كبير الأثر في تربية الأطفال .

” فالواجب أن الطفل منذ نعومة أظفاره يرتبط بالإسلام عقيدة وعبادة ، ويتصل به منهجاً ونظماً ، فلا يعرف بعد هذا التوجيه والتربية سوى الإسلام دينا وسوى القرآن إماماً ، وسوى الرسول ﷺ قائداً وقُدوة ، وهذا الشمول لمفاهيم التربية الإيمانية مستمد من وصايا الرسول ﷺ وإرشاداته في تلقين الولد أصول الإيمان ، وأركان الإسلام ، وأحكام الشريعة . وأهم إرشاداته ووصاياه عليه الصلاة والسلام ما يلي :

(أ) أمره بالفتح على الولد بكلمة [لا إله إلا الله] لتكون كلمة التوحيد أول ما

يقرع سمع الطفل ، والتأذين في أذن المولود اليمنى والإقامة في اليسرى . ولا

يخفي على أحد ما لهذا العمل من أثر في تلقين الولد أصل العقيدة ومبدأ

التوحيد والإيمان .

(ب) تعريفه أول ما يعقل أحكام الحلال والحرام .

(ج) أمره بالعبادات وهو في سن السابعة .

(د) تأديبه على حب رسول الله ﷺ وحب أهل بيته ، وتلاوة القرآن الكريم .“

(علوان ١٤٠١هـ - ١٤٨ ص)

فغاية التربية الإسلامية تتمثل في غرس أركان الإيمان في نفوس الناشئة ومما لا شك فيه أن التربية الإسلامية أهتمت بتربية الولد منذ نعومة أظفاره إذ هو مولود على العقيدة الصحيحة فواجب الأسرة أن لا تهمل تعليم أبنائها أحكام العقيدة الصحيحة لأنهم في هذه المرحلة يستجيبون لكل ما يلقي إليهم فإذا غرست أركان الإيمان في قلوبهم كانوا خيراً وصلاًحاً لأسرتهم .

يقول (المصرى : ١٣٩٨هـ) :

”وعلى الأسرة أن تلقن أولادها العقيدة الصحيحة منذ نعومة الأظفار ، فيجب عليها حيال الصغير ألا تهمل تعليمه العقيدة الصحيحة ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، فإن العقيدة غذاء ضرورى للروح كضرورة الطعام للأجسام ، والقلب وعاء تنساب إليه العقائد من غير شعور صاحبة إذا كان لا يعلم ما يتبعه ، فإذا ترك الصغير وشأنه كان عرضة لاعتناق العقائد الباطلة والأوهام الضارة“ (ص ١٣٩)

وبهذا تكون الأسرة حافظت على الفطرة السليمة وحمت صغيرها من الانحراف ومن دعاة الفتن والضلال الذين يتلمسون العثرات ويصطادون في الماء العكر ، فإذا ترك الأبناء بدون موجه ومرشد يبين لهم طريق الحق والصواب ، ويعددهم عن طريق الشر والضلال وقعوا فريسة سهلة لدعاة نار جهنم من أجايبهم قذفوه فيها .

فالأسرة هي الحصن الحصين للأبناء بصلاحتها يصلح الأبناء وبفسادها يفسد الأبناء فالواجب عليها تعليم أبنائها الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسوله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، فإذا نشئ الولد على التربية الإسلامية الصحيحة كان عضواً فعالاً في مجتمعه ذا ثمرة يانعه تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.

فتربية الأولاد على العقيدة الصحيحة هو سر فلاح الأسر وسعادتها في الدنيا والآخرة فكم من أسر سعيدة جنت ثمار تربية أبنائها على العقيدة الصحيحة وكم من

أسر تجرعت الآلام غصصا بسبب سوء تربيتهما لأبنائهما مما جعل الأبناء ينحرفون عن طريق الهدى والرشاد، نسأل الله السلامة والعافية.

يقول قطب محمد (١٤٠٣هـ) :

”ومن البدايه في منهج التربية الإسلامية أنه ينبغي أن يكون الوالدان مسلمين حتى يمكنهما تنشئة أطفالهما تنشئة إسلامية . ومع بداية هذه الحقيقة فكم من الذين يقولون بأفواههم إنهم مسلمون يحرصون على إسلامهم فهماً أو ممارسة ؟

كم منهم يؤدي شعائر الإسلام التعبدي فيصلي ويصوم ، ويؤدي الزكاة إن كان ممن يحب عليهم ، ويفكر في الحج إن كان من القادرين عليه؟ فضلا على أن يعرف أن [لا إله إلا الله] معناها تحكيم شريعة الله فيسعى إلى تحكيمها أو على الأقل ينكر بقلبه حكم الجاهلية ، وهو أضعف الإيمان ..

هل نعجب إذاً من أن ينشأ الأطفال بعيدين عن الإسلام وأهلهم لا يتحون الفرصة لفطرتهم أن تستقيم على طبيعتها السوية ، وإنما يعملون على انحرافها بما يمارسون هم من انحراف عن طريق الله المستقيم“

(ج ٢ ص ٨٨)

فلتحذر الأسرة من مغبة هذا السلوك وأن تلتزم بالإيمان عقيدة وعبادة تحكيماً ومعاملة وتربي أبنائها على ذلك ، والقرآن الكريم بين المنهج الذي تسلكه الأسرة في تعويد أبنائها الشعائر التعبدي ، لينشأ عليها ويتأدب بآدابها قال تعالى ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْلُكُ مِنْهَا قَانًا فَخُنُّنُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾

سورة: طه ١٣٢

وهكذا ، كانت التربية القرآنية على أهم فرائض الدين - الصلاة - والحث على تأديتها والصبر عليها والصبر لا يأتي إلا بخير .

وقال تعالى ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾

سورة: مريم ٥٥

وهذا حكاية عن اسماعيل عليه السلام ، وبما كان يقوم به من تربية الأسرة على الشعائر التعبدية من صلاة وزكاة وغيرها .

فعلى الأسرة أن تعود الناشئة على إداء الشعائر التعبدية ، وإذكاء الحس الإيماني

لديه قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ لَقْمَنُ لَبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣ ﴾

سورة لقمان : ١٣

وقال تعالى ﴿ يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ

سورة لقمان : ١٧

ذَلِكَ مِنْ عِزِّ الْأُمُورِ ١٧ ﴾

فالدعوة إلى الله تبارك وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة تحتاج من الأسرة وهي المعنية بالمقام الأول إلى الأسلوب الأمثل في تعليم الأبناء ومخاطبتهم بما يلائم سنهم لأن هذا السن له نتائج ايجابية في مجال ترسيخ العقيدة وتعليم شعائر الدين كالصلاة والحج وأحكام الصيام والزكاة - فهذا يكون له تأثيراً بالغاً في حياة الطفل يمتلك الأب بفعله ذلك جميع الوسائل الحاسه في الطفل من العقل والقلب ويقوم بتربيته عليها قال ﷺ "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع"

(ابن الاثير ١٣٩٣هـ ج ٥ ص ١٨٧ رقم الحديث ٣٢٤٣ ،)

(أبوداود، ١٤١٣هـ كتاب الصلاة ج ١ ص ٣٣٤، رقم الحديث ٤٩٥، وقال عنه حديث سن)

فمن أجل تطبيق المبادئ التربوية لآيات العهد والميثاق في الجانب العقدي والتعبدي لابد من اتباع التالي :

١- الأسرة هي المعقل الأول فيجب عليها تربية أبنائها على الوفاء بعهد الله وميثاقه في وجوب تحقيق الإيمان الكامل بالله رباً قديراً حكيماً

٢- يجب على الأسرة أن تدرب أبنائها على أداء الشعائر التعبدية. من صلاة وزكاة وجهاد وغيرها وذلك مما أخذ الله عليها العهد والميثاق في وجوب القيام بها خير قيام .

٣- ينبغي للأسرة أن تربي أبنائها على الالتزام بالمبادئ التربوية التي أخذ الله على العباد في وجوب تحقيقها سواء في جانب العقيدة أو جانب العبادة على اعتبار أن الأسرة هي الميدان الذي يتدرب فيه الناشئة على هذه المبادئ مما يساهم في تربيتهم تربية إسلامية صحيحة .

(٢) أهمية الأسرة في التنشئة الاجتماعية :

التربية الاجتماعية : هي تأديب الولد منذ نعومة أظفاره على التزام آداب اجتماعية فاضلة ، وأصول نفسية نبيلة ، تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة ، والشعور الإيماني العميق ليظهر الولد في المجتمع على خير ما يظهر به من حسن التعامل ، والأدب ، والالتزان ، والعقل الناضج والتصرف الحكيم . (علوان ١٤٠١هـ ج١ ص ٣٥٧)
فيحب على الأسرة أن تربي أبنائها على الآداب الاجتماعية السائدة في المجتمع ليتسنى لهم التعايش مع الجماعات المختلفة بصورة يسودها الاحترام والشعور المتبادل بين أفرادها ، وأهم الوسائل العملية التي تؤدي إلى تربية اجتماعية فاضله ما يلي :

(١) غرس الأصول النفسية النبيلة : ولغرس هذه الأصول النفسية في نفسيات الأفراد والجماعات أصدر الإسلام توجيهاته القيمة ووصاياها الرشيدة ، لتتم التربية الاجتماعية على أنبل معنى ، وأكمل غاية ، حتى ينشأ المجتمع على التعاون المثمر ، والترابط الوثيق والأدب الرفيع والمحبة المتبادلة وأهم هذه الأصول النفسية التي يسعى الإسلام لغرسها : التقوى التي هي نتيجة حتمية وثمره طبيعية للشعور الإيماني العميق الذي يتصل بمراقبة الله عز وجل ، والخشية منه والخوف من غضبه وعقابه ، والطمع بعفوه وثوابه ، وهي : - كما عرفها العلماء - أن لا يراك الله حيث نهاك ، وأن لا يفقدك حيث أمرك فالتقوى منبع الفضائل الاجتماعية كلها أو السبيل الوحيد في اتقاء المفسد والشرور والآثام . كما يجب تنشئتهم على مبدأ الأخوة الإيمانية ، والرحمة ، والإيثار ، والعفو ، والجرأة في قول الحق فعلى هذه الفضائل يجب أن ننشئ أبنائنا .

(٢) مراعاة حقوق الآخرين وأهم هذه الحقوق - حق الأبوين ، والأرحام واليتامى ، والمساكين ، والمعلم وحق الرفيق ، وحق الكبير ، والحقوق الزوجية

وغيرها.

٣ (التزام الآداب الاجتماعية العامة كآداب الطعام والشراب ، والسلام والاستئذان وأدب المجلس والحديث ، وآداب عيادة المريض وآداب التعزية وغيرها ، وهذه الآداب الاجتماعية لم يعتن بها دين أو عقيدة أو مجتمع كإسلام والمسلمين وهذا يدل على أن الإسلام دين اجتماعي جاء لإصلاح المجتمعات الإنسانية

٤ (المراقبة والنقد الاجتماعي وذلك بتعويد الولد منذ نشأته على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من قواعد الإسلام الأساسية في حراسة الرأي العام ، وفي محاربة الفساد والانحراف ، وفي الحفاظ على قيم الأمة الإسلامية ومثلها وأخلاقها .

(علوان ١٤٠١هـ - ج ١ ص ٣٥٨ - ص ٤٧٧)

وبالجملمة فإن الأسرة لها دور كبير في التربية الاجتماعية لذا كان لزاما عليها أن تنشئ أبنائها على الاحسان إلى الوالدين والبر بهما ولو كانا غير مسلمين لأن الدين الإسلامي أمر بذلك قال تعالى ﴿ وَإِنْ جِهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾

سورة لقمان : ١٥

وقال تعالى ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْكُمْ مَنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبْرَهُمْ وَيُقْسُوا إِلَيْهِمْ . . . ﴾

سورة المتحنة : ٨

وتربيتهم على صلة ذوي القربى والعطف عليهم ، والإحسان إلى الفقراء والمساكين وتأدية حق كل فرد من أفراد المجتمع المسلم على الوجه المطلوب ، ليصبح المجتمع كالأسرة الواحدة تسوده المحبة والوئام .

يقول الزنتاني (١٤٠٥هـ) :

”علاقة الفرد بأصدقائه ورفاقه يجب أن تبنى على الحب المخلص في الله تعالى يجتمعون عليه ويتفرقون عليه ، يتناصحون بالخير والهدى ، ويأمرون بالمعروف ، ويتناهون عن المنكر ، ويتعاونون على البر والتقوى ، والصدقة إنما تدوم بصدق النية فيها ، وتبرئتها من المنفعة المادية“

(ص ٧٩)

كما يجب على الأسرة أن تعود أبناءها الذهاب إلى المساجد لأداء الصلوات وتعليمهم كيفيتها ابتداء من الطهارة وانتهاءً بتعليمهم كيفية الصلاة من قيام وركوع وسجود وغيرها على الوجه الصحيح كما تحثهم على الإنضمام لجماعة تحفيظ القرآن ، وحفظ شيء من المتون وحفظ الأحاديث النبوية ، وتعليم السيرة لتستكمل الأسرة مهمتها في تأدية رسالتها على الوجه المطلوب ، وتحثهم كذلك على عدم إضاعة الوقت . والابتعاد عن الأماكن المشبوهة وعن مخالطة رفقاء السوء والسماع للأغاني الماجنة واللهو المحرم ، وتعودهم دائماً على سماع القول الحسن واحترام الوقت وتقدير قيمته ، وحب النظام والعمل في جو مفعم بالحب والتعاون ليكون عضواً نافعاً لأمتهم ومجتمعة .

ولكي يتم تطبيق هذه المبادئ السامية ينبغي للأسرة ما يلي :

١- أن تربي الأسرة أبناءها على الآداب والفضائل الاجتماعية التي أخذ الله عليها العهد والميثاق من بر الوالدين وصلة ذوي القربى والعطف على المساكين ... وغيرها، وتبين أهمية هذه المبادئ العظيمة وأن يكون الأب والأم القدوة الحسنة في ذلك .

٢- كما يجب على الأسرة أن تنشئ أبناءها على الآداب الاجتماعية السائدة في المجتمع من آداب الطعام والشراب وعبادة المريض وغيرها وتبين المنهج الذي يسرون عليه لتكون تلك التطبيقات ذات أثر في نفوس الأبناء .

٣- أن تحذر الأسرة أفرادها من التهاون أو التقليل من شأن هذه المبادئ وأن تقوم بزيارات ميدانية تدرّب فيها الناشئة على هذه الفضائل.

٣) أهمية الأسرة في التربية الخلقية :

للأسرة مهمة عظيمة في تربية أبنائها على الأخلاق الفاضلة والصفات النبيلة فإذا غرست في نفوس أبنائها المبادئ التالية : الصدق والأمانة والعدل ، والقول الحسن ، والوفاء وغيرها من الصفات التي هي ثمرة من ثمار الإيمان وأنه مسؤول عن جميع أفعاله وتصرفاته ، وكانت خير موجه له على ترسيخ هذه المبادئ سواء عن طريق تعليم الولد

هذه الصفات الكريمة والأخلاق القويمة ، أو عن طريق اكتساب هذه الأخلاق عن طريق الأسرة نفسها من خلال تعاملها مع الآخرين ، فالأسرة لها تأثير في نفوس أبنائها .

فحسن الخلق زينة الإنسان والذي يجعل منه إنسانا محبوبا في مجتمعه

يقول ابن قيم (١٤٠٧هـ) : في تحفة المودود

”ومما يحتاج إليه الولد غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه في هواه وطيشه وحده وجشعه فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك ، وتعتبر هذه الأخلاق صفات ، وهيئات راسخة ، فلو تحرر منها غاية التحرير فضحته ولا بد“ (ص ٢٤١)

فعلى الأسرة مسؤولية كبرى في تأديب الأولاد على الخير ، وتربيتهم على مبادئ الأخلاق الحسنة وأن تبعدهم عن أقبح الأعمال وأحط الأخلاق ، وأرذل الصفات ومن المؤسف أن ترى كثيرا من الأسر أهملت تربية أبنائها وتركت تربيتهم للخدمات أو تركتهم بدون توجيه أو إرشاد .

وأخيرا فلا بد للوالدين أن يكونا قدوة حسنة لأبنائهم ليغرسا الأخلاق الإسلامية النبيلة في نفوس أبنائهم بأساليب تربوية متنوعة بالتقليد أو بالمحاكاة وهذا ما أكدته الناصر ودرويش (١٤١١هـ) بقولهما : إن الخلق الذي يغرس في الصغر يصعب نسيانه أو تجاهلة في الكبر“ (ص: ٢٦٤)

فالأخلاق جزء أصيل من هذا الدين تتبع نبعاً مباشراً من الإيمان بالله . بممارسة المؤمن عبادة الله ، فلا هي أمور هامشية في حياة المؤمن ولا هي في حسه - خارجه عن نطاق العبادة التي يتقدم بها إلى الله . (قطب محمد، ١٤٠٧هـ ص ٢١٩)

فواجب الأب والأم أن يؤدبوا أولادهم على مكارم الأخلاق قال ﷺ: (ما نحل والد ولده من نحل أفضل من أدب حسن)

(الترمذي، ١٤١٣هـ كتاب البر والصله ، ج ٤ ص ٣٣٨ رقم الحديث ١٩٥٣)

(ابن الاثير ١٤٠٣هـ ج ١ ص ٢١٨ رقم الحديث ٢١٨ وقال عنه صححه الحاكم ورده الذهبي وقال

الترمذي غريب مرسل)

ومن هنا يظهر لنا أهمية الأسرة المسلمة كنواة أولى لغرس العقيدة السلامية

والفضائل الاجتماعية والأخلاقية ، والتعاليم الربانية المختلفة في نفوس أبنائها وبهذا تجني الأسرة ثمرة غرسها في نفوس أبنائها .

ومما ينبغي لها كذلك :

١- أن تكون قدوة صالحة في التمسك بالأخلاق الحسنة والصفات النبيلة تهتم بكل مبدأ من هذه المبادئ التي أخذ الله العهد والميثاق في وجوب تحقيقها من صدق، وعدل ووفاء وقول حسن وغيرها من المبادئ الأخلاقية التي لم تتضمنها آيات العهد والميثاق .

٢- أن تقوم الأسرة بدور عملي في تحقيق هذه المبادئ فإذا تحدثت يجب عليها الصدق في أقوالها، وكذلك العدل بين أولادها، وإذا وعدت لا بد لها من الوفاء لتكون عند حسن الظن في نظر أبنائها. وبذلك تحقق لها ما كانت تسعى إلى تحقيقه . وهذا هو التطبيق العملي .

ثانيا : مهمة المدرسة التربوية :

تتبوأ المدرسة أهمية كبيرة من بين المؤسسات التربوية ، إذ هي مؤسسة اجتماعية تربوية متميزة انشأها المجتمع وأتمنها في تربية وتنشئة أبنائه وتعليمهم وإعدادهم فكريا لمواجهة الأفكار والتيارات المنحرفة والرد عليها لمواجهة الجسما للدفاع عن العقيدة الإسلامية والذود عن المقدسات ، وروحيا بما يتصل به ويربطه بخالفة - وهي بحق أحد المؤسسات التي تعد الشباب على مواجهة كل ما يحدث للأمة من مشكلات ، ولم يعد دورها مقصورا على التربية فقط بل اتسعت وتشعبت مهمتها نظراً للمتطلبات العصر وتقدم الحضارات

والمدرسة هي كما يعرفها (التوم ١٤٠٤ هـ) :

”بأنها مؤسسة تربوية تنقل تراث الأمة للأجيال الناشئة وتكون عوناً على نهضة المجتمع وتقدمه . وهي خصوصا في المجتمعات النامية . أداة لإصلاح المجتمع وتطويره ، فرسالتها أوسع مدى ، وآثرها في تكوين الجيل المؤمن وخلق النظام الاجتماعي أعمق وأبلغ ..“

(ص ٦١)

وتعتبر المدرسة المؤسسة التربوية الثانية بعد الأسرة من حيث تربية النشء وتنظيم وقته وميدان يتعلم فيه وينهل منه العلوم والمعارف ، وتأتي المدرسة في المقام الثاني بعد المسجد من حيث قدرتها على نشر التربية الإسلامية وجعلها واقعا حيا بين أفراد المجتمع وتساهم المدرسة في تربية الأبناء تربية اسلامية من خلال وضع الأهداف التربوية المنشودة والمناهج وإعداد المعلم إعدادا جيدا . فهي بذلك تحقق التربية الإسلامية بأسسها الفكرية والعقلية والتشريعية وبأهدافها وعلى رأسها هدف عبادة الله وتوحيده والخضوع لأوامره وشريعته وتنمية كل مواهب النشء وقدراته على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها .

(التحلوى ١٤٠٣ ص ١٤٨)

وللمدرسة دور مهم وبارز في تحقيق جوانب التربية الإسلامية سواء العقديه أو التعبدية أو الاجتماعية أو الأخلاقية ومهمتها التربويه متممه لمهمة الأسرة التي سبق وأن أصلت في نفوس أبنائها هذه الجوانب ومن ثم تسعى المدرسة جاهده لغرس هذه الجوانب وتنميتها في نفوس الناشئة وبالتالي يتمكن الناشئة من الأفاده من كل ما تقدمه هذه المؤسسة التربوية في بناء الشخصية بناء قويا في جميع جوانبها بصورة لا تعارض فيها ، تؤدي به إلى تحقيق الأهداف المنشودة .

١) مهمة المدرسة في التربية العقديه والتعبدية :

إن التربية العقديه جانب واحد من أهم جوانب التربية الإسلامية لذا كان لزاما على المدرسة أن تضع المنهج العقدي في كل شيء يدرسه الطالب من خلال معرفة آيات الله تعالى في الافاق وفي الأنفس حتى يستشعر عظمة الله تبارك وتعالى وبديع صنعه ولن يتحقق ذلك إلا بغرس أصول الدين وقواعده في نفوس الناشئة وتغذية الوازع الديني لديهم القائم على الفهم الصحيح لتعاليم العقيدة الإسلامية الصحيحة وتقوية نزعة الخير لديهم وتعويدهم على تأدية الشعائر التعبدية جماعه في المدرسة وحثهم على مكارم الأخلاق والمعاملة الحسنة مع زملائهم ومع معلمهم وابعادهم عن العقائد الفاسدة والبدع المنكرة التي تتعارض مع العقيدة الإسلامية الصحيحة وتشوه

اتجاهاتهم السليمة .

يقول علوان (١٤٠١ هـ) :

”و حينما تكون التربية بعيدة عن العقيدة الإسلامية مجردة من التوجيه الديني والصله بالله عز وجل .. فإن الطفل - لا شك - يتزعزع على الفسوق والانحلال وينشأ على الضلال والاحاد ، بل سيتبع نفسه هواها ويسير خلف نوازع النفس الأماره ووساوس الشيطان وفقا لمزاجه وأهوائه وأشواقه الهابطة “

(ج١ ص ١٦٨)

فالمدرسة لا تستطيع أن تقوم بدورها التربوي في المجتمع الإسلامي إلا إذا وضع مناهج التربية الصحيحة كما يريد الإسلام وأهله واتفقت جميع وسائل التربية في ذلك البيت والمدرسه والمجتمع وأظهر ذلك الإعلام عبر وسائله المختلفة فبذلك تحقق المدرسة أهدافها التربوية .

فالمدرسة عندما تقدم العقيدة والعلم إلى الناشئين تعتمد إلى تصفية الحقائق وتنقيتها من كل الشوائب والأخطاء والمبالغات والأكاذيب ، لتبقى عقيدة الناشئين سليمة وعقولهم قويمة ومعارفهم صحيحة .

(النحلوى ١٤٠٣ هـ ص ١٥١)

فالواجب على المدرسة ألا تغفل عن أهم المبادئ التي يقوم عليها الإسلام في تربية أبنائه على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ومخالفة أصحاب العقائد الفاسده واتباع الذين يضلون الناس بغير علم قال تعالى ﴿

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿

سورة الجاثية : ١٨ ، ١٩

يقول (ابن تيميه د . ت) في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم:

” إن الله جعل محمدا ﷺ على شريعة من الأمر شرعها له وأمره

باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون ، وقد دخل في الذين لا

يعلمون كل من خالف شريعته

(و أهوائهم) هي ما يهوونه وما عليه المشركون من هديهم الظاهر

الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك . فهم يهودونهم وموافقتهم فيه اتباع لما يهودونه ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين لهم في بعض أمورهم ويسرون به ويودون أن لو بذلوا مالا عظيما ليحصل ذلك ، فلو فرض أن العقل ليس من اتباع أهوائهم فمخالفتهم فيه أحسم لمادة متابعتهم في أهوائهم وأعون على حصول مرضاة الله في تركها وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعه إلى موافقتهم في غيره فإن (من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه) (ص: ١٤)

وعلى هذا فإن أهم مظاهر مخالفة أصحاب العقائد الفاسدة والتي يجب على المدرسة أن تحرص على تربية الناشئة تربية إسلامية صحيحة مبنية على العقيدة الإسلامية الخالصة كما يجب عليها إقامة الصلاة في اليوم الدراسي وحث الناشئة على تأديتها لتكون التربية واقعا عمليا حيا بين المتعلمين وبالتالي فالشعائر التعبديية هي الوسيلة الفعالة لتربية الروح ، فالعبادات المفروضة من صلاة وزكاة وحج وصيام تعمل على تربية الروح وهي تواجه الحياة الواقعية بما فيها من مشكلات وعقبات وتواجه نقل الجسم ودفعة الشهوات“ (قطب، محمد ١٤٠٠ في النفس والاجتمع ص ٨٥)

كما يجب عليها أن تخلق روح الجهاد في سبيل الله في نفوس الناشئة والحث عليه وبيان فضل الجهاد في سبيل الله وذلك بإدراج بعض المواضيع الجهادية ضمن مفردات المواد الدراسية ثم تتولى بعد ذلك المدرسة التربية الجهادية وخلق روح الشجاعة والإقدام والثبات للمؤمن الصادق هو الذي لا يتأخر عن منادى الجهاد في أي وقت يكون الجهاد وما ذلك إلا للمنزلة الرفيعة التي ينالها الشهيد في سبيل الله فترية النشء على الجهاد في سبيل الله أحد أهداف المدرسة التي ينبغي أن تحققه في نفوس الناشئة بأي نوع من أنواعه المعروفة .

إذ لابد للمدرسة في تحقيق هذا الجانب الهام ما يلي :

١- أن تحرص على تحقيق الجانب العقدي في نفوس الناشئة بشتى وسائلها . وأن تحببهم في وجوب الإيمان بالله لأنه مما أخذ الله عليه العهد والميثاق في وجوب تحقيقه وكذلك بقية أركان الإيمان، وسواء كان ذلك عن طريق المناهج الدراسية أو عن

طريق الندوات والمحاضرات داخل المدرسة بحيث تجعل لكل أسبوع مثلاً درساً عن جانب من جوانب الإيمان .

٢- أن تحت الناشئة على إقامة الصلاة في المدرسة شريطة أن يتدرب الطلاب عملياً عن كيفية الوضوء والطهارة للصلاة تحت إشراف مستمر من قبل المعلمين في المدرسة .

٣- كما يجب عليها أن تنضم في كل عام دراسي أو في كل فصل دراسي يوماً للتبرع ببعض المال من أجل أن تكون التربية عملية يتقدمهم في ذلك المعلمون فبهذا تكون المدرسة جمعت بين النظرية والتطبيق .

٤- كما يجب عليها أيضاً أن تربي في نفوس الناشئة القوة وحسن القيادة والتدرب عن طريق الأنشطة الرياضية من أجل تقوية عضلات الجسم لكي يساهم في الذود عن بيضة الإسلام والدفاع عنه بكل ما يملك من قدرات وأن تضع تصوراً لأبنائها عن أهمية الجهاد في سبيل الله لأنه أخذ الله عليه العهد والميثاق مع بيان الثواب الذي أعده الله للمجاهدين في سبيل الله والعقاب للذين يتخلفون عنه .

٢ (مهمة المدرسة في التربية الاجتماعية :

المدرسة هي الموجه الثاني بعد الأسرة ورسالتها متممة لما قامت به الأسرة وهي مسؤولة عن تربية الأبناء وتعهدهم بالرعاية والعناية كما تعمل على تكييف الناشئة اجتماعياً وتعزيز السلوك الاجتماعي القويم الذي نشئ عليه في المنزل .

من احترام الوالدين ومواصلة ذوي القربى والعطف على الفقراء وسد حاجة المعوزين ومواساة الأيتام واحترام حقوق الآخرين وتقدير المعلم والتأدب بالآداب الاجتماعية التي حث عليها الدين الإسلامي .

وكما يشير القزاز والشهري (١٤١٦ هـ) :

” بأن المدرسة منارة ومركز إشعاع للبيئة إذ هي وسيلة فعالة للخدمة والتعليم والتوجيه والتثقيف والإرشاد وهي حلقة اتصال بين الدولة والمواطنين توجه الراشدين منهم في المناسبات الوطنية أمثال أسبوع المساجد - أسبوع المرور - أسبوع الشجرة

.... وغيرها فالمدرسة تساعد على تركية الشعور بالانتماء والتنبؤ بمشكلات المجتمع والعمل على حل هذه المشكلات ورفع مستوى البيئه الاجتماعية والطبيعية ثقافياً، كما تساعد المدرسة على التوجيه المهني لتلاميذها“ (ص ٧٨)

فالمدرسة عامل من العوامل المساعده في تكوين العلاقات الإنسانية بين أبنائها فالألقة والمحبة والإخاء بين أبناء المدرسة له تأثير فعال في عملية البنيان الاجتماعي فتذوب الفوارق ويضمحل الخلاف ويتلاشى التمايز ويتحول النفور والخلاف والفرقة إلى تراحم وتواصل وتواد ، فالتربية الاجتماعية المبنية على الوفاء والألقة والمحبة علاج لكثير من المشكلات التي يعانى منها بعض التلاميذ والمدرسة باعتبارها صورة مصغره للمجتمع مطالبه ببناء الاتجاهات الاجتماعية الإيجابية بين طلابها مثل رباط الأخوة الإيمانية كالمحبة في الله والكراهة له والمساواة والعدالة والتعاون والتكافل والشورى والإصلاح بين الناس .

فعلى القائمين على التربية والتعليم في مؤسساتنا التربوية ان يكونوا قدوة صالحة ومثلاً يحتذى به في جميع أقوالهم وافعالهم لأنهم يمثلون حجر الزاوية في العملية التربوية يستطيعون أن يجعلوا التربية الإسلامية واقعا حيا بين التلاميذ .

” فالمدرسة ليس كما يظن البعض بأنها المكان الوحيد للتربية باعتبارها المؤسسة التعليمية المتخصصة ولكن الواقع ان التربية لها وسائطها المتعددة التي تشمل البيت والجيره والحى السكني والبيئه المحلية والمدرسية كما تشمل المسجد والنادى والصحافه والإذاعة والتلفزيون ، إلى غير ذلك من المؤثرات التربوية المختلفة التي تؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة في تربية الفرد وتكوين شخصيته . (الجيار د . ت ص ٣١)

على هذا فالمدرسة لا تقوم بدورها في تربية أفراد المجتمع وتحقيق أهدافها إلا إذا تكاتفت وتعاونت جميع وسائط التربية الإسلامية لتخرج لنا جيلا صالحا يخدم دينه وأمتة .

فمن أجل أن تحقق المدرسة التربية الاجتماعية ينبغي لها ما يلي :

١- ينبغي للمدرسة أن تعلم الناشئة أهمية الالتزام بالآداب الاجتماعية؛ من بر

بالوالدين وصلة للأقربين وإحسان إلى المساكين ومواساة اليتامى، لأن هذه الآداب الاجتماعية أخذ الله عليها العهد والميثاق في وجوب تحقيقها فتعليم الناشئة هذه الفضائل يغرس في نفوسهم تقدير كل شريحة من شرائح المجتمع . كما يجب عليها أن تضمنها ضمن مناهجها الدراسية مبينة أهمية هذه الآداب وما أعد الله لمن قام بها وما أعد أيضاً لمن أهمل في تأديتها .

٢- ويجب على المدرسة أن تستنير بهذه الآيات الدالة على الآداب الاجتماعية والتي توجه كل مسلم إلى أن الدين الإسلامي جاء لإصلاح البشرية .

٣- أن تسعى المدرسة إلى إيجاد جو روحاني من الأخوة والتواصل والقيام بزيارات ميدانية تستهدف بعض الأقرباء واليتامى وكذلك النظر في حال المساكين والفقراء، فالمدرسة بذلك تربي في نفوس الناشئة أن الأمة الإسلامية كالجسد الواحد لا ينفصل عضو عن الآخر .

٣) مهمة المدرسة في التربية الأخلاقية :

التربية الأخلاقية هي : تنشئة الولد على المبادئ الأخلاقية وتكوينه بها تكويناً كاملاً من جميع النواحي وذلك لتكوين استعداد أخلاقي للإلتزام بها في كل مكان واشباع روحه بروح الأخلاق ، وذلك بتكوين عاطفة وبصيرة اخلاقية حتى يصبح مفتاحاً للخير مغلقاً للشر أينما كان وحيثما وجد بأندفاع ذاتي إلى هذا وذاك عن إيمان واقتناع وعن عاطفة وبصيرة وذلك باستخدام جميع الأسس والطرق والوسائل والأساليب التي تساعد على تحقيق ذلك الإنسان الأخلاقي السوي .

(ياجن ١٣٩٧هـ ص ١٠٣)

فالمدرسة تعتبر أعظم مؤسسة تربوية تهتم بتربية النشء على الأخلاق الفاضلة فإذا سارت في تنشئة التلاميذ تنشئة سليمة وتربيتهم تربية أخلاقية قوية ثم قامت بتعزيز ما قامت به الأسرة من تربية أخلاقية من خلال المناهج التي تزود التلاميذ بالعلوم والمعارف المختلفة المرتبطة بالتربية الخلقية ارتباطاً وثيقاً سعد بذلك المجتمع ، لذا كان لزاماً على المدرسة ان تقوم بتربية أبنائها على التربية الأخلاقية ولا تتم هذه التربية إلا

بتحقيق الأمور التالية :

- ١ (تكوين الحب للفضائل وحسن الخلق .
 - ٢ (تنشئة الصغار على ممارسة الفضائل الأخلاقية والآداب الاجتماعية الحسنه .
 - ٣ (تدريب الناشئين على طرق تطهير النفوس من الرذائل والنيات السيئة .
 - ٤ (تحلية النفوس ومكارم الأخلاق من حيث الظاهر والباطن .
 - ٥ (تكوين بصيرة علميه وقناعه عقلية بالقيم الأخلاقية .
 - ٦ (تكوين الشعور بالمسئولية الأخلاقية أمام الله .
 - ٧ (تكوين الحصانه لدى الناشئين ضد الرذائل والفساد الأخلاقي بحيث لا تسرب إلى نفسه جرائم الفساد ولا يتأثر بها أينما كان وحيثما وجد .
- (يالجن ١٤٠٦ هـ ص ٧٨)

وبهذا فإن الأخلاق لا تنفصل عن اعمال البر الظاهرة والباطنه .

فعلى المدرسة أن تخلق في نفوس أبنائها الوازع الأخلاقي (الضمير) ولا يتم ذلك إلا عن طريق الاستقامة وصلاح النفس وتزكيتها من كل عيب ونقص ثم إيجاد القدوة الصالحة في تربية المتعلمين ولاسيما في التربية الأخلاقية ، فواجب المدرسة أن تحرص على اختيار المعلم القدوة اقتداء بالمعلم الأول محمد ﷺ الذي كان قدوة في كل ما يدعو إليه قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

سورة الاحزاب : ٢١

والمعلم غير القدوة أدعى إلى الإفساد ، لذا يجب أن يكون كفاء في علمه وعمله وأخلاقه ومعاملته فعلى المعلم ان يسلك طريق رسول الله ﷺ في التعليم والتزكية لتكون تربية ناجحة ذات ثمره وعلى الدارس أن يقتدى بأصحاب رسول الله ﷺ في التعلم وتزكية النفوس.

وينبغي على المدرسة متابعة وملاحظه الجانب الأخلاقي في المتعلمين وذلك بملاحظه ظاهرة الصدق والأمانة وحفظ اللسان والخلق النفسي والإرادي والوفاء ، فظاهرة المتابعة والملاحظة من أعظم الظواهر في كشف الحقائق المستورة عن الولد

وتعطي للمربي الصورة الحقيقية الكاملة عن أخلاقه وسلوكه في الحياة وبعد هذا كله تستطيع المدرسة أن تضع العلاج النافع بالأسلوب المحدي والطريقة الملائمة ..

ولا بد أن تصل في نهاية المطاف إلى حل تربوي حاسم فيه صلاح الولد وفيه

نقاذه وتوازنه وهدايته !! “ (علوان ١٤٠١ هـ - ٢٠ ص ٧٣٦)

ولكي تواصل المدرسة وتعزز دورها في تربية الناشئة على الأخلاق الحسنة والتي

أخذ الله عليها العهد والميثاق في الالتزام بها وتطبيقها في حياتها اليومية يجب على

المدرسة أن:

تلتزم بالأخلاق الإسلامية الفاضلة قبل أن تعلم بناءها . ثم بعد ذلك تربى في

نفوس الناشئة الالتزام بهذه المبادئ والأسس الأخلاقية من وفاء وصدق وأمانة وعدل

وقول حسن، فإذا تحدثت أيها المعلم فلا بد أن تكون صادقاً في قولك وعدلاً في

حكمتك وبين تلاميذك وأن تكون وفياً فيما تعد به وهذه المبادئ الأخلاقية أخذ

الله عليها العهد والميثاق في وجوب الالتزام بها وتحقيقها بين أفراد المجتمع وخاصة

الناشئة الذين لا يزالون يتلقون مصادر معلوماتهم من المدرسة الإسلامية .

وهذه بعض الشروط التي يتطلب توافرها في المدرسة حتى تستطيع تحقيق رسالتها

التربوية في جميع جوانبها عقدية أو عبادية أو اجتماعية أو أخلاقية على الوجه الأكمل

ومن أهم هذه الشروط والسمات ما يلي :

١) يجب أن تكون المدرسة صورة حية للحياة الإسلامية يدرّب فيها التلاميذ على

تحقيق العبودية الخالصة لله جل وعلا .

٢) أن يجد فيها التلميذ الفرصة المواتية لتنمية مواهبه وميوله وتوجيهه إلى

الدراسات المناسبة لاستعداداته وقدراته وميوله .

٣) أن تنمي عند المتعلم صفات الإنسان الصالح ، والمسلم الواعي المتحمل

المسؤولية الراغب في التضحية والقيام بالواجب لأن أمانه وتقدير الفضيلة ابتغاء

مرضاه الله لا من أجل المادة .

٤) أن تكون المدرسة بحق مجتمعاً إسلامياً مشبعاً بالتعاطف والتراحم والتعاون

والتلاحم والتفاهم بين الرئيس والمرؤوس في ظل العلاقات الإنسانية والاحترام المتبادل والتواصي بالحق والصبر .

٥ (أن يجد فيها الطالب المثل الأخلاقية الرفيعة والمثل الجمالية العليا في كل ما يقع عليه نظر الطالب وسمعه لتكوين حاسة الذوق السليم .

٦ (أن تكون المدرسة وثيقة الصلة بالمنزل فعلاً لا مظهراً ورياءً قوية الاتصال بالمجتمع والأحداث الجارية وحتى يتسنى لها أن تعمل على إصلاح البيت والمجتمع وتلافي العيوب والأخطاء وتوعية الآباء بالواجبات .

٧ (أن تكون المدرسة قدوة حسنة في القول والعمل والسلوك الإسلامي .

٨ (أن تكون المدرسة مجتمعاً إسلامياً قوياً متماسكاً متحد الأهداف والفكر أساسه الحق والعدل

٩ (أن تضع المدرسة أهدافها في بؤرة اهتمامها بغية السعي في الوصول إليها لاعداد جيل مسلم فعندما تتسم المدرسة بهذه الصفات تساهم مساهمة فعالة في تعميم التربية الإسلامية .
(الخليل ١٤١٢ هـ ص ١٥٥)

ثالثاً : مهمة المسجد التربوية :

إن المسجد في الإسلام كان وما يزال ركيزة أساسية في تربية الأمة الإسلامية وبنائها بناءً محكماً ودليل ذلك فعله ﷺ حين قدم المدينة مهاجراً من مكة فكان أول عمل عمله (بناء المسجد) ومما يدل على مكانة المسجد وعظم منزلته عند الله أن حث على بنائه وعمارته فقال جل في علاه ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ * ليجزيهم الله أحسن ما عملوا وينزدهم من فضله والله يفرق من يشاء بغير حساب ﴿

سورة النور : ٣٦-٣٨

فجعل سبحانه أصل وظائفها ذكره وإقامة الصلاة التي هي رأس الإسلام وعموده وأهم أركانه بعد الشهادتين .

وقال أيضا ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ

سورة التوبة : ١٨

وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (من بنى لله مسجداً بنى

الله له في الجنة ، مثله) (النيسابوري، ١٤١٢هـ ، كتاب المساجد ج١ ص٣٧٨ رقم الحديث ٥٣٣)

إن المسجد ساحة رحبة وميدان فسيح للعمل والنشاط والتحرك الدؤوب فهو

أشبه بخلية النحل فلا يكاد يخل من راعع أو ساجد أو ذاكراً لله تعالى أو قارئاً للقرآن

أو عالم يعلم الناس أمور الدين .

يقول النحلاوى (١٤٠٣هـ) :

” كانت للمسجد في صدر الإسلام وظائف جليله أهمل المسلمون

اليوم عددا منها فقد كان منطلقاً للجيوش وحركات التحرير ، تحرير الأمم

والشعوب من العبودية للبشر والأوثان والطواغيت ليتشرفوا بعبوديتهم لله

وحده وكان المسجد مركزاً تربوياً يربى فيه الناس على الفضيلة وحب العلم

وعلى الوعي الاجتماعي ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة

الإسلامية التي أقيمت لتحقيق طاعة الله وشريعته وعدالته ورحمته بين البشر ،

فكان أن منطلق تعليم القراءة والكتابة وكان المسجد مصدر اشعاع خلقى

يتشبع فيه المسلمون بفضائل الأخلاق وكريم السمائل . (ص ١٣٢)

فالمساجد بهذه المثابة مؤسسات تربوية فريدة خاصة بالمجتمع الاسلامي أنشئت

وشيد بناؤها دونما سابق لها ودونما نظير يماثلها . إن في المسجد ليزاد للمجتمع المسلم

ولا يقتصر على أداء الصلوات فحسب بل يتجاوز ذلك فهو مكان للتربية والتوجيه

والتعليم وتلاوة القرآن الكريم وحفظه ومدارسته وتهذيب للأخلاق وهو مجلس

إصلاح ودار قضاء وملتقى المجتمع المسلم للتعاون والتكاتف والشورى والتراحم

والتواصل بينهم فهو بهذه المثابة رباط وثيق يؤكد معنى الأخوة الإيمانية بين الناس

وضرورة التعاون وإسداء النصح والإرشاد .

فعندما يأخذ المسجد مكانه الطبيعي الذي بني من أجله وأراد الله له أن يصبح من

اعظم المؤثرات التربوية في نفوس الناشئين فيه يرون الراشدين مجتمعين على الله فينمو

في نفوسهم الشعور بالمتجمع المسلم ، والاعتزاز بالجماعة الإسلامية وفيه أيضا ينهلون من العلوم والمعارف والدروس العلمية المتنوعة فيبدؤون بوعي العقيدة الإسلامية وفهم هدفهم من الحياة [وهو عبادة الله وحده] ويتعلمون القرآن ويرتلونه ويحفظونه فيجمعون بين النمو الفكري والحضاري في تعلم القراءة ، ودستور المجتمع الإسلامي والنمو الروحي وهو الارتباط بخالقهم جلا وعلا .

(النحلوى ١٤٠٣ هـ ص ١٣٣)

وبهذا يكون المسجد هو أفضل مكان يتم فيه تربية النشء المسلم ويتم من خلاله غرس الجوانب الإيمانية والجوانب الاجتماعية والتعبدية والأخلاقية والسلوكية في نفوس المسلمين عامة هذا هو دور المسجد الشمولى لكافة جوانب الحياة ومن خلال هذه الشموليه تربي الرعيل الأول تربية قرآنية فريده على يد معلمها الاول محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه حتى اخرج لنا أمة مؤمنة بالله تعالى مطبقة تعاليمه ﷺ أنارت للأمم طريقها .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل استمرت رسالة المسجد لتقوم بدورها في بناء الأجيال في جميع جوانب حياتها إلى عصرنا الحاضر ؟ مع الأسف الشديد لقد انحصرت رسالة المسجد الشاملة في أداء الصلوات الخمس والجمع والأعياد مع القصور الواضح في بعض الأباء من عدم اصطحاب أبنائهم إلى المساجد ليتربوا على ذلك وينشئون عليها وانما ذهبوا ير كضون وراء الملهيات والمغريات وأماكن الترفية وتركوا المساجد للشيوخ الكبار الذين بلغو من الكبر عتيا فكأنها خصصت فقط لهؤلاء نفر أما الشباب فقد غفلوا دور المسجد التربوي ولا يعرفون من ذلك إلا أداء الصلاة فيه فقط أما بقية النواحي فهي غير موجودة إلا في قلة قليلة جدا والسبب في ذلك يرجع إلى الاباء الذين ضعف الوازع الديني لديهم واشتغلوا بالدنيا عن الآخرة نسأل الله السلامة والعافية .

ولكي نعيد رسالة المسجد ودوره التربوي لابد لكل فرد منا أن يبدأ بنفسه لا سيما الرجال في أرتياد بيوت الله من واقع فهمهم الشامل لدور المساجد في الإسلام

وبالتالى تعويد أطفالنا على ذلك وعلى علمائنا الأفاضل وأئمة المساجد أن يبدأوا بتنظيم حلقات العلم والفكر وحلقات النقاش والحوار وحلقات المشاكل وعلاجها وحلقات المعالجات الواقعية وبدائلها وحلقات الذكر والإيمان ليعود للمسجد دوره الحقيقي الفعال في بناء الأجيال وتكوين المجتمعات الفاضله ، ولن يعود للمسجد سابق عهده إلا إذا فهمنا رسالة الحقيقة فهما عميقا شاملا ثم بدأنا بتطبيق مبادئه كلها في ساحاته وعلى جنباته ولنبدأ بإعادة الحياة في المساجد الموجودة في المدارس اولا في شكل مبسط يستوعبه النشء ثم نعمقه بالمساجد المنتشرة في المجتمعات الإسلامية الحالية .
(العطار : ١٤٠٣ هـ ص ٧٣)

فالمساجد مؤسسات تربوية فريدة في تخصصها من حيث أفضليتها. وقدرتها على مخاطبة أفراد المجتمع المتعلم والأمي فمن أجل تحقيق هذه المبادئ التربوية التي توصل إليها الباحث من آيات العهد والميثاق ينبغي للقائمين عليها . ما يلي :

١- تفسير الآيات القرآنية التي ورد بلفظ العهد والميثاق مع بيان أهمية العهود والمواثيق .

٢- قيام الخطباء والوعاظ ببيان الجانب العقدي وما تفرع منه مع أهميته في عالم الوجود. كما يجب عليهم توضيح الجانب التعبدي سواء عن طريق الخطب والمواظب أو عن طريق الدروس اليومية أو الأسبوعية والتي تهدف إلى نشر هذه المبادئ والأسس التربوية الصالحة لتربية أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم .

٣- كما يجب على الخطباء وأئمة المساجد أن يبينوا للناس أهمية الآداب الاجتماعية ومعالجة قضايا المجتمع ومشكلاته، فيبينوا أهمية بر الوالدين والإحسان إليهم وصلة ذوي القربى، والإحسان إلى اليتامى والفقراء والمساكين وحسن الحوار وحسن المعاملة مع المسلمين أو مع غيرهم . مع التأكيد أن هذه الآداب أخذ الله عليها العهد والميثاق فلا بد من الوفاء بهما والسعي في تحقيقها .

٤- كما ينبغي أيضاً أن لا يهملوا الجانب الأخلاقي ونشره في صفوف مجتمعهم فيحثوهم على الصدق والتعامل بالأمانة والعدل والإنصاف فيما بينهم من الحقوق

والواجبات والوفاء والمخاطبة فيما بينهم بالقول الحسن فلا عضاضة فيما بينهم . لأن هذه الأخلاق الكريمة أخذ الله العهد والميثاق على الخلق تحقيقها فلا غدر ولا خيانة ولا كذب ولا جور فإذا تأدب أفراد المجتمع بهذه الأخلاق كان له تأثير بالغ في نفوس الناشئة .

رابعاً : مهمة المجتمع التربوية :

يعتبر المجتمع مؤسسه تربوية لأنه الوسط الذي ينشأ ويتربع فيه الأفراد فإذا كان لكل مجتمع فلسفته التربوية الخاصة فإن الفلسفة التربوية للمجتمع المسلم تنبع من مبادئ الإسلام واسبه ومرتكزاته التي قام عليها لهذا كان تأثيره إسلامياً في نفوس افراده وإذا كان المجتمع غير مسلم فله ايضاً تأثيره الواضح في مفاهيم وقيم وسلوك أفراده ومن هنا تبرز اهمية المجتمع المسلم في تربية الأفراد بمؤسساته المختلفة فهو يمثل البيئه التربوية الصالحة لنشأة الأفراد نشأه قويمه تقوم على المنهج الرباني العادل الذي راعى فيه الفطرة الإنسانية التي جبل عليها . ولقد تميز المجتمع المسلم في الصدر الأول بالمثالية والواقعية الذي حدد معالمها ووضع اهدافها الوحي الألهي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى تربي ذلك المجتمع المؤمن على العقيدة الإسلامية الصافية وطبق جميع سلوكياته عملياً ، أثر ذلك في حياتهم من خلال ممارستهم لإعمالهم المختلفة لأن القاعدة الأساسية التي قام عليها بناء ذلك المجتمع كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وقوله تعالى ﴿إِنَّ الْحَكْمَ لِلَّهِ﴾ سورة يوسف : ٤٠

وقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ سورة الزخرف : ٨٤

أي أن الحاكمية في المجتمعات البشرية كلها لله سبحانه وتعالى وشهادة أن لا إله إلا الله تعنى إفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية والربوبية والقوامية والسلطان والحاكمية افراده اعتقاداً في الضمير وعبادة في الشعائر وشرعية في واقع الحياة فشهادة أن لا إله إلا الله لا توجد فعلاً ، ولا تعتبر موجودة شرعاً إلا في هذه الصورة المتكاملة التي تعطيها وجوداً جديداً حقيقياً يقوم عليه اعتبار قائلها مسلماً أو غير مسلم (قطب

سيد، ١٤١٣هـ ، معالم في الطريق ، ص ٥٤)

لذلك تتجسد أهمية المجتمع المسلم ودوره في تربية أبنائه في الأمور التالية :

- ١ (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ٢ (اعتبار الناشئين أبناء أو إخوة للراشدين .
- ٣ (التأديب بسخط المجتمع وتعنيفه للمسيء .
- ٤ (التأديب بالحرمان الاجتماعي أو الهجر والمقاطعة .
- ٥ (التربية الاجتماعية للتعاون .
- ٦ (تربية الناشئين على حب الله .
- ٧ (حسن انتقاء الأصدقاء على أساس التقوى والإيمان .

(النحلوى ١٤٠٣هـ ص ١٧٧-١٨٣)

وعلى هذا ينبغي أن يكون المجتمع مثاليا واقعيا في تطبيقه لمبادئ التربية الإسلامية في جميع مؤسساته التربوية وجميع جوانب حياته المختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية والترفيهية ليمثل البيئة التربوية الصالحة لنشأة افراد صالحين متحلين بالفضائل من خلال احتكاكهم وتعاملهم مع بعضهم البعض فيشكلون بذلك بنية اجتماعية وفق المنهج الإسلامي ، والذي يتمثل فيه إقامة الحياة المتوازنة بعيداً عن الميل والإجحاف بحق أفرادهم ويسعى إلى تحقيق العدالة والتكافل والمساواة بين افرادهم على ضوء ما ورد في الكتاب والسنة النبوية المطهرة .

فالمجتمع المسلم ضرورة للتربية الإسلامية فلن يكون كل الناس أبطالا يعيشون في الدنس على نظافة ، ويعيشون في الوكسه مرتفعين والفرد العادي - مهما بذل في تنشئته فرداً - في حاجة إلى المجتمع الذي يسانده ويرسخ في نفسه الإيمان بالفضائل التي يؤمن بها ويساعده بالقدوة الصالحة على تحويلها إلى سلوك عملي في واقع الحياة والسمة الأولى للمجتمع الإسلامي أنه مجتمع متحرر وفي ذات الوقت نظيف والتحرر في مفهوم الإسلام معنى شامل جدا وعميق .

تحرر من كل ما يكبل النشاط السوي للفرد والجماعة ، تحرر من كل القيم الرائفه، والعوائق التي تعوق البشرية ونمائها تحرر على مستوى الإنسان وليس انفلاتا

من قيود الإنسان ومن ثم فهو تحرر نظيف لا يلتبس بانطلاق الحيوان .
حين يتحرر الإنسان من كل عبودية غير العبودية لله الحق فإنه يحس بنفسه قوة هائلة فاعله منسثة موجهة لا تتقيد بشيء غير الحق ولا تخضع لشيء إلا ما أمرها به خالقها وهو دائما حق حينئذ تنطلق تنشئ في واقع الأرض نظاماً يحقق ذلك التحرر المستمد من طاعة الله المحقق لمنهج الله وفي هذا المجتمع المسلم الذي تقوم فيه العلاقات كلها مرتبطة بالله يتعاون الناس على البر والتقوى ، ولا يتعاونون على الإثم والعدوان يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، ويتعاونون على تهئية الجو للأجيال الناشئة أن تترى في ظل العقيدة النظيفة من الأدران .

في هذا المجتمع يتعاون الحاكم والمحكوم على تنفيذ منهج الله في تقويم البشرية ، منهجة الشامل الذي يتناول الإنسان فرداً وجماعة ، واقتصاداً واجتماعاً وحرباً وسلاماً وتنظيمات وشرائع .. ويتعاون الفرد مع أخيه في إقامة المجتمع الصالح .

ويتعاون الرجل والمرأة في تنشئة الأجيال . في هذا المجتمع توجد الحكومة المسلمة والشعب المسلم والاقتصاد المسلم والاجتماع المسلم والأسرة المسلمة والمدرسة المسلمة والصحيفة المسلمة والإذاعة المسلمة والفن المسلم ... ويوجد بطبيعة الحال الرجل المسلم والمرأة المسلمة ، والمفاهيم الإسلامية تحكم الجميع ، مجتمع يقوم على التكافل الاقتصادي والاجتماعي والفكري ، والروحي بين أفراده . مجتمع يقوم على النظافة ... نظافة التعامل بين الحاكم والمحكوم ، ونظافة بين الشاب والفتاه ، نظافة بين الزوج والزوجة والأطفال نظافة العامل وصاحب العمل ، وبين الرئيس ومرؤوسية ، نظافة السلوك الظاهر والنية المضمرة ، نظافة العمل والتفكير والشعور .

مجتمع يقوم على الحق .. لا غدر ولا عدوان ولا باطل ينمو ويتاح له النماء .
مجتمع يقوم على القيم الإنسانية التي لا تهمل الواقع المادي والإنتاج المادي ، ولا تعطيهما كذلك فوق حقها المقدر ، ولا تهمل الواقع الروحي للبشرية الذي هو وسيلتها الحقيقية للرفي النفسي والتحضر والارتفاع . مجتمع يوجه الطاقة الانشائية للناس في سبيل البناء والتعمير والخير ولا يوجهها للعمل في سبيل الشر والفساد .

مجتمع يقاوم الشر ولا يسمح له أن يستشري في الأرض ، ويقاوم الفجور والفساد والفاحشة . مجتمع يقيم الموازين العادلة بين الناس في الجهد والجزاء ، فلا يفتنهم عن الإيمان بالفضيلة ، والإيمان بالعمل في سبيل الخير .. ذلك أن المجتمع يقوم على الإيمان بالله ، ويستمد من منهجة وحده لامن أي منهج سواه .

(قطب محمد، ١٤٠٣هـ - ١٤٠٣هـ ص ٢١٩-٢٢١)

هذه سمات المجتمع المسلم والتي نسعى جاهدين إلى تحقيقها في مجتمعنا الحالي الذي تقع عليه المسؤولية في تطبيق هذه المبادئ التربوية الإسلامية في جميع مؤسساته المختلفة لما لها من أثر فعال في تحصين عقائد الأفراد وتقويم سلوكياتهم وهكذا نجد أن تطبيقات المبادئ التربوية الإسلامية لن تحقق أهدافها .

إلا إذا ترجمت تلك المبادئ إلى واقع عملي لأنها اشتملت على الآداب والسلوك والقيم والأخلاق - في كل مؤسسة من مؤسسات المجتمع المسلم .

فيقوم بإعداد المناهج الدراسية الشاملة والتي تعالج المشكلات الاجتماعية المختلفة والطرق التربوية التي من خلالها يصل المربي إلى تحقيق أهدافه والوصول إلى اذهان الناشئة بعبارات واسلوب تربوي مثيل ، ووسائل تعليمية موضحا عليها - ما يراد شرحه وتفسيره في أقصر وقت وبدون مشقة وإلا فإن تطبيقات المبادئ التربوية الإسلامية سيكون قاصرا عن تحقيق أهدافه وبلوغ مرامه بين أفراد المجتمع الذي تعصف به التيارات يمنة ويسره دون صمود في وجهها ورد أباطيلها ، ودحض حججها ونقض شبهاتها لأن عودة الإسلام إلى الواقع هو التطبيق التربوي الأمثل لهذه المبادئ التربوية خصوصا وأن الله أخذ العهد والميثاق في تحقيق تلك الجوانب عقيدة أو عبادة أو معاملات أو أخلاقاً وترسيخها في نفوس أفراد المجتمع والذي دائما نريد أن يكون بإذن الله تعالى مجتمعاً إيمانياً في أخلاقه وعبادته ومعاملاته وجميع أعماله مقتدياً بحجج الرعيل الأول.

خامسا: مهمة وسائل الإعلام التربوية :

تعد وسائل الإعلام في العصر الحالى من أهم وسائط التربية التي تلعب دوراً فعالاً في تربية النشء من خلال تقديم برامجها المختلفة وثقافتها المتنوعة عبر وسائلها المسموعة- كالإذاعة وأشرطة التسجيل الصوتية - والمرئية المسموعة - كالتلفزيون وأشرطة الفيديو ، والبث المباشر - والمقروءة ، كالصحف والمجلات والمطبوعات المختلفة ، وتحليل كل وسيلة من هذه الوسائل للوقوف على سلبياتها وإيجابياتها ، وأثرها التربوى في تربية النشء وإعداد جيل صالح يخدم دينه وأمه يحتاج إلى بحث مفصل ولكن الحديث ، تحت هذا الموضوع سوف نحصره عن مهمة وسائل الإعلام في بناء وتربية الأجيال .

فتعد وسائل الإعلام أحد المؤسسات التربوية ذات القدرة الفائقة على جذب الناس على اختلاف أعمارهم وثقافتهم وبيئاتهم ، لذا كان لزاما على الإعلام الإسلامى أن يقوم بدوره التربوى من خلال تقديم برامجه وأفكاره المختلفة والذي لا شك فيه أن وسائل الإعلام لا تستطيع أن تقوم بدورها التربوى إلا إذا صبغت بالصبغة الإسلامية وهذا يستلزم بطبيعة الأمر استقلال نظام الإعلام في العالم الإسلامى المتميز بخصائصه ومزاياه عن المجتمعات غير الإسلامية التي تبث سمومها عبر وسائلها الإعلامية، والحق أن الوسائل الإعلامية في العالم الإسلامى تعيش مرحلة التخلف والتبعية ، فهي عاجزة عن إنتاج المواد الإعلامية التي تستقطب أفراد المجتمع وتؤثر في سلوكياتهم ومعاملاتهم وإن كان هناك بعض المواد الإعلامية من إنتاجها إلا أنه محاكاة لأساليب إعلامية مختلفة من الشرق والغرب ولذلك يجب أن يكون الإعلام في عالمنا الإسلامى متحررا من التخلف والتبعية ، حتى يستطيع أن يقدم كل ما يخدم أمته الإسلامية في جميع مجالاتها وبذلك يصبح مؤثرا لا متأثرا ، لأن الإعلام الإسلامى كما يقول الطويل (١٤١١هـ) :

” يختلف عن الإعلام الغربى من حيث بواعثه وأهدافه وطرائق توصيل المعلومات، ذلك أن الإعلام الإسلامى يستمسك بالصدق ويتسم بالأمانة ويعتمد على الإقتناع

العقلى الذي يستمد وجوده من منطلق الحق والعدل . (ص ٧١)

فالإعلام الإسلامى إعلام متميز لأنه يقوم على مبادئ أخلاقية وأحكام سلوكية وقواعد وضوابط لا يجيد عنها بأي شكل من الأشكال .

يقول غلوش (١٤٠٣ هـ) :

” ومن الغريب أن المبادئ الإعلامية أصيلة في الإسلام ، وبسبب تكاسل المسلمين صار الإعلام بوسائله ومدارسه اختراعاً أجنبياً فهم يأخذونه عن غيرهم بحسنه وسيئه وذلك أمر لا يجوز ، لأن غزو الفكر بالإعلام أمر خطير حيث يدس السم في العسل ، وتتم السيطرة على العواطف والوجدانات واثارة الدوافع والغرائز بصورة هادئة ، ولا يصح مطلقاً أن يستمر الإعلام في الدول الإسلامية تقليداً لوسائل الإعلام في الدول غير الإسلامية لامن ناحية العقل ولا من ناحية الدين ، لأن المسلمات العقلية أن إعلام كل دولة يخدم نظامها ويعمل في إطار أهدافها “ (ص ٨٠)

فمن أجل أن تحقق وسائل الإعلام دورها التربوى في بناء الأجيال لابد من التعاون بين وسائل الإعلام والمؤسسات التربوية حتى تقوم كل مؤسسة بدورها التربوى نحو أبنائها، فواجب القائم على وسائل الإعلام أن يقدم مواد إعلامية تربوية أو تعليمية، أو تثقيفيه تدعم ما تقدمه المدرسة من خلال مناهجها المعدة وكذلك ما تقوم به الأسرة من الالتزام بالمبادئ الإسلامية ومساندا لرسالة المسجد وعلى ضوء هذا تقوم جميع المؤسسات بدورها التربوي وتحقق وسائل الإعلام رسالتها التربوية في جميع أفراد المجتمع .

يقول البدر (١٤٠٩ هـ)

” ولتحقيق التكامل بين المؤسسات التربوية والإعلامية لابد من إنشاء مجلس إعلامى تربوى مشترك يعتمد على قاعدة تنسيقية محلية في الدولة تتكون من شقين : تخطيطي وتنفيذي ، أما التخطيطي فيتكون من راسمي السياسية في كلا الجهازين الإعلامى والتربوي ، وأما التنفيذي فيتكون من القائمين على التنفيذ في كلا الجهازين الإعلام والتربية ، ويقترح أن يكون لمجموع هذين الشقين وممثلين عنهما لتكوين مجلس مشترك يحيط بكل ما

يدور ، حتى لا ينفرد العقد ويتعد التنفيذ عن المخطط “ .

(ص ١١٠)

وعلى هذا يكون لوسائل الإعلام دور تربوي إيجابي لأن رجل الإعلام شبيه إلى حد ما بدور المربي الذي يتعلم منه الناشئة المبادئ الأخلاقية والسلوكية والاجتماعية ، وبما ينشره من أفكار وبما يثبه من برامج وموضوعات تثير الانتباه وتستقطب أفراد المجتمع .

ولكن الإعلام في عالمنا الإسلامي في الوقت الحاضر لم يرقم بدوره كاملا ، لذا يجب عليه أن يبدأ بأعداد رجال الإعلام مستيرين بتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

وحتى يؤدي رجل الإعلام المسلم دوره عليه أن يفهم طبيعة المخاطبين وطريقة التوجه إليهم ، ولن يتم له ذلك إلا بمعرفة خصائص النفس البشرية وطرق الخطاب وأساليبه ، وله في القرآن الكريم والسنة النبوية زاد وفير ، ولا يصح في نظام الإسلام أن يقوم بالإعلام رجل لا يعرف دينه ولا يطبقة ، ولا يتحمس له لأنه حينئذ يضر ولا يفيد . (غلو ، ١٤٠٣هـ ص ٨٢)

الأمر الذي يتطلب خلو وسائل الإعلام من جميع المبادئ والافكار ، المنشورة والبرامج المذاعة والأفلام - المعروض ، التي تنافي المبادئ والقيم الإسلامية . فمن واجب الدولة المسلمة أن تتدخل لحماية أفراد المجتمع المسلم من هذه المفاسد التي تهدم الأخلاق وتدعو إلى الانحلال والتفسخ وهذا لا شك أنه يعيق مسيره التربوية الإسلامية .

فمن أجل تطبيق هذه المبادئ والتي نريد من إعلامنا نشرها والالتزام بها في وسائله الإعلامية المسموعة والمرئية والمقروءة أن يلتزم بالإيمان بالله عقيدة وعبادة يدين الله بها في كل كلمة وفي كل برنامج وفي كل شيء لأن هذه المبادئ والأسس التربوية كفيلة بإذن الله تعالى في تنشئة أمة على التوحيد والعقيدة الصافية . فالعهد والميثاق في وجوب الإيمان بالله وبما يتضمن هذا المبدأ العظيم يجب على الإعلام أن

بينه ويوضحه من خلال شاشة التلفاز باستفتاءه بعض المشايخ ومن خلال الصحافة ونشر هذه المبادئ والأسس الإسلامية .

كما يجب عليها أن تنقل الشعائر التعبديّة من صلاة وحج وغيره وتبين آداب الإسلام ومحاسنه وتلتزم بالصدق في الكلمة والعدل والوفاء والموضوعية والمناقشات الهادفة عبر وسائلها .

وتبين لكل مطلع عليها أن هذه الآداب والفضائل أخذ الله عليها العهد والميثاق في وجوب تحقيقها كما يجب أيضاً أن تبين أهمية الوفاء بها وأن الاخلال بشيءٍ منها نقض للعهد والميثاق .

ولكي يساهم الإعلام مساهمة جادة في بناء الاجيال وتربيته تربية إسلامية على الالتزام بمبادئ العهد والميثاق وجعلها واقعا ملموسا بين أفراد المجتمع المسلم يجب أن يقوم بواجبات من أهمها ما يلي:

١) يجب أن تهدف وسائل الإعلام المختلفة ممثلة في القائمين عليها ، إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى ، وتراعي حرمة في كل كلمة تصدر عنها وفي كل مقالة ، وفي كل صورة ، وفي كل مادة من موادها ، فلا تتبع الأهواء والشهوات .. ولا تكون وسائل لهدم الإسلام فتضل عن طريق الحق والصواب وتضل الجمهور المستهدف من جانبها

٢) يجب أن تكون جميع وسائل الإعلام أداة إصلاح وإرشاد وتوجيه فتخاطب كل إنسان مسلم في بيته وفي مكتبه وفي مزرعته وفي مصنعه وفي مدرسته وفي متجره .. وتتعرف على مشكلاتهم وتساهم في إيجاد الحلول الإسلامية لها .

٣) يجب أن تبرز وسائل الإعلام المختلفة صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان وأن الإسلام يتضمن الحلول الناجعة لمشكلات العصر التي وقفت أمامها الأنظمة الوضعية عاجزة.

٤) يجب أن تبرز وسائل الإعلام المبادئ التربوية والتعليمية الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ، والتي تهدف إلى إعداد الإنسان الصالح .

٥) يجب أن تتوجه جهود العاملين في مجال الإعلام لتوجيه وسائل الإعلام المختلفة من سمعية وبصرية ومرئية ومقروءة إلى تطبيق منهج الله في موادها وفقراتها .

٦) يجب أن تبصر الناس بأخطار الغزو الفكري الماكر وأن ترد على هذا الغزو وتفنّد أباطيل الحاقدين على الإسلام بالبراهين القوية وبالمناقشة الموضوعية واللغة المفهومة .

٧) يجب أن تبرز وسائل الإعلام المختلفة أن الإسلام يدعو إلى الحياة المتوازنة ويجعل العمل المخلص عبادة ما دام يقصد به وجه الله ، ولا يقرر العزلة عن المجتمع .

٨) يجب أن تبرز وسائل الإعلام أن الإسلام يتضمن جميع المبادئ والقيم السامية التي تسمو بالإنسان ، وتجعله من خير البرية .

٩) يجب أن توضح وسائل الإعلام أن الإسلام يضع أساس الحياة الاجتماعية الناجحة روحيا ونفسيا وفكريا واجتماعيا واقتصاديا ، ويدعو إلى ترابط وتكاتف البشر تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

١٠) يجب أن تبين وسائل الإعلام أن الإسلام يدعو إلى القوة والسلامة قوة العقيدة ، وقوة الخلق وقوة العقل وقوة الجسد وقوة الفرد وقوة المجتمع .

١١) يجب أن تبين وسائل الإعلام أن الإسلام يحقق المعجزات في مجال تربية البشر وبناء أجيال مسلمة تتخلق بقيمه ومبادئه وتهتدى بفكره ونظمه .

١٢) يجب أن تبرز وسائل الإعلام أن الإسلام يضع الأساس السليم لتكامل الشخصية حيث جعل الإيمان بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا هو الأساس الذي تصدر عنه وتنبت منه تصرفات الإنسان كافة ،

١٣) يجب أن توجد وسائل الإعلام البدائل المتنوعة ، والوسائل المتعددة لجلب انتباه الشباب المسلم ضد المغريات التي تفتنهم وتبعدهم عن ضوابط دينهم الحنيف .

(١٤) يجب أن تعنى تلك الوسائل الإعلامية المختلفة بالإخراج الفني الجذاب والأسلوب العربي الفصيح ، إلى جانب عنايتها بالفكر الإسلامي الأصيل ، لكي تجتذب السامع والقارئ والمشاهد ليستفيد مما تقدمه .

(الحقيل، ١٤١٢ ص ٦٢-٦٤)

هذه بعض الواجبات التي يجب على وسائل الإعلام الالتزام بها والعمل بموجبها لكي تؤدي رسالتها التربوية على أكمل وجه .

الختامة

النتائج

التوصيات

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذه الرسالة على هذه الصورة فالفضل والمنة له أولاً وآخراً و ﴿لله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون﴾ سورة القصص: ٧٠. وبعد هذه الرحلة المباركة - إن شاء الله تعالى - التي عشت فيها مع كتاب الله تعالى دراسة واستنباطاً بعد أن وقفت على آيات العهد والميثاق في القرآن الكريم. شدّ انتباهي كثرة آيات العهد والميثاق وشمولها لجميع جوانب الحياة الإنسانية عقيدة من إيمان يا لله وكتبه ورسله وفي ذلك يقول جلّ في علاه ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى...﴾ وعبادة من صلاة وزكاة وجهاد في سبيله تبارك وتعالى واجتماعياً من البر بالوالدين وصلة ذوي القربى والعطف على المساكين واليتامى وتوثيق الصلات بين الزوجين وعلاقة المسلم بين المسلم وأثر هذه العلاقات . وأخلاقاً من أمانة وصدق وعدل ووفاء وقول حسن. وما للفتنات التعليمية من أهمية بالغة في تربية النشء ابتداء من الأسرة، ثم المدرسة، ثم المسجد ثم المجتمع ثم انتهاءً بوسائل الإعلام المختلفة وما لها من أثر فعال في توجيه المخاطبين وبهذا يظهر أن للعهود والمواثيق في القرآن الكريم أثر واضح وجلي في تربية الأمة ومعالجة قضاياها هاتوجيهاً وإرشاداً وتعليماً وتربية

هذا ما منّ الله به عليّ ثم سمح به الوقت، وتوصل إليه الفهم المتواضع، فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن فيه خطأ وقصور فحسبي أني بشر وتلك سنة الله في بني الإنسان فالكمال لله وحده والنقص والقصور واختلاف وجهات النظر من صفات البشر ولا أدعي الكمال في هذا البحث .

أسأل الله أن ينفعني بذلك وأن يجزي المشرفين على هذا خير الجزاء.

أما أهم النتائج التي أعانني الله ويسر لي التوصل إليها في هذا البحث فمنها ما يلي:

أولاً : أهمية دراسة الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية معينه دراسة موضوعية لمعرفة أهمية الوحدة الموضوعية في معالجة المشكلات والتي يصعب علاجها عن طريق التحليل . وبالأخص موضوع كموضوع العهد والميثاق .
ثانياً : إن المتتبع لآيات العهد والميثاق يجدها تخاطب الوجدان وتوقظ في الإنسان مشاعر الخير وتحرك في داخله بواعث الاستقامة والصلاح الإنساني .
ثالثاً: تنوع وتعدد الأساليب التي عرضت بها آيات العهد والميثاق في معالجة قضايا الأمة ، الأمر الذي يستدعى المعلم للبحث في عرض قضاياها التربوية عن مداخل النفوس وجذب انتباهها وأحاسيسها ، وهذا الأسلوب الأمثل نتعلمه من القرآن الكريم في عرضه لهذه القضية ، التي تبعد الإنسان عن كل ما من شأنه أن يؤدي فطرته ويقذف بها إلى التهلكة أو يبعده عن المنهج الصحيح ، والحث والترغيب على الالتزام بما تضمنت آيات العهد والميثاق من المبادئ الإسلامية .

رابعاً : اشتملت آيات العهد والميثاق على عدد من الجوانب ، العقدية التي لا حياة للأمة بدونها ولذلك أخذ العهد والميثاق على تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى والإيمان بالكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين والعمل بما في القرآن الكريم ، كما أوضحت أهمية الإيمان بالرسول عامة وبمحمد ﷺ خاصة واتباع سنته والسير على منهجه . وهكذا نجد أن آيات العهد والميثاق تدعوا الناس إلى الأهتمام بالجانب العقدي وتحقيق ذلك في عالم الوجود فالإنسان بدون عقيدة . كالجسد بدون روح .

خامساً : كما اشتملت أيضا على عدد من الجوانب التعبدية التي تربط الإنسان بخالقه جل وعلا ، وتجعل الإتصال بين الخالق والمخلوق دائما وثيقاً .
فمن الجوانب التي تضمنتها آيات العهد والميثاق الصلاة ، والزكاة والجهاد في

سبيل الله وبينت أهميتها ووجوب العناية بها ، وحذرت من التفريط فيها أو التهاون في أدائها ، فذلك نقض للعهد والميثاق الذي الزمه على نفسه ، وعاقبته ، الهلاك والدمار في الدنيا والآخرة نسأل الله السلامة .

سادساً : كما نلاحظ أن لا حياة للأمة بدون جهاد في سبيل الله وأن أي أمة تركت الجهاد في سبيل الله تعيش الذل والهوان والاستعباد لبني البشر ، وقد أشارت آيات العهد والميثاق إلى أهمية الجهاد في سبيل الله وعدم التناقل إلى الأرض والركون إلى شهواتها ووملذاتها- فبالجهاد يتحقق العدل والإنصاف ونصرة المظلوم ، وحماية الأعراض والنسل والمال وقبل هذه كله حماية العقيدة الإسلامية من عبث العابثين وكيد الكائدين .

سابعاً: إن آيات العهد والميثاق أشارت إلى القضايا الاجتماعية وبينت أهمية الترابط والتكاتف بين أفراد المجتمع ، فنجدها حثت على الإحسان إلى الوالدين والبر بهما - كما نراها أيضا تدعوا إلى أهمية صلة الأرحام والعطف بالأيتام ورعاية شؤونهم والإحسان إلى كل صاحب حاجة وسد فقره وعوزة ، كما دعت إلى حسن العشرة بين الزوجين ، وبينت ما ينبغي للمسلم أن يفعله في بنية علاقته الاجتماعية مع غير المسلمين ، ولذلك كان لآيات العهد والميثاق أثر فعال في تكامل البنية الاجتماعية ومراعاة هذا الجانب الهام في حياة الناس.

ثامناً : اشتملت آيات العهد والميثاق في القرآن الكريم على جانب مهم له آثاره ومزاياه وهو الجانب الاخلاقي الذي هو سر من اسرار بقاء الأمم ودوامها لذكان لزاماً على الأمة الالتزام بالأخلاق الفاضلة والصفات النبيلة من الأمانة وعدم الخيانة ، والصدق في الأقوال والأفعال ، وحسن الكلام ، وتحقيق العدل سواء مع النفس أو مع الآخرين والوفاء في جميع الأحوال ، ولا شك أن التحلى بالأخلاق الحسنة له أثر فعال في حياة الانسان وسلوكه وأفعاله وتعامله ومع أسرته داخل البيت أو مع بقية أفراد المجتمع سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين فتحقيق الجوانب الأخلاقية أمر مطلوب .

عاشراً : امتازت آيات العهد والميثاق بالوضوح والشمول ولم تقتصر على جانب معين، بل اشتملت على جميع جوانب الحياة ، فلا تناقض ولا نقص ولا اعوجاج كما فى وضع المناهج البشرية ، بل أتت بما يحقق للعبء السعادة فى الدنيا والآخرة .

تاسعاً : تحدثت آيات العهد والميثاق فى القرآن الكريم عن العهد العام وأنه شامل لجميع البشر من آدم عليه السلام إلى قيام الساعة قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ... ﴾

سورة الأعراف : ١٧٢

فالوفاء بهذا العهد ثمرته السعادة فى الدنيا والنعم المقيم فى الآخرة .

عاشراً : كثرة آيات العهد والميثاق التى تحدثت عن بنى إسرائيل ، ولم تعرف البشرية قوماً على مر التاريخ وصفوا بالعدو والخيانة ونقض العهود والمواثيق كما وصف به اليهود . وذلك مع الأنبياء والمرسلين ، توارثوا العذر والخيانة ، ونقض العهد والميثاق جيلاً بعد جيل إلى وقتنا الحاضر ، وآن للأمة الإسلامية اليوم أن تعود إلى كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ تستلهم العبر وتتذكر الدروس ، التى تكشف لها عما تكن صدورهم من حقد دفين على الإسلام والمسلمين إنهم لا أيمان لهم والعجيب أن نجد من بعض أمتنا من يسعون جاهدين مع بعض الوساطات الدولية فى إقامة العلاقات والمعاهدات مع اليهود وكتابة المواثيق الدولية بينهم .

وكأنهم لم يقرأوا القرآن الكريم ولم ولن يعرفوا ما سطره التاريخ عن إخوان القردة والخنازير، كم عقدت من اللقاءات فى إقامة السلام المزعوم وتحقيق الأمن فى المنطقة بموجب قرارات مجلس الأمن ولكن للأسف لم يتحقق شرط واحد ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم أن استطاعوا﴾ ولا يزال هناك أناس يسعون فى تحقيق السلام وإقامة العهود والمواثيق بين دولة فلسطين وإسرائيل ظناً أنهم سيأمنون مكرهم ويكتفون شرهم ولكن لن

يريدون إنهم نكثوا العهد والميثاق مع موسى عليه الصلاة والسلام وهو الذي انقذهم من فرعون وقومه وكذلك الأنبياء من بعد موسى ﴿فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون﴾ وهذا درس له بالغ الأثر ينبغي للأمة أن تعيه وتستقي منهجها في ذلك من القرآن والسنة النبوية والاستفادة منهما .

في وقتها الحاضر لأنهما المنقذ للبشرية من واقعها المرير الذي تعيشه اليوم ففيهما الهدى والنور، وهما العلاج النافع لحلول الأمة ومشكلاتها .

الحادي عشر : أن الوفاء بالعهود والالتزام بالمواثيق أساس تقدم الشعوب ورفيها وعزها وقوتها وهيبتها .

الثاني عشر : أن الغدر والخيانة رذيلة من الرذائل صفة من الصفات السيئة حرمتها الإسلام وجعلها من كبائر الذنوب ، ومن اتصف بها أو بخصلة منهما، فقد اتصف بالنفاق.

الثالث عشر : أن للوفاء بالعهود والميثاق والالتزام بهما أثر فعال في نفوس الأفراد والمجتمعات ، الحياة الأمانة والعيش الرغيد .

الرابع عشر : لنقض العهود والمواثيق آثار مدمرة وعواقب مفرجة على الأفراد والمجتمعات بعضها يلحق بهم في الدنيا قبل والآخرة فالحروب المشتعلة اليوم في أغلب بقاع الأرض سببها المباشر عدم احترام العهود والمواثيق والمبادرة إلى نقضها عن طريق الغدر والخيانة .

وفي الآخرة توعده الله أولئك بالفضيحة على رؤوس الأشهاد يوم القيامة حينما ينصب له لواء يعرف به .

التوصيات

إن السعي لتحقيق مبادئ التربية الإسلامية فرض على الأمة الإسلامية لتنهض بأمته مرة أخرى ولن يصلح آخر الزمان إلا بما صلح به أوله .

فمن أجل أن يعود للإمامة الإسلامية مجدها وعزها المفقود ، وتكون رائدة بإذن الله قائدة للعالم والسير به على الطريق المستقيم الذى يحفظها من الزلل ويصونها من خطر الإنحراف ويهديها إلى الصراط المستقيم لا بد أن تعود إلى رشدتها ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بالالتزام بما يلي :

١) أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما المصدران الأساسيان للتربية الإسلامية فالإلتزام بما فيهما من المبادئ والقيم والمثاليات والسير على منهج المعلم الأول ﷺ قولاً وعملاً - ما يغنى عن المبادئ والأفكار الدخيلة على الإسلام وأهله والتي هى من وضع البشر ، الذين يقصر إدراكهم ويغيب عنهم كثيراً مما يخطرهم من حاجات الإنسان ومتطلباته ، لذا كان لزاماً الإهتمام بدراسة آيات القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف .

واستنباط كنوزهما مما فيه سعادة البشرية في تربية أبنائها والذى نحن فى أمس الحاجة إليه اليوم .

٢) العمل على دراسة الآيات القرآنية والتي تضم موضوعاً واحداً دراسة موضوعية والعمل على بيان ما اشتملت عليه هذه الآيات من الجوانب - عقيدة أو عبادة ، اجتماعاً ، أو معاملة أو خلقاً أو سياسية واقتصاداً أو غيرها .

٣) الإهتمام بتربية الإنسان على الإيمان وأن التربية على العقيدة الصحيحة وغرسها فى نفوس الناشئة هو الحظ الأول فى التربية الإسلامية وهذا يقتضى أن تتخذ العقيدة الإسلامية الصحيحة القاعدة الأولى والهدف الأسمى لتربية الأفراد والجماعات .

٤) الإهتمام بدراسة التفسير الموضوعى وأن يوضع فى إطار مناهج الدراسة فى

كل مرحلة بما يناسبها .

٥ (العمل على تأصيل المناهج الدراسية فى مختلف المراحل التعليمية ، وصياغتها صياغة إسلامية مركزة مستمدة من الكتاب والسنة متخذه منهما المنطلق الاساسي لفحواها وأسلوبها لتخرج لنا جيلا صالحا تنبعث ثقافته من المبادئ الإسلامية الأصيلة.

٦ (أن يكون القائمون على التربية والتعليم خير من يتصف بالأخلاق الحسنة والصفات النبيلة ، لأنهم القدوة الصالحة لأبنائهم الطلاب فى سلوكهم ومعاملاتهم .

٧ (أمل من الاخوة الباحثين استكمال هذا البحث فى الجانب السياسي والاقتصادي بشكل مفصل موضحين أهمية تربية الأمة على الأمور السياسية مع الأعداء .

٨ (كما أوصى بأستخراج نماذج من المبادئ التربوية فى عهد الرسول ﷺ وموآئيقه فهو ﷺ خير من التزم بالوفاء بالعهود والموآئيق فى أصعب الظروف وأقساها.

٩ (الاهتمام بتربية الناشئة على الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة فى البيت ، وفى المدرسة وفى الشارع ، وعلى وسائل الإعلام أن تكون خير أداة للبناء والتكوين الأخلاقي لتساهم فى بنائهم مع الأسرة والمدرسة والمسجد ، وألا تكون معاول هدم ، تفسد ولا تصلح ، وتدعوا إلى الشر والرذيلة عن طريق موادها الإعلامية .

وبعد فهذا جهدي المقل فإن أصبت فمن الله وإن كانت الأخرى أو بعضها
فحسبي أني بشر، وتلك سنة الله في بني فالكمال لله وحده، والنقص والقصور
واختلاف وجهة النظر من صفات البشر.

أسأل الله جلّت قدرته أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأشكره على
التمام.

﴿سبحانَ ربِّكَ ربِّ العزَّةِ عما يصفون وسلامٌ على المرسلين * والحمدُ لله ربِّ العالمين﴾

سورة الصفات : ١٨٠ - ١٨٢

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس الآيات

فهرس الآيات

سورة البقرة

الآية	رقمها	الصفحة
آلم. ذلك الكتاب	٢-١	١٤٩
الذين يؤمنون	٣	١٤٩
إن كنتم في ريب مما نزلنا	٢٣	٩٤
كيف تكفرون بالله	٢٨	٦٣
وإذ قال ربك للملائكة	٣٠	٥٤
يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي	٤٠	٢٨٦-٨٣-٣٠
وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم	٤٠	٢٩٩-٢٩٠-٢٨٧
وآمنا بما أنزلت مصدقاً	٤١	٨٣
وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	٤٣	١٤٠-١١٨
واستعينوا بالصبر والصلاة	٤٥	١٣٦-١١٦
وضربت عليهم الذلة	٦١	٢٠٧
إن الذين آمنوا والذين هادوا	٦٢	٦٣
وإذا أخذنا ميثاقكم	٦٣	٨٥-٨٣-٢٠
أفتطمعون أن يؤمنوا لكم	٧٥	٨٦
قل اتخذتم عند الله عهداً	٨٠	١٩
وقالوا لن تمسنا النار	٨٠	٢٧٥

-١١٥-٨٣-٦٢-٤	٨٣	وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل
-١٨٢-١٦٨-١٣٩		
-٢٠٦-١٩٧-١٩٥		
٣٠١		
٣٠٥	٨٣	وقولوا للناس حسنا
٣٠	٨٤	وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون
١٠٧	٨٧	أفكلما جاءكم رسول
٨٣-٦٢	٩٣	وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
١٠٤-٦٢-١٩	١٠٠	أو كلما عاهدوا عهداً
٨٨	١٠٦	ما ننسخ من آية
٢٦٣	١٢٤	لا ينال عهدي الظالمين
١١٥	١٢٥	وعهدنا إلى إبراهيم
٦٧	١٣٦	قولوا ءامننا بالله
	١٤٠	ومن أنظلم ممن كتم
٧٣	١٦٣	وإلهكم إله واحد
-٢٠٧-٢٠٠-٦٠	١٧٧	ليس البر أن تولو وجوهكم
٢٩٧-٢٧٢		
٢٧٢	١٧٧	أولئك الذين صدقوا
٢٩٠-٢٨٦	١٧٧	والموفون بعهدهم
١٦١	١٩٣	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
٢٣٢	١٩٤	فمن اعتدى عليكم

٢٠٠	٢١٥	يسألونك ماذا ينفقون
١٩٨	٢٢٠	ويسألونك عن اليتامى
٢١٤	٢٢١	ولا تنكحوا المشركات
٢٢٢	٢٢٣-٢٢٢	فإذا تطهرنا فأتوهن
١٢٤	٢٢٢	إن الله يحب التوابين
٢٢١	٢٢٨	ولهنّ مثل الذي عليهنّ
٢٢٠	٢٣٣	وعلى المولود له
١٣١	٢٣٨	حافظو على الصلوات
١٠٨	٢٥٣	تلك الرسل فضلنا بعضهم
٢٠٩	٢٥٤	يأبىها الذين آمنوا أنفقوا
١٤٦-١٤٤	٢٦٧	يأبىها الذين آمنوا أنفقوا
٢٠٩	٢٧١	إن تبدوا الصدقات
١٤١	٢٧٤	الذين ينفقون أموالهم بالليل
١٥١	٢٧٦	يحق الله الربا
١٤١-١١٨	٢٧٧	إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات
٢٥٦	٢٨٣	فإن آمن بعضكم بعضاً
٦٠	٢٨٥	ءامن الرسول بما أنزل إليه

سورة آل عمران

الآية	رقمها	الصفحة
الله لا إله إلا هو الحي القيوم	٢	٨٧

٢٦١	١٨	شهد الله أنه لا إله إلا هو
١١٠-١٠٩	٣١	قل إن كنتم تحبون الله
١٠٥	٣٣	إن الله اصطفى آدم ونوحا
٢٤٦	٧٥	ومن أهل الكتاب من إن تأمنه
٢٨٦-١٩	٧٦	بلى من أوفى بعهدده واتقى
٢٩٥-١٩	٧٧	إن الذين يشترون بعهد الله
-٩٨-٢٨-٢٠	٨١	وإذا أخذ الله ميثاق النبيين
٢٩١-١٠٤		
١٠٤	٨٢	فمن تولى بعد ذلك
١٠٤	٨٤	قل نأمننا بالله وما أنزل علينا
٢٧٣	٩٣	كل الطعام كان حلالاً
٢٧٢	٩٥	قل صدق الله
٩٣	١٠٧	واعتصموا بحبل الله
٣٠٥	١٥٩	ولو كنت فظاً غليظ القلب
٣٠٥	١٥٩	فبما رحمة من الله لنت لهم
٨١	١٧٥	فلا تخافوهم وخافون
١٤٨	١٨٠	ولا يحسبن الذين ييخلون
٩٨	١٨٣	الذين قالوا إن الله عهد إلينا
٢٩١-٩٨-٣٤	١٨٧	وإذا أخذنا ميثاق الذين أوتوا الكتاب
٧٨	١٩٠	إن في خلق السموات والأرض

٦٧	١٩٣	ربنا إنا سمعنا منادياً
١٦٢	٢٠٠	يا أيها الذين آمنوا اصبروا

سورة النساء

الصفحة	رقمها	الآية
١٨٣	١	يا أيها الناس اتقوا ربكم
١٩٨	٢	ولا تأكلوا أموالهم
١٩٩	٣	وإن خفتم ألا تقسطوا
٢٢٠	٣	وآتوا النساء صدقاتهن
٢٢٠	٣	فإن خفتم ألا تعدلوا
٢٦٥	٣	فانكحوا ما طاب لكم
١٩٨	٦	وابتلوا اليتامى
٢٠٨-١٩٩	٨	وإذا حضر القسمة
٢٠٢	٩	وليخشى الذين لو تركوا
١٩٨	١٠	إن الذين يأكلون أموال
٢٢١	١٩	وعاشروهن بالمعروف
٢١٢	٢٠-٢١	وإن أردتم استبدال
٢٠	٢١	وأخذن منكم ميثاقاً
٢٢٣	٢١	وكيف تأخذونه وقد أفضى
٢٣٣	٢٩	إلا أن تكون تجارة
٢١٨	٣٤	الرجال قوامون على النساء

٢١٨-٢١٥	٣٤	فالصالحات قانتات
١٩٦-١٦٨-٦	٣٦	واعبدوا الله ولا تشركوا به
١٣٤	٤٣	يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا
٨٦	٤٦	من الذين هادوا يحرفون الكلم
٢٦٦-٢٤٩	٥٨	إن الله يأمركم أن تؤدوا
٢٧٥-٢٧٢	٦٩	ومن يطع الله والرسول
٨٢	٧٨	أينما تكونوا يدرككم الموت
٢٧٤	٨٧	الله لا إله إلا هو
٥٢	٨٩	فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم
٢٢٨-٥٢-٢١	٩٠	إلا الذين يصلون إلى
٢٣٥	٩٢	وإن كان من قوم بينكم وبينهم
٢٤١	٩٢	وما كان المؤمن أن يقتل
١٥٧	٩٥	لا يستوي القاعدون من المؤمنين
١٦٤-١٣٣	١٠٢	وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة
١٣٤-١٢٥	١٠٣	إن الصلاة كانت على المؤمنين
٢٧٤	١٢٢	والذين آمنوا وعملوا الصالحات
٢٠٠	١٢٧	ويستفتونك في النساء
٢٦٥	١٢٧	وأن تقوموا لليتامى
٢٢٠	١٢٩	ولن تستطيعوا أن تعدلوا
٢٦٨-٢٥٩-٢٥١	١٣٥	بأيها الذين آمنوا كونوا

٥٨	١٥٠	إن الذين يكفرون بالله ورسوله
٦٢	١٥٤	ورفعنا فوقهم الطور
٩٨-٨٣	١٥٥	فبما نقضهم ميثاقهم
١٠٦	١٦٤	ورسلا قد قصصناهم عليك
١٠٢	١٦٥	رسلا مبشرين ومنذرين

سورة المائدة

الآية	رقمها	الصفحة
يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود	١	٢٨٨
وتعاونوا على البر والتقوى	٢	١٩٤
اليوم أكملت لكم دينكم	٣	١٠٨
يا أيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلاة	٦	١٢٢
واذكروا نعمة الله عليكم	٧	٣٥-٢١
يا أيها الذين ءامنوا كونوا	٨	٢٦٦-٢٦٠
ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل	١٢	١٣٩-١١٥-٩٨
ومن الذين قالوا إنا نصارى	١٤	١٠٤-٢١
وإن حكمت فاحكم بينهم	٤٢	٢٦٦
إنا أنزلنا التوراة	٤٤	٨٥
وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم	٤٦	٨٥
وليحكم أهل الإنجيل	٤٧	٨٦
وأنزلنا إليك الكتاب	٤٨	٩٢

	٦٨	قل يأهل الكتاب لستم على شيء
٩٨-٢٩	٧٠	لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل
٦٣	١١١	وإذ أوحيت إلى الحواريين
٢٨٣-٢٧٥	١١٩	قال الله هذا يوم ينفع الصادقين

سورة الأنعام

الصفحة	رقمها	الآية
	٣٨	ما فرطنا في الكتاب من شيء
١٤٦	٤١	كنوا من ثمره إذا أثمر
١٠١	٤٨	وما نرسل المرسلين إلا
١٠٥	٨٣	وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم
١٠٥	٨٤	ورهبنا له إسحاق
١٠٥	٨٥	وزكريا ويحيى
١٠٥	٨٦	وإسماعيل واليسع
١٣١	٩٢	وهذا كتاب أنزلناه
٧٩	٩٥	وعنده مفاتيح الغيب
٧٧	١٢٢	أرمن كان ميتا فأحييناه
٥٥	١٤٦	ذلك جزيناهم بيغيهم
٢٩٠-١٩	١٥٢	وبعهد الله أوفوا
١٩٨-١٩٥	١٥٢	ولا تقربوا مال اليتيم
٢٦٦	١٥٢	وإذا قلتم فاعدلوا

٢٦٦	١٥٢	وأوفوا الكيل
٩٤	١٥٣	وأن هذا صراطي مستقيماً

سورة الأعراف

الصفحة	رقمها	الآية
٢٩١	٦	فلنساءن الذين أرسل إليهم
٧٢	٥٤	ألا له الخلق والأمر
٢٥٦	٩٦	ولو أن أهل القرى آمنوا
٦٢	١٠٢	وما وجدنا لأكثرهم من عهد
٢٠	١٣٤	قالوا يا موسى ادع لنا ربك
	١٣٤	ولما وقع عليهم الرجز قالوا
١٠٩	١٥٨	قل يا أيها الناس إني رسول الله
٨٣	١٦٩	ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
٧٦+٢٣	١٧٢	وإذ أخذ ربك من بني آدم
٩٥	١٧٩	لهم قلوب لا يفقهون بها
٧٥	١٨٠	ولله الأسماء الحسنى
١٠٧	١٨٨	قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا

سورة الأنفال

الصفحة	رقمها	الآية
٢٤+٢٣٥+٢٣١+٥٣+٤	٧٢	وإن استنصروكم في الدين
٢٩٨+٢		

٣٥	٥٣	ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة
٤٤	٥٦	الذين عاهدت منهم
٧١	٩	إذ تستغيثون ربكم
١٦٢	٤٥	يأأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة
١٦٢	١٥	يأأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا
١٦٢	١٦	ومن يؤهّم يومئذ دبره
١٦٣	٤٦	ولا تنازعوا فتفشلوا
١٦٤	٦٠	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
٢٠٨+٢٠٢	٤١	واعلموا أنما غنمتم من شيء
٢٤٠+٢٣٤	٥٨	وإما تخافن من قوم خيانة
٢٤٠	٦١	وإن جنحوا للسلم
٢٤٠	٥٥	إن شر الدواب عند الله
٢٥٣	٢٧	يأأيها الذين آمنوا لا تخونوا
٢٢٨	٧٢	إن الذين آمنوا وهاجروا

سورة التوبة

الآية	رقمها	الصفحة
برآة من الله ورسوله	١	٢٢٨+٥٢+٤٨
فسيحوا في الأرض	٢	٢٣٨
إلا الذين عاهدتم من المشركين	٤	٢٣٥+٥٢
فأتوموا إليهم عهدهم	٤	٢٤٠

٢٣٩	٥	فإذا انسلخ الأشهر الحرم
٥٣+٤٩	٧	كيف يكون للمشركين عهد
٥٢	٧	إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام
٢٠	١٢	وإن نكثوا أيمانهم
٨١	١٣	أنتخسونهم فالله أحق
٣٣١	١٨	إنما يعمرؤا مساجد الله
١٥٤	٢٠	الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
٨٠	٢٣	يأبئها الذين آمنوا لا تتخذوا
٦٧	٢٩	قاتلوا الذين لا يؤمنون
٢٣١	٢٩	حتى يعطوا الجزية
٢٠٩+١٤٨	٣٤	والذين يكتزون الذهب
١٤٨	٣٥	يوم يحمى عليها في نار جهنم
٢٣٩	٣٦	إن عدة الشهور عند الله
١٥٨	٣٩	إلا أن تنفروا يعذبكم
١٣٩	٥٧	ومنهم من عاهد الله
١٤٦	٦٠	إنما الصدقات للفقراء
١٦٠	٧٣	يأبئها النبي جاهد
١٥٨	٨١	فرح المخلفون بمقعدهم
١٥٨	٨٢	فليضحكوا قليلاً
١٤٦+١٤٤	١٠٣	خذ من أموالهم صدقة

١٢٤	١٠٨	فيه رجال يحبون أن يطهروا
٢٩١+١٥٥	١١١	إن الله اشترى من المؤمنين
١٧١	١١٣	ما كان للنبي والذين آمنوا
٢٧١	١١٩	يا أيها الذين آمنوا اتقوا

سورة يونس

الآية	رقمها	الصفحة
أم يقولون افتراه	٣٨	٩٣
ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم	٦٢	٨٠
ولو شاء ربك لأمّن	٩٩	٦٦

سورة هود

الآية	رقمها	الصفحة
وما من دابة في الأرض	٦	٧٣
أم يقولون افتراه	١٣	٩٣
وإلى عاد أخاهم هودا	٥٠	١٠٥
اعبدوا الله مالكم من إله غيره	٦١	٧٣
وإلى ثمود أخاهم صالحاً	٦١	١٠٥
فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً	٦٦	٦٣
وإلى مدين أخاهم شعيب	٨٤	١٠٥
ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً	٩٤	٦٣
وكذلك أخذ ربك إذا أخذ	١٠٢	٢٦٣

سورة يوسف

الآية	رقمها	الصفحة
قال لن أرسله معكم	٦٦	٢١
قال اجعلني على خزائن الأرض	٥٥	٢٥١
وقال الملك أئتوني به	٥٦-٥٤	٢٥٦
قال كبيرهم	٨٠	٢٨٠
فقالوا ياأبانا	٨١	٢٨١
إن الحكم إلا لله	٤٠	٣٣٠
ولا تيأسوا من روح الله	٨٤	٧٨

سورة الرعد

الآية	رقمها	الصفحة
أفمن يعلم إنما أنزل إليك	٢٠-١٩	٢٩٨
الذين يوفون بعهد الله	٢١-٢٠	٢٨٦+٢١
إنما يتذكر أولوا الألباب	٢٣-٢٠	٢٩٠
والذين يصلون ما أمر الله به	٢١	١٨٥
أولئك لهم عقبى الدار	٢٢	٢٩٩
والذين ينقضون عهد الله	٢٥	٢٩٦+١٨٥+١٨٢
الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم	٢٨	٧٧+٥٩

٨٩	٣٨	نكل أجل كتاب
٢١٣	٣٨	ولقد أرسلنا رسلاً

سورة إبراهيم

٢٦٣	٢٢	إن الظالمين لهم عذاب أليم
٣٠٩	٢٥	ألم ترى كيف ضرب الله

سورة الحجر

الآية	رقمها	الصفحة
إنا نزلنا الذكر	٩	٩٢+٨٧
فوربك لنسألنهم أجمعين	٩٢	٢٩١

سورة النحل

ولقد بعثنا في كل آمة	٢٦	٩٦+٥٩
ويجعلون لله ما يكرهون	٦٢	٣٠٧
ونزلنا عليك الكتاب	٨٩	٢
إن الله يأمر بالعدل	٩٠	٢٥٨
وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم	٩١	٢٠+٢
لسان الذي يلحدون إليه	١٠٣	٩٥
ادع إلى سبيل ربك بالحكمة	١٢٥	٣٠٢

سورة الإسراء

إن هذا القرآن يهدي	٩	٩٤
وما كنا معذبين حتى نبعث	١٥	١٠٣

١٧٢	٢٣	فلا تقل لهما أف
١٧١	٢٤	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه
٢٠٨+١٨٣	٢٦	وءات ذا القربى حقه
٨٢	٣٠	إن ربك يبسط الرزق
١٩٨	٣٤	ولا تقربوا مال اليتيم
٢٨٦+٢٩٠	٣٤	وأوفوا بالعهد إن العهد
٢٨٩	٣٥	وأوفوا الكيل إذا كلتم
٧٩	٤٤	وإن من شيء إلا يسبح
	٤٤	تسبح له السموات السبع
٣٠٤	٥٣	وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن
٨٦	٥٥	وآتينا داود زبوراً
١٠٧	٥٥	ولقد فضلنا بعض النبيين
١١٨	٥٨	أقم الصلاة لدلوك الشمس
٢٩٢+٢٤٨	٧٠	ولقد كرمتنا بني آدم
٩٣	٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس
٩٥	١٠٦	وقرءانا فرقناه

سورة الكهف

الآية	رقمها	الصفحة
وأما الجدار كان لغيرنا	٨٢	١٩٧
قل لو كان البحر مداداً	١٠٩	٩٠

١٠٦	١١٠	قل إنما أنا بشر مثلكم
سورة مريم		
٢٧٧	٤١	وأذكر في الكتاب إبراهيم
٢٧٧	٥٤	وأذكر في الكتاب إسماعيل
٣١٥	٥٥	وكان يأمر أهله بالصلاة
١٣٢+١١٨	٥٩	فخلف من بعدهم خلف
٢٨١	٧٧	أفرأيت الذي كفر
٢٠	٨٧	لا يملكون الشفاعة إلا

سورة طه

الآية	رقمها	الصفحة
إذها إلى فرعون إنه طغى فقولا له	٤٣	٣٠٢
أطفال عليكم العهد	٨٦	٢٠
ولقد عهدنا إلى آدم	١١٥	١٩
وأمر أهلك بالصلاة	١٣٢	٣١٥
ولو أنا أهلكتناهم بعذاب	١٣٤	١٠٢

سورة الأنبياء

وما أرسلنا من قبلك	٢٥	٩٦+٦٠+٥٨
وإسماعيل وإدريس	٨٥	١٠٦
إنهم كانوا يسارعون في الخيرات	٩٠	١٢٩
وهذا ذكر مبارك	٥٠	٩٢

سورة الحج

٧٣	٦٢	ذلك بأن الله هو الحق
٩٥	٤٦	أفلم يسيروا في الأرض
١٧٤	١٠	ذلك بما قدمت يداك

سورة المؤمنون

الآية	رقمها	الصفحة
قد أفلح المؤمنون الذين هم	١	٢٩٩+٢٥٣+١٢٨
والذين هم لأماناتهم وعهدهم	٨	٣٠٠+٩٧+٢٤٦
والذين هم على صلواتهم	٩	١٣١
أولئك هم الوارثون	١٠	١٣١
الذين يرثون الفردوس	١١	١٣١
اعبدوا الله مالكم من إله غيره	٢٣	٥٩
وإن هذه أمتكم أمة واحدة	٥١	١١١
قل لمن الأرض ومن فيها	٨٤	٧٣
ادفع بالتي هي أحسن السيئة	٩٦	٣٠٥+٣٠١

سورة النور

إذ تلقونه بألسنتكم	١٥	٣٠٧
وانكروا الأيامى منكم	٣٢	٢١٤+٢١٢
في بيوت أذن الله أن ترفع	٣٦	٣٢٧

١٧٨	٤٠	ومن لم يجعل الله له نورا
	٥٤	أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
سورة الفرقان		
٩٢	١	تبارك الذي نزل الفرقان
٣٠١	٦٣	وعباد الرحمن الذين يمشون
٣٠١	٧٢	والذين لا يشهدون الزور
سورة الشعراء		
		الآية
الصفحة	رقمها	
٩٩	١٦	إنا رسول رب العالمين
٩٣	١٩٢	وإنه لتنزيل رب العالمين
سورة النمل		
٧٣	١٤	وجحدوا بها واستيقنتها
٢٤	١٨	قالت نملة ياأيها النمل
سورة القصص		
٢٥١	٢٦	إن خير من استأجرت
سورة العنكبوت		
١٣٣+١٣١	٤٥	إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
٩٥	٤٩	بل هو آيات بينات
سورة الروم		
٣١١+٢١٢	٢١	ومن آياته أن خلق لكم

١٢٦	٢٦	وله من في السموات والأرض
٦٩	٣٠	فطرة الله التي فطر الناس عليها
١٨٣	٣٨	فئات ذا القربى
١٥٢	٣٩	وما آتيتم من زكاة تريدون

سورة لقمان

الآية	رقمها	الصفحة
وإذ قال لقمان لابنه	١٣	٣١٦
أن اشكر لي ولوالديك	١٤	١٧٢+١٧١
حملته أمه وهناً	١٤	١٧٢
وإن جاهداك على أن تشرك بي	١٥	٣١٨+١٧٥
يابني أقم الصلاة	١٧	٣١٦
ولا تصعر خدك	١٨	٨١
واغضض من صوتك	١٩	٣٠٦

سورة السجدة

وجعلنا منهم أئمة يهدون	٢٤	١٦٠
------------------------	----	-----

سورة الأحزاب

وأولوا الأرحام بعضهم	٦	١٨٣
وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم	٧	١٠٨+٩٨+٢٨+٤
ليسأل الصادقين عن صدقهم	٨	٢٧٢

١٥٥	١٥	ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل
٣٢٨+١١٠	٢١	لقد كان لكم في رسول الله
٢٧٢+٢٧١+١٥٥+٤٣	٢٣	من المؤمنين رجال صدقوا
٢١٩	٣٣	وقرن في بيوتكن ولا
٦٦	٣٥	إن المسلمين والمسلمات
١٠٨	٤٠	ما كان محمد أبا أحد
٢٤٧	٧٢	إنا عرضنا الأمانة
٢٤٨	٧٣	ليعذب الله المنافقين

سورة سبأ

الآية	رقمها	الصفحة
وما أرسلناك إلا كافة للناس	٢٨	١٠٩
وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه	٣٩	١٥١

سورة فاطر

إن الشيطان لكم عدو	٦	١٦٠
ذلكم الله ربكم له الملك	١٣	٧٣
وإن من أمة إلا خلا فيها نذير	٢٤	٦٣

سورة يس

ألم أعهد إليكم يا بني آدم	٦٠	٦٢
---------------------------	----	----

سورة الصافات

سبحان ربك رب العزة	١٨٠	٣٥٢
--------------------	-----	-----

سورة الزمر

٩٦	٢٣	الله نزل أحسن الحديث
٢٧٦	٣٢	فمن أظلم ممن كذب
٢٧٢	٣٣	والذي جاء بالصدق
٧٣	٦٢	الله خالق كل شيء

سورة غافر

الآية	رقمها	الصفحة
يعلم خائنة الأعين	١٩	٨٢
ولقد أرسلنا رسلاً	٧٨	١٠٦

سورة فصلت

٧٩	٣٠	إن الذين قالوا ربنا
	٣٤	ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي
٨٨	٤١	إن الذين كفروا بالذكر
٢	٤٢	لا يأتيه الباطل من بين يديه
٢٤	٥٣	سنريهم آياتنا في الآفاق
٣٤٥	٧٠	له الحمد في الأولى والآخرة

سورة الشورى

٧٥	١١	ليس كمثلته شيء
٢٦٥	١٤	وإن الذين أورثوا الكتاب
٥٨	٥٢	وكذلك أوحينا إليك

سورة الزخرف

٢٦٤	٧٦-٧٤	إن المجرمين في عذاب جهنم
٣٣٤	٨٤	وهو الذي في السماء إله

سورة الدخان

٩٢	١	حم* والكتاب المبين
----	---	--------------------

سورة الجاثية

الآية	رقمها	الصفحة
ثم جعلناك على شريعة	١٨	٣٢٣
إنهم لن يغنوا عنك من الله	١٩	٣٢٣

الأحقاف

رب أوزعني أن أشكر	١٥	
حملته أمه كرهاً	١٥	١٧٣
فاصبر كما صبر أولوا العزم	٣٥	١٠٧

سورة محمد

فإذا أنزلت سورة محكمة	٢٠	١٦٣
فهل عسيتم إن توليتم	٢٢-٢٣	١٨٦

سورة الفتح

إن الذين يباعدونك	١٠	١٥٥+٤٠
ومن أوفى بما عاهد عليه الله	١٠	٢٩١+٢٨٦
لقد رضي الله عن المؤمنين	١٨	٤١

١٠٦	٢٩	محمد رسول الله
		سورة الحجرات
٣٠٦	٢	يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
٢٦٦	٩	وإن طائفتان من المؤمنين
٢٨٣+٥٧	١٥	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله
		سورة الذريات
		الآية
	رقمها	الصفحة
٣١٢+١١٤+٢٧	٥٦	وما خلقت الجن والإنس
١٥١	١٩	وفي أموالهم حق معلوم
		سورة الطور
٧٠	٣٥	أم خلقوا من غير شيء
		سورة النجم
٨٦	٣٦	أم لم ينبأ بما في صحف موسى
		سورة القمر
٧٢	١	أقربت الساعة وانشق القمر
		سورة الحديد
٢٩٧+٦٢+٢١	٨	وما لكم لا تؤمنون بالله
٦٧	١٩	والذين آمنوا بالله ورسوله
١٠٦	٢٥	لقد أرسلنا رسلنا
		سورة الحشر

١٥٣	٧	ولذي القربى واليتامى
٢٠٨+٢٠٣	٧	مأفأء الله على رسوله

سورة الممتحنة

٣٨	١٢	ياأيها النبي إذا جاءك المؤمنات
١١٠	٤	قد كانت لكم أسوة حسنة
١١٠	٦	لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة
٣١٨	٨	لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم

سورة الصف

الآية	رقمها	الصفحة
كبر مقتاً عند الله	٢	١٣٦
إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله	٤	١٦٣

سورة المنافقون

والله يشهد إن المنافقين لكاذبون	١	٢٧٩
---------------------------------	---	-----

سورة التغابن

إن تقرضوا الله	١٧	٢٠٩
----------------	----	-----

سورة الطلاق

ومن يتعدى حدود الله	١	٢٦٤
اسكنوهن من حيث سكنتم	٦	٢٢٠
لينفق ذو سعة من سعته	٧	٢٢٠

سورة التحريم

٢٥٥	٦	يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم
		سورة القلم
٢٥٣	٤	وإنك لعلی خلق عظیم
		سورة الحاقة
٢٠٩	٣٠	خذوه فغلوه
		سورة المعارج
		الآية
	رقمها	الصفحة
١٣٧	١٩-٢٣	إن الإنسان خلق
٢٤٦	٣٢	والذين هم لآماناتهم وعهدهم
١٣١	٣٤	والذين هم على صلاتهم
١٣١	٣٥	أولئك في جنات مكرمون
		سورة المزمل
١٧١+١٤٤	٢٠	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
		سورة الإنسان
٢١١+٢٠٨+٢٠٠+١٩٨	٨	ويطعمون الطعام على حبه
٨٧	٢٣	إنا نحن نزلنا عليك القرآن
		سورة النازعات
٧٣	٢٤	أنا ربكم الأعلى
		سورة الأعلى
٨٦	١٨	إن هذا لفي الصحف الأولى

سورة الفجر

٢٠١	١٨-١٥	فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه
٢٠٨	١٧	كلا بل لا تكرمون اليّيم

سورة البلد

الآية	رقمها	الصفحة
	١٥-١٤	٢٠٠
	١٨-١٧	٢٠١

أو إطعام في يوم ذي مسغبة
ثم كان من الذين آمنوا

سورة الليل

١٤٩	٥	فأما من أعطى واتقى
-----	---	--------------------

سورة الضحى

١٩٧	٦	ألم يجدك يتيماً
١٩٨+١٩٧	٩	فأما اليّيم فلا تقهر

سورة العلق

٢٧٨	٥-١	اقرأ باسم ربك الذي خلق
-----	-----	------------------------

سورة البينة

١٤٠+١١٨	٥	وما أمروا إلا ليعبدوا الله
---------	---	----------------------------

سورة الزلزلة

٧٩	٧	فمن يعمل مثقال ذرة
----	---	--------------------

سورة الماعون

٢٠٨	٣-١	أرءايت الذي يكذب بالدين
١٣٢+١١٨	٥-٤	فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم

فهرس الأحادیث

فهرس الأحاديث

حرف الألف

١٩٣	أتتني أمي راغبة في عهد النبي ﷺ
١٦٤	ألا أن القوة الرمي
٣١٣	ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم
٣١٣	الإيمان أن تؤمن بالله
٢٠٣+١٦٢	اجتنبوا السبع الموبقات
١٧٠	الإحسان أن تعبد الله
١٧٠	أخذ الله العهد من ظهر آدم
١٢٢	إذا توضأ العبد المسلم (أو المؤمن)
٢٨٨	إذا حلفت على يمين
٢١٧	إذا خطب أحدكم
٢١٤	إذا خطب إليكم من ترضون دينه
١٥٨	إذا ضن الناس بالدينار والدرهم
١٥٨	إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث
١٢٣	أرأيتم لو أن نهراً يباب أحدكم
٢٧٦	أربع إذ كن فيك فلا عليك ما فاتك
٧١	أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ
٢٦٥	أعطيت سائر ولدك مثل هذا
٢٨١	أما أنك لو لم تعطيه شيئاً
١٤٧+١٤٤	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا

٢٥٤	إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال
٢٧٥	إن أهل الجنة ليتراؤون أهل الغرف
١٧٩	إن البر والصلة بطيخان الأعمال
٢٥١	إن الخازن المسلم
٢٧٦	إن الصدق يهدي إلى البر
٣٠٨	إن العبد ليتكلم بالكلمة
١٣٧	إن الله أوحى إلي أن تواضعوا
٢٥٢	إن الله سأل كل راع عما استرعاه
٢٦٣	إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته
٢٥	إن الله يقول لأهل النار
٢٦٩	إن المقسطين عند الله على منابر
١٨٦	إن رجلا قال يا رسول الله أتحيرني بعمل يدخلني الجنة
١٥٧	إن في الجنة مائة درجة
١٥٧	إن كذبا عليّ ليس ككذب عليّ أحد
١٠٨	إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد..
١٨٩	إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني
١٧٦	إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه
٢٥١	إن من أشر الناس عند الله
١٢٥	أنا أغنى الشركاء عن الشرك
٢٠٥+٢٠٣	أنا وكافل اليتيم في الجنة
٢١٧	أنظرت إليها؟ قال : لا
٢٦٣	إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ

١١٥	إنما جعل الإمام ليؤتم به
٢١٥	إنني أحببت امرأة ذات حسب
٢٤٩	إنني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس
١٧١	أي العمل أحب إلى الله؟ قال الصلاة على وقتها
١٠٧	أي الناس أشد بلاء
٢١٥	أي النساء خير
٢٨٤	آية المنافق ثلاث
٢١٧	أيما امرأة نكحت

حرف الباء

١٦٣	بايعنا رسول الله على السمع والطاعة
١٤٤+١٤٠+١١٨+١١٦+١٠٩	بني الإسلام على خمس
٢٨٥	البيعان بالخيار
١٨٠+١٧٩	بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر

حرف التاء

٢٥١	التاجر الصدوق
٢١٠+١٩٥+١٩١+١٤١	ترى المؤمنين في تراحمهم..
١٨٨	تصدقن ولو من حليكن
٣٨	تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا
١٩٣+١٨٦	تعبد الله لا تشرك به شيئا
٢١٥	تنكح المرأة لأربع

حرف الثاء

٢٧٠	ثلاثة لا ترد دعوتهم
-----	---------------------

حرف الجيم

- جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ
جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد
- ١٧٦+ ١٥٦

حرف الحاء

- خرج النبي ﷺ عام الحديبية
خرج رسول الله حتى صعد الصفا
خرج عن سقف بيتي وأنا بمكة
خلق الله الخلق فلما فرغ قامت الرحم
خمس صلوات كتبهن الله على العباد
خيركم خيركم لأهله
- ٢٧٧
١١٩
١٨٦
١٣٣
٢٢٤

حرف الدال

- دع ما يريبك
الدنيا متاع
- ٢١٥

حرف الذال

- ذكر رسول الله ﷺ الكبائر
- ١٧٦

حرف الراء

- رأس الأمر الإسلام
الرحم معلقة بالعرش
رضى الرب في رضا الوالد
- ٣٠٤+١١٦
١٨٧
١٨٠

حرف الزاي

- زملوني زملوني
- ٢٧٨

- ١١١ كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي
٢٦٢ كل سلامي من الناس عليه صدقة.
٢١٩ كلكم راع

حرف اللام

- ٢٥٣ لا إيمان لمن لا أمانة له
١٩٢ لا تباغضوا ولا تحاسدوا
٢٢١ لا تمنعوا إماء الله مساجد الله
٢١٨+٢١٦ لا تنكح الأيم
٢١٧ لا نكاح إلا بولي وشاهدي
١٥٥ لا هجرة بعد الفتح
٢١٩ لا يجوز لامرأة عطيه إلا بإذن
١٩٣ لا يدخل الجنة قاطع
٢٥٠ لتؤذن الحقوق إلى أهلها
٤٢ لقد رأيتني يوم الشجرة
١٨٩ ليس الواصل بالمكافئ

حرف الميم

- ١٦٤ المؤمن القوي خير وأحب إلى الله
٢١٠+١٥٢ المؤمن للمؤمن كالبنيان
٢٥٢ ما المسؤول عنها بأعلم من السائل
٢٣٣ ما بال أناس يشترطون شروطاً
١٩٤+١٨٨ ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا
١٤٨ ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها

٢٥٠	ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها
١٦١	ما من عبد يموت له عند الله حتى يسره
٦٩	ما من مولود
١٤٧	ما منع قوم الزكاة إلا
٣٢٠	ما نحل والد ولده من نخله
١٤٢	مثل البخيل والمتصدق
١٥٣	مثل المؤمنين في توادهم
١٠٨	مثلي ومثل الأنبياء
١٦٠	المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله
١٢٣	مر النبي ﷺ بقبرين
٣١٦+١٢١	مروا أولادكم بالصلاة
١٢٢	مفتاح الصلاة الطهور
١٤٨	من آتاه الله مالاً فلم يؤدي زكاته
١٩٠	من أحب أن يبسط له في رزقه
١٧٥	من أحق الناس بحسن صحابتي
٢٩٢	من أخفر مسلماً
١٥٣	من استطاع منكم أن يستتر
١٧٩	من بر والده طوبى له
٣٣١	من بنى لله مسجداً
١٥٢	من تصدق بعدل تمرة
١٢٣	من توضأ فأحسن الوضوء
١٣١	من حافظ عليها كانت له نورا

٢٢٤	من رزقه الله امرأةً سالحة
٢٩٣	من كان بينه وبين قوم عهد
٢٦٥	من كان له امرأتان
١٩٣	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
١٦١+١٥٨	من مات ولم يغز

حرف الواو

١٨١	الوالد أوسط أبواب الجنة
١٠٩	والذي نفس محمد بيده
١٥٧	والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله
١٤٧	والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة
٢١٩	ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم
١٤٧	ولم يمنوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر

حرف الياء

١٩٣+١٨٧	ياأيها الناس أفشو السلام
٢٠٠	يا بن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها
١٣٧	يا بلال أقم الصلاة
١٥٦	يا رسول الله ما الإسلام
٢٦٣	يا عبادي إنني حرمت الظلم
٢١٤+ ٢١٢	يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج
٢٧٧	يا نبي الله من خير الناس
١١٧	يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم

فهرس المصادر والكرأجع

فهرس المصادر

والمراجع

أولاً: المصادر

أ- القرآن الكريم

ب- كتب السنة ومنها:

١- ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك محمد (٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) جامع الأصول في أحاديث الرسول. تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر ط ٢.

٢- ابن حنبل، أحمد (٤١٣هـ، ١٩٩٢م) مسند الإمام أحمد بن حنبل. موسوعة السنة تونس. دار سحنون ط ٢.

٣- ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (٤١٣هـ، ١٩٩٢م) سنن ابن ماجة. موسوعة السنة، تونس، دار سحنون ط ٢.

٤- أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي (٤١٣هـ، ١٩٩٢م) سنن أبي داود. موسوعة السنة، تونس دار سحنون ط ٢.

٥- البخار، محمد إسماعيل (٤١١هـ، ١٩٩١م) صحيح البخاري. بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر، ط ١.

٦- الترمذي، محمد بن عيسى (٤١٣هـ، ١٩٩٢م) سنن الترمذي. موسوعة السنة، تونس، دار سحنون، ط ٢.

٧- مسلم، أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري (٤١٢هـ، ١٩٩١م) صحيح مسلم. حقق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الحديث، ط ١.

٨- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (د.ت) سنن النسائي. بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، بيروت، لبنان المكتبة العلمية.

٩- النووي، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (د.ت) صحيح مسلم بشرح النووي. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر.

ج- كتب التفسير ومنها.

١٠- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (٤٠٧هـ، ١٩٨٧م) تفسير القرآن العظيم.

بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

١١- الرازي، محمد بن فخر الدين (د.ت) التفسير الكبير. بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٢- رضا، محمد رشيد (١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م) تفسير المنار. بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط ٢.

١٣- الشوكاني، محمد علي (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر.

١٤- الطبري، محمد بن جرير (د.ت) جامع البيان في تأويل القرآن. دار الفكر للطباعة والنشر.

١٥- القاسمي، محمد جمال الدين (١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م) محاسن التأويل. وقف على طبعه وتصحيحه. محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت دار الفكر للطباعة والنشر ط ٢.

ثانياً المراجع

١٦- ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علاء الدين (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) شرح العقيدة الطحاوية تحقيق جماعة من العلماء، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٩.

١٧- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم (د.ت) اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم. القاهرة، دار الحديث بالأزهر.

١٨- (د.ت) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية. مكة المكرمة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

١٩- (١٣٩٢هـ) العبودية. بيروت، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ط ٣.

٢٠- (١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م) النبوات. بيروت، لبنان دار الكتب العلمية.

٢١- (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م) الحسنة والسيئة. دراسة وتحقيق، محمد عثمان بيروت دار الكتاب العربي ط ١.

٢٢- (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م) الإيمان. خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي.

- ٢٣- ابن دقيق العيد، محمد بن علي (د.ت) شرح الأربعين حديثاً النووي. تخريج عبد الله سفر العبدلي، عبد الرحمن النافي، محمد العتيبي، الطائف مكتبة الطرفين.
- ٢٤- ابن الجوزي، أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م) زاد المسير في علم التفسير. بيروت المكتب الإسلامي ط ٣.
- ٢٥- — (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م) كتاب البر والصلة. تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض، مكة المكرمة، المكتبة التجارية مصطفى الباز ط ١.
- ٢٦- ابن زكريا، أحمد بن فارس (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م) معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٢٧- ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤م) التحرير والتنوير. القاهرة مكتبة ابن تيمية.
- ٢٨- — (١٩٧٩م) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. تونس الدار العربية للكتاب.
- ٢٩- ابن عثيمين، محمد صالح (١٤٠٣هـ) نبذة في العقيدة الإسلامية. الرياض مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٣٠- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (د.ت) أحكام القرآن. تحقيق علي محمد البجاوي بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٣١- ابن عطية، عبد الحق بن غالب (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية ط ١.
- ٣٢- ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد (١٤١٦هـ، ١٩٩٥م) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ط ٥.
- ٣٣- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) المغني ويليهِ الشرح الكبير. بيروت لبنان، دار الكتاب العربي.
- ٣٤- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٢

- ٣٥- _____ (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م) الرسالة التبوكية. حققها وأخرج أحاديثها ضارق السعود، الزرقاء، الأردن مكتبة المنار ط ٣.
- ٣٦- _____ (١٤٠٧هـ) تحفة المودود بأحكام المولود. تحقيق عبد القادر الأرنؤوض، دمشق، مكتبة دار البيان ط ٢.
- ٣٧- _____ (١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م) زاد المعاد في هدي خير العباد. بيروت مؤسسة الرسالة، ط ١٤.
- ٣٨- _____ (١٤١١هـ، ١٩٩١م) كتاب الصلاة وحكم تاركها. حققه وقدم له الشيخ زهير شفيق، بيروت، دار الكتاب العربي ط ١.
- ٣٩- _____ (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م) عون المعبود شرح سنن أبي داود. ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، القاهرة، مكتبة ابن تيمية ط ٢.
- ٤٠- _____ (١٤١٣هـ، ١٩٩٢م) الوابل الصيب من الكلم الطيب. دراسة وتحقيق، محمد عبد الرحمن عوض، بيروت، دار الكتاب العربي ط ٤.
- ٤١- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م) البداية والنهاية. دقق أصوله وحققه أحمد أبو ملحم وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية ط ٥.
- ٤٢- ابن مفلح، أبي عبد الله محمد (١٣٩١هـ، ١٩٧١م) الآداب الشرعية والمنح المرعية. الرياض مكتبة الرياض الحديثة.
- ٤٣- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م) لسان العرب، بيروت دار صادر الطباعة والنشر، ط ١.
- ٤٤- ابن هشام، محمد بن عبد الملك (د.ت) السيرة النبوية. راجع أصولها وعلق على حواشيتها لجنة من العلماء، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٤٥- الأبراشي، محمد عطية (١٣٩٦هـ) روح التزبية والتعليم. القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.
- ٤٦- الأشقر، محمد سليمان (١٤١١هـ، ١٩٩١م) العقيدة في الله. الكويت مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ط ٧.

- ٤٧- — (١٤١٢هـ) الرسول والرسالات. الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ط ٥.
- ٤٨- الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد (د.ت) مفردات ألفاظ القرآن. بيروت دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٤٩- — (١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م) الذريعة إلى مكارم الشريعة. تحقيق أبو اليزيد العجمي، مصر دار الوفاء للطباعة والنشر.
- ٥٠- الأفتدي، محمد حامد (١٤٠٣هـ) نحو مناهج إسلامية. مكة المكرمة المركز العالمي للتعليم الإسلامي.
- ٥١- الألباني، محمد ناصر الدين (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م) سلسلة الأحاديث الصحيحة. بيروت، المكتب الإسلامي.
- ٥٢- — (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) صحيح سنن ابن ماجة. الرياض مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- ٥٣- الألويسي، السيد محمود (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني. بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ٥٤- أبو زهرة، محمد أحمد (د.ت) العلاقات الدولية في الإسلام. القاهرة دار الفكر العربي.
- ٥٥- أبو زيد، بكر بن عبد الله (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م) حلية طالب العلم. القاهرة، مؤسسة قرطبة: طباعة، نشر، توزيع ط ٣.
- ٥٦- أبو عيد، عارف خليل (١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م) العلاقات الخارجية في دولة الخلافة. الكويت، دار الأرقم للنشر والتوزيع ط ١.
- ٥٧- أنيس، إبراهيم وآخرون (د.ت) المعجم الوسيط. بيروت، دار الحديث للطبع والنشر ٢
- ٥٨- أيوب، حسن (د.ت) السلوك الاجتماعي في الإسلام.
- ٥٩- البدر، حمود عبد العزيز (١٤٠٩هـ) الحاجة إلى تنسيق وتكامل تربوي بين دول الخليج. مجلة رسالة الخليج العربي العدد (٣١) السنة العاشرة مكتب التربية العربي لدول الخليج.

- ٦٠- بكر، عبد الجواد سيد (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف. القاهرة دار الفكر، ط ١.
- ٦١- البنا. حسن (د.ت) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا. المنصورة مطابع الوفاء.
- ٦٢- البهوتي، منصور بن يونس (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م) السروض المربع بشرح زاد المستقنع. بيروت، عالم الكتب.
- ٦٣- التوم، بشير حاج (١٤٠٤هـ) التربية والمجتمع. سلسلة التعليم الإسلامي، جدة، دار عكاظ للنشر والتوزيع.
- ٦٤- الجرجاني، الشريف علي بن محمد (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) كتاب التعريفات. بيروت، دار الكتب العلمية ط ١.
- ٦٥- الجزائري، أبو بكر محمد (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) العلم والعلماء. جدة دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ط ١.
- ٦٦- _____ (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م) منهاج المسلم. المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط ١.
- ٦٧- الجيار، سيد إبراهيم (د.ت) التربية ومشكلات المجتمع مجموعة دراسات، القاهرة مكتبة غريب.
- ٦٨- الحاكم، محمد بن عبد الله (١٤١١هـ، ١٩٩٠م) المستدرك على الصحيحين. دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١.
- ٦٩- الحقييل، سليمان بن عبد الرحمن (١٤١٢هـ، ١٩٩١م) التربية الإسلامية. الرياض، مطابع الشريف، ط ١.
- ٧٠- حكيم، حافظ بن أحمد (د.ت) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد. المطبعة السلفية ومكبتها.
- ٧١- احمد، أحمد ناصر (١٤٠٩هـ) العقيدة نبع التربية. مكة المكرمة. مكتبة التراث ط ١
- ٧٢- _____ (١٤١٤هـ) النبي والرسول. الزلفي، مكتبة القدس ط ١.

٧٣- حمزة، مختار (١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م) أسس علم النفس الاجتماعي. دار البيان العربي.
ط ٢.

٧٤- خالد، سامية محمد مختار (١٤٠١هـ، ١٩٨١م) العهود ووجوب الوفاء بها على ضوء الكتاب والسنة. رسالة ماجستير في الكتاب والسنة (غير منشورة) جامعة أم القرى مكة المكرمة.

٧٥- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م) كتاب الكبائر، بيروت الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٦- الرازي، محمد بن أبي بكر (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م) مختار الصحاح. جدة دار القبلة، للثقافة الإسلامية.

٧٧- الربيعة، عبد العزيز بن عبد الرحمن (١٤٠٧هـ) صورة من سماحة الإسلام. ط ٢.

٧٨- رشيد، صبحي طه (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) التربية الإسلامية وأساليب تدريسها. عمان الأردن، دار الأرقم ط ١.

٧٩- الزبيدي، محمد مرتضى (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م) تاج العروس من جواهر القاموس. دراسة وتحقيق علي شيري، بيروت، لبنان دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٠- الزحيلي، وهبة (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر.

٨١- _____ (١٤١١هـ، ١٩٩١م) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. بيروت دار الفكر المعاصر، ط ١.

٨٢- الزركشي، بدر الدين محمد عبد الله (١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م) البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر ط ٣.

٨٣- الزنتاني، عبد الحميد الصيد (١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية. ليبيا، الدار العربية للكتاب.

٨٤- زيدان، عبد الكريم (١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م) مجموعة بحوث فقهية. بيروت، مؤسسة الرسالة.

٨٥- سابق، سيد (١٩٧٦م) العقائد الإسلامية. القاهرة، دار الكتب الحديثة، ط ٣.

٨٦- سالم، عطية محمد (١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م) السؤال والجواب في آيات الكتاب. المدينة المنورة مكتبة دار التراث، ط ١.

٨٧- السباعي، زهير أحمد، شيخ إدريس عبد الرحيم (١٤١٢هـ، ١٩٩١م) القلق وكيف تتخلص منه. دمشق، دار القلم، ط ١.

٨٨- السباعي، مصطفى (١٣٩٧هـ) أخلاقنا الإجتماعية. بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٤.

٨٩- سلطان، محمود السيد (١٩٧٩م) مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ. القاهرة، دار المعارف.

٩٠- السمرقندي، نصر بن محمد (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م) تنبيه الغافلين. حققه يوسف علي بدوي دمشق، دار ابن كثير للطباعة والنشر، ط ١.

٩١- سويد، محمد نور (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م) منهج التربية النبوية للطفل. الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط ٥.

٩٢- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م) الإتقان في علوم القرآن. تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار التراث للنشر والتوزيع، ط ٣.

٩٣- الشرباصي، أحمد (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م) موسوعة أخلاق القرآن. بيروت دار الرائد العربي، ط ٢.

٩٤- الشرجي، علي (١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م) قبسات من هدي هدي الرسول الأعظم ﷺ. بيروت، دار القلم للطباعة والنشر ط ١ رقم (١).

٩٥- الشربيني، محمد بن محمد الخطيب (١٤١٥هـ، ١٩٩٤م) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج. دراسة وتحقيق علي محمد معوض وعادل عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية ط ١.

٩٦- _____ (١٤٠١هـ، ١٩٨١م) الجهاد في الإسلام. بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

٩٧- شديد، محمد (١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م) منهج القرآن في التربية. بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

٩٨- شلتوت، محمود (د.ت) الإسلام عقيدة وشريعة. القاهرة دار الشروق.

٩٩- الشنقيطي، محمد الأمين (١٤١١هـ، ١٩٩١م) الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً. صححه وعلق عليه حسن السماحي، بيروت دار القاري للطباعة والنشر ط ١.

١٠٠- الشوكاني، محمد علي (د.ت) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار. بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

١٠١- صدقي، نعمت (د.ت) من تربية القرآن. القاهرة، دار الإعتصام.

١٠٢- الصنعاني، محمد بن إسماعيل (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام. صححه وعلق عليه، فواز أحمد رمزي، إبراهيم محمد الجمل، بيروت. دار الكتاب العربي. ط ٧.

١٠٣- الصواف، محمد محمود (١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م) تعليم الصلاة. ط ٢٤.

١٠٤- طبارة، عفيف عبد الفتاح (د.ت) روح الدين الإسلامي. بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ط ٢٢.

١٠٥- الطويل، سيد رزق (١٤١١هـ) شعيرة الأذان ودرس في الإعلام الإسلامي. كتاب الأمة العدد (٣٨) الدوحة رئاسة المحاكم والشئون الدينية بدولة قطر.

١١٧- علوان، عبد الله ناصح (١٤٠١هـ، ١٩٨١م) تربية الأولاد في الإسلام. بيروت، دار السلام للطباعة والنشر ط ٣.

١١٨- العمر، ناصر بن سليمان (١٤١٣هـ) العهد والميثاق في القرآن. الرياض، دار العاصمة ط ١.

١١٩- _____ (١٤١٤هـ) سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية. الرياض، دار الوطن ط ٢.

١٢٠- عيسى، كمال محمد (١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م) كلمات في الأخلاق الإسلامية. جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط ١.

١٢١- الغامدي، سعيد فالح (١٤٠٩هـ) تغير الأدوار في الأسرة الريفية، دراسة في منطقة الباحة. جدة، جامعة الملك عبد العزيز مجلة الآداب، مجلد ٢.

١٢٢- الغزالي، أبو حامد محمد (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م) إحياء علوم الدين، وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار. بيروت، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع.

١٢٣- الغزالي، محمد (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م) خلق المسلم. دمشق، دار القلم، ط ١٠.

١٢٤- غلوش، أحمد (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) الإعلام الإسلامي في المجتمع الحديث. مجلة التضامن الإسلامي السنة السابعة والثلاثون. ج ١١.

١٢٥- الفارسي، الأمير علاء الدين (١٤٠٧هـ) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان. قدم له وضبط نصه. كمال الخوت، بيروت مطبعة دار الكتب العلمية ط ١.

١٢٦- فرحان، إسحاق أحمد (١٤٠٤هـ) التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة. عمان دار الفرقان للطباعة والنشر.

١٢٧- فلسفي، محمد تقي (١٣٨٨هـ) الطفل بين الوراثة والتربية. مطبعة الأدب ط ١.

١٢٨- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (د.ت) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب

العزیز. تحقیق عبد العلیم الطحاوی، بیروت، المكتبة العلمية.

١٢٩ — (١٤١٥هـ، ١٩٩٤م) القاموس المحيط. تحقیق مكتب تحقیق التراث في مؤسسة

الرسالة، بیروت مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤.

١٣٠- الفيومي، أحمد محمد علي (١٩٨٧م) المصباح المنیر. بیروت، لبنان مكتبة لبنان.

١٣١- القاسمي، ظافر (١٤١١هـ، ١٩٩٠م) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي.

الكويت، دار النفائس، ط ٦.

١٣٢- القاضي، مصطفى يوسف، ومقداد يالجن (١٤٠٠هـ) علم النفس التربوي.

الرياض، دار المريخ للنشر.

١٣٣- القرضاوي، يوسف (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م) مشكلة الفقر وكيف عاجلها الإسلام.

بیروت مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط ٧.

١٣٤- — (١٤١٢هـ، ١٩٩١م) فقه الزكاة. بیروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر. ط

٢٠.

١٣٥- — (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م) العبادة في الإسلام. بیروت، مؤسسة الرسالة ط. ٢٤.

١٣٦- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (د.ت) الجامع لأحكام القرآن. بیروت، دار

الشام للتراث.

١٣٧- القزاز، الشهري، محمد سعد، صالح أبو عراد (١٤١٦هـ) المبادئ العامة للتربية.

الرياض، دار المعراج الدولية للنشر، ط ٣.

١٣٨- القطان، مناع خليل (١٤٠١هـ، ١٩٨١م) مباحث في علوم القرآن. الرياض،

مكتبة المعارف ط ٨.

١٣٩- قطب سيد (١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م) في ظلال القرآن. القاهرة، دار الشروق ط ٩.

١٤٠- — (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م) السلام العالمي والإسلام. القاهرة دار الشروق ط

١٤١- _____ (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م) العدالة الإجتماعية في الإسلام. القاهرة دار الشروق ط ١٣.

١٤٢- _____ (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م) معالم في الطريق. القاهرة دار الشروق ط ١٦.

١٤٣- قطب محمد (١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م) في النفس والمجتمع. القاهرة، دار الشروق.

١٤٤- _____ (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) منهج التربية الإسلامية. القاهرة، دار الشروق، ط ٧.

١٤٥- _____ (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م) مفاهيم ينبغي أن تصحح. القاهرة، دار الشروق ط ١.

١٤٦- _____ (١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م) واقعنا المعاصر. جدة، مؤسسة المدينة للصحافة ط ٢.

١٤٧- _____ (١٤١١هـ، ١٩٩١م) دراسات قرآنية. القاهرة، دار الشروق، ط ٦.

١٤٨- _____ (١٤١٤هـ، ١٩٩٣م) دراسات في النفس الإنسانية. القاهرة، دار الشروق ط ١٠.

١٤٩- الماوردي، علي بن محمد (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م) أعلام النبوة. ضبط وتقويم وتعليق، محمد البغدادي، بيروت دار الكتاب العربي ط ١.

١٥٠- المباركفوري، صفي الرحمن (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) الرحيق المختوم. بحث في السيرة النبوية. بيروت، لبنان، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ط ٢.

١٥١- المبارك، محمد (د.ت) نظام الإسلام-الإقتصاد مبادئ وقواعد عامة. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر.

١٥٢- مبيض، محمد سعيد (١٤١١هـ، ١٩٩١م) أخلاق المسلم وكيف نربي أبنائنا

١٦٣- المودودي، أبو الأعلى (د.ت) مبادئ الإسلام. القاهرة، دار البشير للطباعة والنشر.

١٦٤- الميداني، عبد الرحمن حبنكة (١٤٠١هـ) ضوابط المعرفة والإستدلال والمناظرة. بيروت، دار القلم.

١٦٥- _____ (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م) العقيدة الإسلامية وأسسها. دمشق دار القلم للطباعة والنشر، ط ٦.

١٦٦- _____ (١٤١٣هـ، ١٩٩٢م) الأخلاق الإسلامية وأسسها. دمشق دار القلم لطباعة والنشر، ط ٣.

١٦٧- النحلوي، عبد الرحمن (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع. دمشق، دار الفكر ط ٢.

١٦٨- _____ (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة. بيروت المكتب الإسلامي، ط ٢.

١٦٩- الندوي، أبو الحسن علي (د.ت) الأركان الأربعة. دار الكتب الإسلامية.

١٧٠- نوفل، عبد الرزاق (د.ت) صلاة الفريضة. القاهرة، دار الشعب.

١٧١- النووي، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (د.ت) المجموع شرح المهذب. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر.

١٧٢- _____ (١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م) الأذكار. حقق نصوصه عبد القادر الأرنؤوط الرياض، دار الهدى للنشر والتوزيع.

١٧٣- الهاشمي، أحمد (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) جواهر الأدب في أديبات وإنشاء لغة العرب. بيروت دار الكتب العلمية ط ٢٩.

١٧٤- الهاشمي، محمد علي (١٤١٤هـ، ١٩٩٣م) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة. بيروت، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ط ٥.

١٧٥- _____ (١٤١٥هـ، ١٩٩٤م) شخصية المرأة المسلمة. بيروت لبنان، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ط ١.

١٧٦- هريدي، مجاهد محمد (١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م) منهج القرآن والسنة النبوية في العلاقات الإنسانية. القاهرة، مطبعة الأمانة، ط ١.

١٧٧- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. بيروت، دار الكتاب العربي ط ٣.

١٧٨- هيكل، محمد خير (١٤١٤هـ، ١٩٩٣م) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية. بيروت دار البيارق، ط ١.

١٧٩- وهبة، توفيق علي (١٤٠٠هـ، ١٩٩٣م) الجهاد في الإسلام. الرياض دار اللواء للنشر والتوزيع ط ٢.

١٨٠- ياسين، محمد نعيم (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) الإيمان أركانه حقيقته ثمراته. مكتبة الفلاح ط ١.

١٨١- يالجن، مقداد (١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م) التربية الأخلاقية الإسلامية. القاهرة مكتبة الخانجي ط ١.

١٨٢- _____ (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م) جوانب التربية الإسلامية الأساسية. بيروت مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر. ط ١.

١٨٣- _____ (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م) أهداف التربية الإسلامية وغايتها. الرياض، دار الهدى للنشر والتوزيع ط ٢.